المكتبة الصوفية الشاملة

شرح الحِكَم العطائية

للشيخ

حازم نايف أبو غزالة





الدرر الغزالية

في

شرح الحكم العطائية



للعارف الرباني المأذون بتلقين الاسم الأعظم وتسليك المريدين ودخول الخلوة

الشيخ حازم نايف أبو غزالة

الحنفي مذهبا،

الأشعري السلفي عقيدة،

القادري الشاذلي طريقة،

السيد الشريف الحسيني نسبا

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحيا قلوب أوليائه بمعرفته، وعلق أرواحهم بأنوار مشاهدته، واصطفى سرائرهم بحلاوة مكاشفته، حتى تحققوا بأحديته، وتكرموا بموفور عنايته، بما نالوه من شرف مناجاته وعظيم مساررته، فهم القوم يحبهم ويحبونه. أكرمهم بالعندية، وبأنوار شموس الربوبية، فظهرت عليهم وعلى أحوالهم الهمم المرضية التي وظفوها أداء لحقوق العبودية، وشكرا لما أكرمهم به من سوابغ نعمه وعميم كرمه، وعجائب وصله، وعظيم وده، فهم القوم الواصلون، المخلِصون المخلَصون، استخلفهم في أرضه، وأذن لهم بنشر دعوته، حتى أناروا البلاد، وهدوا العباد للسداد والرشاد، على خطى خير العباد صلى الله عليه وسلم.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد شجرة الأصل النورانية، ولمعة القبضة الرحمانية، وأفضل الخليقة الإنسانية، وأشرف الصور الجسمانية، ومعدن الأسرار الربانية، وخزائن العلوم الاصطفائية، صاحب القبضة الأصلية، والبهجة السنية، والرتبة العلية، من اندرج النبيون تحت لوائه، فهم منه وإليه، وهو الفاتح الخاتم صلى الله عليه وسلم، قدوة الوراث المحمديين، نور كل ولي وسناه، وسر كل قطب وهداه، فجزاه الله عنا خير ما جزا نبيا في أمته، اللهم صلي عليه وعلى إخوانه السادة النبيين والمرسلين، وعلى آل كل وصحب كل أجمعين وسلم اللهم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

وبعد:

فبتوجيه كريم وإشراف عظيم، تسنى لنا بفضل الله وكرمه وعنايته بأهله، أن نجمع كلام شيخنا الوارث المحمدي، الشيخ القدوة، عالي القدر والهمة، شيخنا الولي الكبير، الناصح للإسلام والمسلمين، سيدنا الشيخ حازم أبو غزالة- أكرمه الله تعالى - في شرحه للحكم العطائية، والتي علق عليها سابقا الشيخ ابن عجيبة رضي الله عنه، فكان هذا الكتاب {الدرر الغزالية شرح الحكم العطائية}.. كتابا جامعا مانعا، قريب

المنال، لطيف النسق والمنوال، قد أتى بعبارة سلسة قريبة للغة العصر، وشواهد حية من كتاب الله وسنة رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وإننا إذ سعينا إلى تحقيق وترتيب هذا الكتاب العظيم، فإننا نعهد لكل الصادقين من طرق أهل الله أجمعين، أن يستفيدوا من هذا الكتاب باعتباره ـكما قال الشيخ ـ هدية لكل راغب إلى الله تعالى، وإلى تصحيح سيره وسلوكه في سير أهل الله، تعالى. نسأل الله تعالى أن يوفق شيخنا لكل خير، ويجعله ذخرا لنا في الدنيا والآخرة، ويصلح به نفوسنا، وينور به قلوبنا، ويأخذ بأيدينا إلى ما يحبه ربنا ويرضى، إنه سميع قريب مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الدرة [1]: من علامات الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل

الشـــرح: من أصـــعب ما يكون الاعتماد على العمل والركون إليه، فإنه في الحقيقة حجاب للعبد أيما حجاب، وتراه في أي زلة يزلها يصبح عنده يأس، وتقل عنده الثقة بالله والرجاء منه ســبحانه أن يعفو ويغفر، لأنه توكل على عمله، لا على الذي أمره بالعمل، فيعتبر عمله ســبب زلته. وأما من عرف الله تعالى فيكون في كل حال مع الله تعالى، لا ينقص رجاؤه أو يعظم خوفه إن وقع في غفلة أو في عصــيان. ولا يزيد رجاؤه إن حصلت له يقظة أو صدر منه إحســان. لأن الخوف والرجاء عنده ناشـئان عن شهود الجمال والجلال، أي جمال وجلال المحبوب في بديع تجلياته وما ينشأ عنهما. فما كان طاعة شــهده منَّة وتناوله بالشــكر، وما كان معصــية شــهده قهرا وتناوله بالاستغفار، أدبا مع شريعة سيدنا محمد المختار صلى الله عليه وسلم.

الدرة [2]: إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية، وإراداتك الأسباب مع إقامة الله إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية

الشرح: السالكون إلى الله تعالى بين أخذ بالأسباب وبين متجرد متفرغ للعبادة والعبودية لله تعالى، والذي أقامه الله تعالى في الأسباب من المريدين فينبغي له أن يأخذ بالأســباب وإلا كان آثما عاصــيا لله تعالى، وقد يقيم المريد المتمكن بحقيقة التوكل على الله في التجريد، وهو التفرغ لأســباب الترقي للحضــرات الإلهية وأكثرهم ممن تفرغوا لخدمة العلم والطريق فلا بأس عليهم ألا يشتغلوا بالأسباب، وكان النبي صلى الله عليه وســلم يقر الناس على ما أقامهم الله فيه. فلم يعترض صــلى الله عليه وســلم على أهل الصـفة الذين نذروا أنفسـهم لخدمة الدين. كما كان حال سـيدنا أبي هريرة رضـي الله

عنه متفرغا لرواية الحديث الشــريف. وهكذا كان حال الصـحابة رضــوان الله عليهم يكمل بعضهم بعضا. وهكذا شأن السالكين في كل زمان ومكان.

الدرة [3]: سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار

الشــرح: مهما كانت الهمة عالية في العبادة والتوجه إلى الله، لا بد أن القدر يعمل عمله، والأصـل في السـالك إلى الله أن يفهم عن الله في كل شـيء يريده. فإن وجد تيسـيرا لما أراد وتوفيقا كان ذلك علامة على فتح باب الأذن له بذلك. وإن وجد الباب مغلقا دونه تأدب مع من بيده الأمر والنهي ورجع إلى وصـف العبودية، فلا يتأسـف ولا يحزن، بل يرضـى وينسـجم مع حركة التيار الإلهي حيثما حل ودار. والأصـل ألا ينظر السـالك فقط في كيفية الهمة للعمل بل يحاسـب نفسـه عن صـدقه في العمل وعن إخلاصـه في العمل والنبي صلى الله عليه وسلم قال: (**على نياتكم ترزقون**) فعلى العبد أن يصـفي نفسـه من أدرانها وحظوظها وشـهواتها، ثم ينظر كيف أن الله تعالى سيكرمه بعد ذلك.

الدرة [4]: أرح نفسك من التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك

الشــرح: أرح نفســك من رؤية تدبيرك لأن الذي يدبر بحق هو الله ســبحانه وتعالى، فرؤية التدبير تقهر الإنســان، وقد تجعل الحليم حيران، فســلم تســلم ولا تعترض تطرد، ســلم لمراد الله تعالى واعلم أن الله أرحم بجميع العباد، وأن هذه الأمة المحمدية مرحومة. ومهما رأينا من المظاهر في فلســطين والعراق وغيره فانه ســبحانه ســينصــرهم ولن يضــيع أحبابه فوعده محقق لا محالة، قال تعالى: "**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**"[1]. وهذه الأمة محفوظة بحفظ كتاب الله تعالى، قال تعالى: "**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**"[2]. ولهذا على السالك أن يعيش مع الله تعالى في كل تجلياته ويفهم عنه الحكمة فيها راضيا

كما قال صلى الله عليه وسلم:(**إن الله جعل الروح والراحة في الرضى واليقين**) ولله در القائل:

سلم لسلمى ودر حيث دارت   واتبع رياح القضا ودر حيث دارت

اللهم أفردنا لما خلقتنا ولا تشغلنا بما تكفلت لنا به يا رب العالمين.

الدرة [5]: اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك

الشرح: الدنيا مضمونه، وأمرنا الله تعالى بالمشي في مناكبها لا السعي فيها، قال تعالى: "**فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ**"[3]. وأما ذكره وعبادته فقال تعالى: "**فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ**" وقال جل جلاله: "**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**"[4]. أي ليعرفون. ولكن للأسف أكثر الناس يحبون الدنيا وينسون لأي شيء خلقوا. هم ما خلقوا إلا لمحبة الله تعالى وذكره وعبادته ومعرفته. والحمد الله نحن بصيرتنا منورة نعطي كل ذي حق حقه. ولدينا ميزان دقيق في التعامل مع متطلبات الدنيا والآخرة، ولا نسمح لها أن تشوش على قلوبنا أو تملؤها بالأغيار لأن حبك للشيء يعمي ويصم. بل نوجه قلوبنا دائما لمحبة الله وشهوده. كما قال سيدنا عبد القادر الجيلاني رضي الله

عنه: (**اجعل الدنيا في يدك ولا تجعلها في قلبك فإنها لا تضرك**) اللهم اقطع عن قلوبنا الأغيار واملأها بالمعارف والأسرار يا رب العالمين.

الدرة [6]: لا يكن تأخر أمد العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجبا ليأسك، فهو ضمن لك الإجابة فيما يختاره لك لا فيما تختاره لنفسك وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد

الشرح: العبد المتصل مع الله خياره من خيار الله فهو الحكيم في تدبيره. فقد يدعو العبد ويؤخر له في الإجابة، وقد يعطيه خيرا مما يسأل أو يثيبه خيرا مما أراد. فعلى كل الأحوال هو لا ينسى عبده قال تعالى: "**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**"[5]. وأرجى أحوال القبول هو الاضطرار كما قال تعالى: "**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ**"[6]. ولهذا فعلى العبد أن يفوض أمره إلى الله تعالى ويسلم له التسليم المطلق قال تعالى: "**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**"[7]. وقال جل من قائل "**وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**"[8]. ولله در القائل:

لا تدبر لك أمرا　　فذوو التدبير هلكى

سلم الأمر إلينا　　نحن أولى بك منك

وليكن هم السالك دائما أن يكون دعاؤه عبودية لا طلبا للحظوظ العاجلة والآجلة. ومن وحد همه كفاه الله ما أهمه وأغمه من شؤون الدنيا والآخرة، اللهم أغننا

بتدبيرك عن تدبيرنا وباختيارك عن اختيارنا وبحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك.

الدرة [7]: لا يشككنك في الوعد عدم وقوع الموعود وإن تعين زمنه لئلا يكون ذلك قدحا في بصيرتك وإخمادا لنور سريرتك

الشرح: العارف بالله إذا تأخر ما وعد الله تعالى به المسلمين كالنصر في العراق أو فلسطين مثلا، لا يعني هذا أن النصر لن يحدث سيحدث إن شاء الله وفي الوقت الذي يريده الله وإن كان في ظاهر الأمر تأخر فقد يكون ذلك مترتبا على أسباب وشروط غيبية أخفاها الله تعالى. كما قال تعالى: "**لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ** "[9]، المهم النتيجة تحقيق قوله تعالى: "**إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ**"[10]. وقوله تعالى: "**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**"[11]. فلا يجوز للمسلم أن يضع في قلبه أي شك فهذا من ضعف الإيمان وقد يقدح فيه وقد ينقلب في بعض الأحيان إلى شرك. وكثيرا ما تؤثر ظلمة الشك على نور الإيمان فتحجبه والعياذ بالله تعالى .

الدرة [8]: إذا فتح لك وجهه من التعرف فلا تبال معها إن قل عملك فإنه ما فتحها لك إلا وهو يريد أن يتعرف إليك ألم تر أن التعرف هو مورده عليك والأعمال أنت مهديها إليه، وأين ما تهديه إليه مما هو مورده عليك

الشرح: الغاية هو التعرف وهو الغاية من قوله تعالى: "**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**"[12]. فالعبادة وسيلة، وكل وسيله لها غاية. وما غاية العبادة لأهل الله إلا معرفة الله سبحانه وتعالى ونيل رضاه، ولذلك أخبر أبن

عطاء الله رضي الله عنه عن الأصل في أعمال السالكين أن تكون قائمة بالأساس على معرفة الله وشهوده. وأشار رضي الله عنه إلى أن قلة العمل مع شدة المعرفة بالله تعالى خير من كثير العمل مع قلة المعرفة، كما قال ρ: (**تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة**) وكما قال القوم رضي الله عنهم: (**من دلك على الدنيا فقد غشك ومن دلك على العمل فقد أتعبك ومن دلك على الله فقد أراحك**).

الدرة [9]: تنوعت أجناس الأعمال لتنوع واردات الأحوال

الشرح: الأحوال مواهب من الله تعالى. وهي حركات القلب من رغبة ومحبة وشهود وشوق. والإمداد على قدر الاستعداد فكلما كان الاستعداد القلبي والنفسي أكبر كلما كان الإمداد على ذلك أشد وأعظم. قال صلى الله عليه وسلم (**علو الهمة من الإيمان**) وكلما ازدادت الهمم والتي مبعثها الذكر الذي يصفي النفس ويطهر القلب وينشئ الأحوال بإذن الله تعالى كلما تنوعت الأعمال بتنوعها لأنه لا سبيل لحصر الأحوال فكذا لا سبيل لحصر الأعمال. وأساس الأحوال والأعمال هو الصدق وهو الأصل كما قال تعالى: "**لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ**"[13]. وهو الشرط الأول في القبول لأنه إذا تحقق الصدق تحقق الإخلاص في النية وتحقق الإتقان في العمل،

وهناك عمل مقبول بنسبة اثنان بالمائة إلى ثلاثة بالمائة، إلى خمسة بالمائة، إلى مائة بالمائة، حسب صفاء القلب وصدق الحال مع الله تعالى.

الدرة [10]: الأعمال صور قائمة، وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها

الشرح: الأعمال ظاهرة على الجوارح وهي قوالب، والقلب هو الجوهر الباطن، ومن غير المستغرب أن تنعكس الصورة الباطنة على الصورة الظاهرة. لأن أعمال الجوارح تابعة لأحوال القلوب فان ورد على القلب قبض ظهر على الجوارح أثره من السكون. وان ظهر عليه بسط ظهر على الجوارح أثره من الخفة والحركة. وان ورد على القلب محبة وشوق ظهر على الجوارح أثره من الهيام والرقص. وان ورد على القلب طمأنينة سكنت الجوارح واطمأنت. أما قال صلى الله عليه وسلم: **(من أسر سريرة أظهرها الله عليه)** وكيف تظهر تظهر بصورة العمل نفسه، فأن كانت السريرة طيبة ومبعثها الإخلاص كان العمل طيبا وخالصا من الأدناس. وإن كانت السريرة خبيثة كان العمل خبيثا ومتشحا بالأرجاس، نسأل الله تعالى حسن القلب والقالب.

الدرة [11]: ادفن وجودك في أرض الخمول، فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه

الشرح: لا بد للمريد حتى تظهر ثمرة سيره وسلوكه من الثبات في طريق القوم وتحديد وجهته وعدم الحياد عنها، لأن الملتفت لا يصل والقواطع كثيرة كالعجب والرياء ورؤية النفس والعياذ بالله تعالى، فهذه عندما تتحرك في النفس تحرك النفس

كلها بعدا عن الله، ولهذا فعلى السالك أن يدفن نفسه في أرض الخمول؛ بمعنى يكسر كبريائها وميلها إلى الظهور لأن حب الظهور يقصم الظهور وكما أن البذرة إذا تركت من غير دفن لا تنمو ولا تثمر فكذلك النفس. ولهذا يحتاج السالك إلى الله إلى الخلوة والعزلة لتشرق عليه الشموس العرفانية وتفيض عليها العلوم الربانية.

الدرة [12]: ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكره

الشرح: في طريق السادة الصوفية رضي الله عنهم لا بد من الخلوة، وإن أفضل ما يؤدي إلى خمول النفس الأمارة بالسوء ونشاط القلب هو الخلوة وعدم الاهتمام بمخالطة الناس ابتداء، لأن السالك المبتدئ قد يتأثر بالناس ولهذا أوصوا فقالوا: الاستئناس بالناس علامة الإفلاس. لأنهم موطن اللغو هذا إن خلا موطنهم من الغيبة والنميمة. وعكس الانشغال باللغو هو الصمت وهو وريث الحكمة كما ورد: (**من أكثر الصمت فاستنطقوه فإنه ينطق بالحكمة**) أي بالمعرفة بالله تعالى. ومن هنا إذا أراد السالك أن يدخل حضرة الله حضرة القلوب والأرواح والسرائر فعليه بالخلوة مع الله. وحضرة القلوب لأهل المراقبة. وحضرة الأرواح لأهل المشاهدة وحضرة الأسرار لأهل المكالمة وهي حضرة مقدسة منزهة لا يدخلها إلا الطاهرون. اللهم طهر قلوبنا وأرواحنا وسرائرنا يا رب العالمين.

الدرة [13]: كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته، أم كيف يرحل إلى الله وهو مكبل بشهواته، أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنبات غفلاته، أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته

الشرح: القلوب إذا صفت أوصفت وإذا تكدرت أظلمت والقلب المظلم لا يمكن إن تشرق فيه الأنوار، والقلب الغافل لا يمكن أن يكون محلا للأسرار لأن مرآته

أي مرآة القلب مكدرة ومليئة بالأقذار فكيف يصبح محلا للتجلي والترقي، ولكن إذا سلك العبد مع أهل الله تعالى زكت نفسه وصبت بالقلب نورا، ووصل إلى مطلوبة وازداد حبورا، فيدخل حضرة الله منورا مسرورا، قال تعالى: "**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا**"[14].
والفلاح اسم جامع لكل أبواب الخير في الدنيا والآخرة وعلى رأسها المعرفة بالله تعالى والشهود والعيان، وأما من لم يتطهر من شهوات نفسه ودساها أي أدخل فيها ما لا ينبغي أن يكون فيها كحب الجاه والأنا والمنصب وشهوة الفرج والبطن فكيف سيصل بسيرة إلى الله تعالى ويتحقق بمعرفته. قال تعالى: "**وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**"[15]. وخاب أي خسر. .خسر كشف الحجاب وشهود الأحباب فلم يزدد من الله إلا بعدا والعياذ بالله تعالى.

الدرة [14]: الكون كله ظلمة، وإنما أناره ظهور الحق فيه، فمن رأى الكون ولم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده، فقد أعوزه وجود الأنوار، وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار

الشرح: هذا مصداق لقوله صلى الله عليه وسلم: (**إن الله خلق الخلق في ظلمة فألقى عليهم من نوره، فمن أصاب من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضل**) والمراد بالحديث: أي أن الله تعالى خلق الخلق جهلة وهنا ضرب الجهل مثلا للظلمة، ثم ألقى عليهم من نوره، فاستنار به من هداه الله إليه وهو عبارة عن نور العلم الذي خلقه الله تعالى لمن يشاء عند النظر في الآثار للوصول من خلالها إلى الأسرار المكنونة في الوجود، قال تعالى: "**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**"[16]. أي منورها فهو المتجلي فيها بنوره. ومن أشرقت على قلبه شموس الحقائق العرفانية فليحذر أن تغطيها سحب الآثار الوهمية، أي صور الكائنات المتخيلة للناس حقائق وما هي في الحقيقة إلا ظلال مشيرة. اللهم أشهدنا المعاني في الأواني ولا تحجبنا بالأواني عن المعاني يا رب العالمين.

الدرة [15]: مما يدلك على وجود قهره سبحانه أن حجبك عنه بما ليس بموجود معه

الشرح: الله سبحانه وتعالى قهر الخلق بالوسائط أو الأسباب والتي قد تكون في بعض الأحيان حجابا للعباد إن شـهدوها لذاتها ولم يشـهدوا الله تعالى فيها، فيثبتوا وجودا لها من ذاتها وفعلا لها بذاتها فيقعوا في الشـرك. وما هي في الحقيقة إلا فعل الله تعالى وأثر من آثار وجوده أو وجود قدرته ومشـيئته، ولولا حياة الله ما قامت حياة الخلق وكذا بالنسبة لباقي تجليات الصفات، فعلينا أن نشهد الله تعالى فيها كما قيل: (**المكونات وسائط المشاهدات**)، وكما قال سيدنا أبن مشيش رضي الله عنه (**إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط**) وكما قال سيدي شعيب أبو مدين رضي الله عنه:

من لا وجود لذاته من ذاته   فوجوده لولاه عين محال.

الدرة [16]: كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي أظهر كل شيء، كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الظاهر قبل وجود كل شيء، كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أظهر من كل شيء، كيف يتصور أن يحجبه شيء ولولاه ما كان وجود كل شيء، يا عجبا كيف يظهر لوجود العدم أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم

الشرح: أنت المحجوب أيها العبد وليس الحق سبحانه، إذ لا وجود للأشياء مع وجوده سبحانه ولا ظهور لها مع ظهوره، فكل ما ظهر من أشياء ومخلوقات لا ظهور لها إلا منه ولا قيام لها إلا به، فأنت العدم وهو الموجود الباقي، والقديم والحادث لا يلتقيان. فاذا قرن الحادث بالقديم تلاشـى الحادث وبقي القديم. فارفع عن قلبك الحجاب حتى تشهده فتكون من أهل حضرته. من أهل قربه ووصاله.

الدرة [17]: ما ترك من الجهل شيئا من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه

الشـرح: من آداب العارف الحقيقي الاسـتسـلام لكل ما خصصه العلم وأبرزته القدرة وأنفذته المشيئة الإلهية فقد كتب الله المقادير وجعل في الأرض أقواتها. وقسم للناس معايشهم وأرزاقهم الحسية منها والمعنوية فمن غني وفقير ومن قوي وضعيف. ومن مؤمن وكافر ومن مهتد وضال. والاستسلام هنا يعني أن يشهد العارف أنه ليس بالإمكان أبدع مما كان ويرضى بما كتبه الله تعالى له فلا يطمح بمقام غير المقام الذي أقامه الله فيه ويستسلم لأحكام الشريعة فقد حكم الله تعالى لكل وقت عبادة من صلاة وزكاة وصيام وحج ونوافل وقربات، فعلى العبد الموفق أن يملأ كل وقته بمراضيه سبحانه ولا يبقي للفراغ محلا لأن أنفاسه معدودة، وعليه أن يقتدي بقوله تعالى في خطابه لرسوله صلى الله عليه وسلم: "**فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ**"[17]، أي كلما فرغت من عبادة فتوجه إلى عبادة أخرى حتى تكون كل حياتك عبودية قال تعالى: "**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**"[18]، أي لا محل لأحد سواه في قلبي، كما قالوا: قلب واحد لا يسمع إلا واحد، إما خلق وإما حق، ثم قال "**لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**"[19]. أي هذا ليس في خياري بل أمر أمره إياي ربي وأنا أول المسلمين أي المستسلمين له الطائعين العابدين الحامدين.

الدرة [18]: إحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس

الشرح: قيل في المثل: "**لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد**"، وقال القوم رضي الله عنه عنهم: "**الصوفي أبن وقته** "أي كل وقته لربه، وإن كان مع الخلق ظاهرا فهو مع الله باطنا، أي يشهد الحق في الخلق، إذن فالصوفي يملأ وقته في مرضاة ربه، لأن الفراغ من عمل دنيوي أو أخروي مفسدة للعبد أيما مفسده، ولأن نفسك إن لم تشغلها

بالخير أشغلتك بالشر، وكل نفَس محاسب عليه العبد كما قال صلى الله عليه وسلم: **(ما من يوم إلا ينادي، أنا خلق جديد وعلى عملك شـهيد، فاغتنم مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة)** فاغتنم وقتك أيها المريد في طاعة الله تعالى لا في معصيته، في التقرب منه لا في البعد عنه، ولا تقدم أعمالك الأخروية على أعمالك الدنيوية اعتبار لحظوظ النفس وهضـما لحقوق العباد، ولا تؤثر الدنيا على الآخرة فهذا من رعونات النفس أيضا. وأعلم أن الدنيا فانية وأن الآخرة أنما هي دار البقاء.

الدرة [19]: لا تطلب منه أن يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها فلو أرادك لاستعملك من غير إخراج

الشرح: هذا من معنى قوله رضي الله عنه مقامك حيث أقامك. فسلم لمراده سـبحانه ولا تسـتعجل الشـيء قبل أوانه لأن من تعجل الشـيء قبل أوانه عوقب بحرمانه. ففوض الأمر إليه وكن كما كان حاله صـلى الله عليه وسـلم في قوله تعالى: "**وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا** "[20]. والمدخل الصدق هو دخولك فيه بالله لا بنفسك. والمخرج الصدق هو خروجك منه بالله لا بنفسك. وكن ذا أهلية يرفعك الله، والإمداد على قدر الاستعداد، والمطلوب أمامك قال تعالى: "**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ**" [21]. فاجعل غايتك الله وليس المقامات. والحمد الله الذي شرفنا أن نكون عبيده سبحانه.

الدرة [20]: ما أرادت همة سالك أن تقف عندما كشف لها إلا ونادته هواتف الحقيقة، الذي تطلبه أمامك، ولا تبرجت له ظواهر المكونات إلا ونادته حقائقها: إنما نحن فتنة فلا تكفر

الشرح: هذا كما قال القائل: ما للترقي انتهاء، لانهاية في السير إلى الله، لأنه لا يوجد انتهاء لكمالات الله وعظمته، والعارف بالله لا يصبح عارفا إلا عندما يقدر وقته، فاللحظة التي تذهب لا ترجع والسعادة والشقاوة تكون على قدر الأنفاس، فإن كانت في طاعة الله كان العبد من السعداء، وإن كانت في معصية الله كان من الأشقياء. والعبد المأمور لا تحجبه مظاهر الكون أو ظواهر المكونات عن شهود رب الأرض والسموات وإلا أوقعته في أهوائها وشهواتها وخاصة إن عزل عن شرعة الله سبحانه وتعالى في أمره ونهيه، فيخسر أجر الامتثال وكرامة الشهود، ولهذا فالعبد الموفق لا تأسره الآثار عن شهود الأسرار، ولا تحجبه الصنعة عن شهود الصانع الحق سبحانه .

الدرة [21]: طلبك منه اتهام له، وطلبك له غيبة منك عنه، وطلبك لغيره لقلة حيائك منه وطلبك من غيره لوجود بعدك عنه

الشرح: قد يكون الدافع للطلب من حضرة الحق تعالى هو شعور العبد أن الحق أهمله، وهذا في حد ذاته سوء أدب لأن الله سبحانه وتعالى لا ينسى فينبه ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون. وقد يكون قصد الطالب في الطلب تلذذا بلذة عاجله أو آجلة أو حصول كرامة زائلة، وهذا لا شك انشغال بغير الله أو غيبة عن الله، ولو تحقق الفناء الكامل به سبحانه لما انشغل العبد بشاغل عن مولاه تبارك وتعالى، وقد يغفل العبد عن مولاه فيطلب من غيره لظنه الموهوم بوجود الغيرية، وأن غير الله

يعطي ويمنع. أو يضر وينفع. أو يصل ويقطع فهذا في الحقيقة والعياذ بالله تعالى توهم وبعد عن الله تعالى وحجاب، وتلك أسوء حالة، اللهم أنت مقصودي ورضاك مطلوبي.

الدرة [22]: ما من نفس تبديه إلا له قدر فيك يمضيه

الشـــرح: أنت أيها العبد في كل نفس وفي كل طرفة عين أنت رهين القضـــاء والقدر، لا حركه ولا ســكون إلا بقدر الله تكون، قال تعالى: "**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**"[22]. فهو خالق الكل جملة وتفصـيلا خالق ذواتهم وأفعالهم، وكل شـيء قدره عليهم.، كما قال القائل:

مشيـنا خـطى كتبت علينا ومـن كتبت عليه خطى مشاها

ومن قسـمت منيـته بأرض فـليس يموت في أرض سواها

فكن عبدا لله في كل حال عطاء ومنعا، عزا وذلا، وهكذا حال العارفين في كل نفس من أنفاسـهم بالموافقة مع حضـرة الحق تعالى حتى تنتهي آخر أنفاسـهم بلقاء الله تعالى. ومن كان لا يصـــول ولا يجول إلا بـالله أي بـأمره ووفق مراده شـــريعـة وطريقـة وحقيقة أكرم بالمعية وشهود الحقائق الفردانية.

الدرة [23]: لا تترقب فراغ الأغيار فإن ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيما هو مقيمك فيه

الشـــرح: الله تبارك وتعالى قهرنا بهذه الأغيار من مظاهر الحياة الدنيا كالمال والأهل والزوجة والأصدقاء، فهذه عند المبتدئين عوائق لهم في طريقهم إذ يحسـون أنها تشـــغلهم عن الله وعن ذكر الله، ولهذا إذا خـاف الســـالك على قلبه من مقام ظاهر كمجلس يكثر فيه الأغيار فليكثر من الاســـتغفار والـذكر حتى لا تســـرقه الغفلة أو يحجبه الحس عن المعنى، أما الـذين اســـتوى عنـدهم الـذكر وانقلب شـــهودا فهم يراقبون الله تعالى بها من باب شـهود الحق في الخلق. ولا أغيار عندهم وإنما وسـائط في الشهود، وهذه لا شك اعلي مرتبه في شهود الوجود الحق تبارك وتعالى.

الدرة [24]: لا تستغرب وقوع الأكدار ما دمت في هذه الدار، فإنها ما أبرزت إلا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها

الشرح: ما هو وصـف الدنيا؟ دار البلاء والابتلاء، فكل ما وقع فيها من نغص في العيش وهم وغم وكدر فهو طبيعي ليس بمسـتغرب ولا مسـتهجن ولا يعد شـيئا عند العارفين، لأن هذه هي ســـنة الحياة الدنيا حتى لا يركن العبد إليها، والناظر إلى الدنيا بعين اليقين يجد أن أكثر تجليات الله تعالى في هذه الدار جلالية لأنها دار أهوال ومنزل فرقة وانتقال كما قال صلى الله عليه وسلم: (**إِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا دَارُ الْتِوَاءٍ، لا دَارُ اسْتِوَاءٍ، وَمَنْزِلُ تَرَحٍ، لا مَنْزِلُ فَرَحٍ، فَمَنْ عَرَفَهَا لَمْ يَفْرَحْ لِرَخَاءٍ، وَلَمْ يَحْزَنْ لِشَقَاءٍ**)، والذي يريد أن يعيش في هذه الدنيا على أنها جنه فهذا مستحيل كما قال عليه الصلاة والسلام: (**لا راحة لمؤمن إلا بلقاء ربه**). وكذا ينبه رضي الله عنه السـالك ألا يسـتغرب وقوع الأغيار فكذا ينبهه ألا يتعجب من وقوع المســـار، أي الجمال بحيث لا يفرح ولا يبطر فان الجلال مقرون بالجمال كما أن الجمال مقرون بالجلال وهما يتعاقبان تعاقب الليل والنهار. فكن جميلا ترى الوجود جميلا.

الدرة [25]: ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك

الشـــرح: الســـالك الحقيقي يعبد الله تعالى خدمة لا علة، يعبده بمحض العبودية له. أي لكونه عبدا، لا علة لطلب الحصــول على المقامات والحقائق والكرامات، فذلك غرور، والعبد إذا طلب أمرا طلبه بالفهم عن الله تعالى والإذن وإرادة كمال العبودية وكمال الرضى مع التسليم الكامل والتفويض المطلق للحق جل وعلا، حتى يجري عليه التوفيق من الله تعالى. لا يطلبه ليحقق رغبات نفســـه أو مصـــالح دنيوية عاجلة أو آجلة ليفتح على نفســه باب المكر والاستدراج وقد يعطى في الدنيا ثم يلقى الله تعالى يوم القيامة وحاله حال الإفلاس، وينادي الله تعالى على الملائكة: (**خذوه يا ملائكتي فألقوه في النار**)، والعياذ بالله تعالى ونحن طلبنا الله لأجل الله فأعطانا الله تعالى كل شـــيء. ونســـتخير الله في كل أمورنا حتى لا يقع لنا حظ في شـــيء، اللهم أنت مقصودي ورضاك مطلوبي.

الدرة [26]: من علامات النجاح في النهايات الرجوع إلى الله في البدايات

الشرح: إذا كان المريد في بداية أمره متوجها بصدق إلى الله، ملتجئا إليه بكل أحواله، فهذا مريد صـــادق، يحالفه التوفيق والثبات أبدأ كما قال تعالى: "**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ**"[23]. فالمعول عليه البداية فلذا كانت بداية العبد قائمة على الاعتماد والتوكل وتفويض الأمور إلى الله تعالى دل ذلك على نهاية موفقة ناجحة. وأما إن كان مقصرا في طلب مولاه، لم يخرج من حظ نفسه وهواه، فهذا كاذب في دعواه. نهايته الحرمان وعاقبته الخذلان إلا أن يتداركه الحليم المنان تبارك وتعالى. ومن أراد الوصول طبَّق الأصول.

الدرة [27]: من أشرقت بدايته، أشرقت نهايته

الشــرح: من كانت بدايته منوره، وأحواله مســتقيمة، يحافظ على أوراده، يحافظ على الصــلوات وتلاوة القرآن، محب لأهل الله وســائر على خطاهم في الأدب والخدمة، والذكر والمعرفة، فمثل هذا العبد ســيحظى بالتمكين ويعايش النفس المطمئنة ثم النفس الراضــية. ثم النفس المرضــية ثم النفس الكاملة. ثم يترقى في مقامات العبودية كذلك، من العبودية إلى العبدية إلى العبودة. إلى أن يتحقق له الشرب كاملا فلا تبقى منه بقية. قد أخلد إلى الرفيق الأعلى. في مقعد صدق عند مليك مقتدر. ثم في أعلى مراتب الخلد، عند انتقاله إلى الرفيق الأعلى، كما قال صــلى الله عليه وســلم: (**من أحب لقاء الله أحب الله لقائه**) اللهم إنا نحب لقائك، اللهم أكرمنا بلقائك في الدنيا قبل الآخرة يا رب العالمين.

الدرة [28]: ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر

الشــرح: أفعال الجوارح تابعة لأحوال القلوب ســواء المحمودة منها أو المذمومة، سواء ما كان من خير أو شر. من نور أو ظلمة. من علم أو جهل. من رحمة أو قســوة. من يقظة أو غفلة. من معرفة أو نكران.. الخ قال عليه الصلاة والسـلام: (**من أسر سريرة أظهرها الله عليه**) أي بانتقالها من الصـورة الباطنة في مكمون النفس إلى الصــورة الظاهرة على الجوارح. وما كان عليه القلب ينعكس على الوجه. والعارفون بالله تعالى تظهر على وجوههم معرفته وآثار سره، وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العارفين بالله فقال: (**هم الذين إذا رؤوا ذكر الله**).

الدرة [29]: شتان بين من يستدل به أو يستدل عليه، المستدل به عرف الحق لأهله، فأثبت الأمر من وجود أصله، والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه، وإلا فمتى غاب حتى يستدل عليه، ومتى بعد حتى تكون الآثار هي التي توصل إليه

الشرح: ربما تكون معرفة بعض الناس بالله تعالى جهلا وقصورا بالنسبة لمن هو أعلى درجة لأنه لا يصح العلم بالله تعالى من كل وجه ولا الجهل به من كل وجه، ولا يخرج الإنسان عن الجهل بالحق مطلقا إلا إن عرف الحق تعالى كما يعلم الحق نفسه من غير نقص وذلك محال. ولكن الأمر واقع تحت النسبة بين الخلق في موضوع الاستدلال. ولكن شتان بين الاستدلال العقلي والاستدلال القلبي، الاستدلال الأول يساوره الشك حتى يصل العبد إلى الإيمان في مرتبة علم اليقين وهو الأصل في وجود التصديق، وأما الثاني: فقد ارتقى صاحبه عن الاستدلال بالآثار الظاهرة إلى شهود المؤثر فيها بقلبه ومن مرتبة علم اليقين القائمة على الأدلة والسماع إلى مرتبة عين اليقين في المشاهدة والعيان إلى مرتبة حق اليقين بالفناء المطلق بالحق تعالى حتى يستحضر وجوده الحقيقي من أصله وهو حضرة عالم الجبروت، العالم الأصلي القديم الأزلي. حتى لا يرى ولا يسمع ولا يجد ولا يحس إلا به، كما قال تعالى: "وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ"[24].

الدرة [30]: "لينفق ذو سعة من سعته": الواصلون إليه "ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله": السائرون إليه

الشرح: الآيتان تتحدثان عن ضرورة شكر النعمة بتعريف الناس عليها. وأعظم نعمة نعمة الإيمان، وأهل الإيمان مراتب، وأعلاهم أهل الإيقان وهم مراتب أيضا كما ذكرنا، منهم من هو في مرتبة علم اليقين وهم أهل السير المبتدئين الذين

أثبتوا وجود الخالق من نظرهم إلى المخلوق. فهؤلاء قتر الله عليهم أرزاق العلم لوجود حجاب الوهم. ومنهم من هم في مرتبة عين اليقين تلوح لهم لوائح وبوارق أي أساسيات في المعرفة بالله تعالى الناتجة عن اليقين. وأما الواصلون فقد انكشفت لقلوبهم شموس الحقائق ووسع الله تعالى عليهم دائرة العلوم وفتح لهم مخازن الفهوم، فأصبحت نورانيتهم عالية وهدايتهم كاملة وأصبح المطلوب منهم في هداية الناس والدلالة على الله عظيما لكن مع الحذر في تكليم الناس بما لا يفهمون ويدركون، لأن الإنسان عدو ما يجهل. والحقيقة إن أعطيتها لأهلها أكرمتها وأديت زكاتها، وإن أعطيتها لغير أهلها ظلمتها وأهنتها. فعليك إن تخاطب الناس بما يفهمون ولا تتوسع إلا إن كنت أهلا لذلك وكان المستمع في نفس الوقت أهلا لذلك.

الدرة [31]: اهتدى الراحلون إليه بأنوار التوجه والواصلون له بأنوار المواجهة، فالأولون للأنوار وهؤلاء الأنوار لهم، لأنهم لله لا شيء دونه "قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون"

الشرح: فرق بين التوجه لأنوار الحق تعالى وبين تجليه على عبده بالمواجهة، فالمتوجه لأنوار الحق تعالى سائر أو راحل إليه والمتجلى عليه وأصل إليه، والفرق بينهما أيضا كالفرق بين من طلب المقام منتظرا وصوله إليه. وبين من تحقق بصاحب المقام فأصبحت كل المقامات طوعا بين يديه، فالأول كحال الأولاد عند مقدم والدهم ينظر كل واحد منهم إلى هديته، وأما الثاني فكحال الزوجة ليس لها قصد إلا ذات زوجها، وتأتي الهدايا إليها من غير طلب. ولذلك فرق بين من أشرقت عليهم أنوار الإسلام والإيمان والتي هي أنوار التوجه بطاعتهم وبين من أشرقت عليهم أنوار الإحسان بفكرتهم ونظرتهم أي بشهودهم. فالأولون واقفون مع الأنوار مفتقرون إليها بخلاف من وصل حتى بلغ إلى نور الأنوار فشاهد سر الأسرار فبقي به وفني عن غيره، جعلنا الله منهم.

الدرة [32]: تشوفك إلى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك إلى ما حجب عنك من الغيوب

الشـرح: إصـلاح النفس أفضـل من الكشـف وأفضـل من معرفة المغيبات، فـالله تعـالى يســـأل عن النفس ومـا كلفـت بـه، وعن القلـب في ســـلامتـه، قـال تعـالى: "**يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَـلِيمٍ**"[25] ذلك أولى بـالســـالك من التطلع إلى الحقائق والغيوب إصـــلاح البـاطن ومـا خفيت فيه من عيوب. لأن إصـــلاح الباطن ســـبب في حياة القلب وشـــهود وجود المحبوب. وحياة القلب ســـبب في الحياة الدائمة والنعيم المقيم. وعلى الســـالك أن يســـعى في إصـــلاح باطنه في كل وقت وحين. ونقـل النفس من كونهـا أمـارة إلى كونهـا لوامـة إلى كونهـا مطمئنـة. إلى كونهـا راضـــيـة. إلى كونها مرضية. إلى كونها كاملة. حتى يصبح العبد من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والله ســـبحـانـه تعـالى عنـدمـا قـال:"**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا**"[26] أي نمى جميع الصـفات الحسـنة فيها. فهل بعد الفلاح شـيء، الفلاح أسـم جامع لكل أبواب الخير في الدنيا والآخرة. وأما قول الحق تعالى (وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا) أي خاب وخسـر من رضي لنفسه بالحجاب حتى منع من شهود الأحباب.

الدرة [33]: الحق ليس بمحجوب، وإنما المحجوب أنت عن النظر إليه، إذ لو حجبه شيء لستره ما حجبه، ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاضر، وكل حاضر لشيء فهو له قاهر "وهو القاهر فوق عباده"

الشـــرح: الله ســـبحـانـه وتعـالى هو الحـاضـــر الـذي لا يغيب. قـال تعـالى: "**وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ**"[27] ولله المثل الأعلى: هل تغيب الشـــمس إلا على ذو المقلة العمياء، الشـــمس لا تجعل بينها وبين الخلق ســـتائر، وإنما الخلق هم الذين يضـــعون هذه الستائر فيحجبون عن نورها وشهودها وكذا الحال بالنسبة لحضرة الحق تعالى وهذا

بسبب ما اكتسبت أيدي العباد من أعمال باطلة أثرت على قلوبهم ونورانيتها فانحجبت نفوســـهم عن رؤيتـه. وتنزه الله تعـالى أن يحجبـه حجـاب فهو الخـالق للحجـاب وغيره مخلوق، وأنى للمخلوق أن يحجـب الخـالق، والعـارفون بـالله تعـالى ينظرون إلى الخلق بأعينهم وإلى الحق بقلوبهم فيرون الحق في كل شيء وعند كل شيء وقبل كل شيء وبعد كل شــيء وأول كل شــيء وآخر كل شــيء، وفي كل نفس من الأنفـاس يتجلى عليهم بنورانيته. وفي الدعـاء المأثور:(**يا أول فليس قبلك شــيء. يا آخر فليس بعدك شــيء.)** الدعـاء.

الدرة [34]: أخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيبا ولحضرته قريبا

الشــرح: إن العبد متى ما تخلص من حظوظ نفســه وأوصــافها الســلبية كالحقد والحســد والعجب والرياء والغرور والفظاظة والغلظة وذلك بالســلوك على أيدي المشــايخ العـارفين بـالله تعـالى الـذين أخـذوا على عـاتقهم تهـذيب النفس وتربيتها التربية الدينية بالصــدق والإخلاص واليقين، وتزكيتها التزكية الأخلاقية حتى تظهر فيها المحاسـن كالطهارة والنقاء والرأفة والرحمة والحلم والورع والقناعة والعفة والتواضـع للفقراء والمســاكين. فإنه بذلك يكون قد قرب من حضــرة ربه لصــحة قلبه وســلامته فيشرق نوره عليه، وإلا فكما قال بعض العارفين: (**لا تظن أن تدخل الحضرة الإلهية وشــيء من ور ائك يجـذبـك**) وهـذا مـا أشــــار إليـه قولـه تعـالى: "**وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ**"[28] أي انه لا يتأتى مجيئ العبد إلى الله والوصـــول إليه إلا إذا أفرد نفســـه عما ســـواه أي من رؤية الســـوى والأغيار. هي كل ما يشـــغل عن

الحضــرة ويغير القلب عنها. أي إلى الميل إليها، اللهم احفظ ســرائرنا من كل ما يحجبها عنك يا كريم.

الدرة [35]: أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة ويقظة وغفلة عدم الرضا منك عنها، ولأن تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالما يرضى عن نفسه

الشــرح: جعل الله تعالى لكل عبد قلبا ليكون أميرا على هذه النفس، يحكمها بأمر الله تعالى ويسـيرها تحت سـطوه شـرعة، وإلا إن ترك لها العنان تخبطت وضلت، وما دامت تحت الحكم والتربية تأدبت وإلا تفلتت وانقادت لكل أهوائها وشــهواتها فأصــبحت بدلا من أن تكون محكومة هي الحاكمة، وهذا أســوأ ما يكون وهذا الحال كقول النبي صلى الله عليه وسلم (**لا خير في قوم ولوا أمرهم امرأة**) وفيه إشارة للنفس الأمارة فيما إذا صارت حاكمة على القلب. ثم أشار رضي الله عنه إلى أثر الصاحب في السير والسلوك إلى الله تعالى، لأن الصاحب ساحب والمحبة تولد القدوة، وأصعب ما في أمر هذا الصــاحب أن يكون أســاس الداء فيه هو الرضــى عن النفس بل إنه كما يقول: (**إن تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه، خيرلك من أن تصحب عالما يرضى عن نفسه**) لأن الصاحب قد تتوقع منه الهفوة والزلة، وأما العالم فلا تتوقع منه ذلك فتقلده على علاته الموجودة فيه، والعياذ بالله تعالى.

الدرة [36]: شعاع البصيرة يشهدك قربه منك وعين البصيرة تشهدك عدمك لوجوده، وحق البصيرة يشهدك وجوده لا عدمك ولا وجودك

الشــرح: لا شــك أن اليقين على ثلاث مراتب: علم اليقين ثم عين اليقين، ثم حق اليقين، واليقين يتبعه شهود، فالشاهد بعلم اليقين يؤمن بالله مستحضرا وجوده وقربه ولكن من وراء حجاب لأنه لم يتحقق له شــهود بعد، وإنما اســتدل بوجوده على

ما تراكمت عنده من أدلة وبراهين نظرية ثابتة، وأما الشــاهد بعين البصــيرة فمقامه مقام الفناء يشــهد الحق قبل شــهود الخلق، بمعنى أنهم مغيبون عن شــهود الســوى بشــهود المولى، كالغارق في بحر النور لا يرى لغيره ظهور، وأما الشــاهد بحق البصــيرة فهو في مقام البقاء يشهد الحق في الخلق، يشهد الرب في المربوب. والخالق في المخلوق. والرازق في المرزوق. وهكذا. وبنفس الوقت هم متحققون بفناء الخلق وبقاء الحق لأن الخلق بغير الحق لا تقوم له قائمة فما تم للخلق إلا صـورة الوهم والخيال. كما يشـير ظل الشمس إلى الشمس وكما تشير صورة القمر في الماء إلى القمر.

الدرة [37]: كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان

الشــرح: الله ســبحانه وتعالى لا يتغير ولا يتبدل، وأوصــافه القديمة باقية لا يزال متصــفا بها كما كانت، ولذلك (كان) في القرآن الكريم إن دخلت على ذات الحق تبارك وتعالى، أو على أسمائه وصفاته، دلت على صفات وأسماء أزلية أبدية سرمدية، مفيدة الماضـي والحاضـر والمسـتقبل، فمثلا قوله تعالى "وَ**كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا**"[29] أي أن وصــفه هذا أزلي ســرمدي أبدي. وهذا ما ينبغي للعارف أن يشــهده. ومن مراتب الشهود العلم أنه لم يكن مع الله موجود. .كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان، إذ الغير عليه محال، وقال سيدي محيي الدين رضي الله عنه:(**من شهد الخلق لا فعل لهم فقد فاز، ومن شــهدهم لا حياة لهم فقد حاز، ومن شــهدهم عين العدم فقد وصل**)، اللهم ارزقنا وصولا كاملا وتمكنا يا رب العالمين.

الدرة [38]: لا تتعدد فيه همتك إلى غيره فالكريم لا تتخطاه الآمال

الشـرح: العبد الصـادق همته متوجهة إلى الله وحده وليس له إلا هم واحد، وهو نيل رضاه، ومن وحد همه كفاه الله ما أهمه وأغمه. ولهذا وجه أيها المريد الصادق قلبك إلى الله، فهو الذي يسـخر لك كل شـيء. كما قال عليه الصـلاة والسـلام: (**إذا سألت فأسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**) ولذلك كن مع الله دائما وأبدا تجده معك في كل نفس من أنفاسـك، والأمل بالله كبير، والله سـبحانه وتعالى يرزق العبد حسـب حسـن ظنه به. ووقف أحدهم عند قوله تعالى "**يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ**"[30] فقال غرني كرمك يا رب، والكريم يحب أن يسـأل ولا تتخطاه الآمال. فاذا سـئل أعطى، ولا يبالي كم أعطى، ولمن أعطى، ولا لمن أعطى. .وهذا من تمام كرمه وإحسانه رب العالمين.

الدرة [39]: لا ترفعن إلى غيره حاجه هو موردها عليك، فكيف يرفع ما كان هو له واضعا من لا يستطيع أن يرفع حاجة عن نفسه فكيف يستطيع أن يكون لها عن غيره رافعا

الشـرح: أصعب ما يكون شـهود السوى ففيه الشـقاء، ومن جنسـه أن يرفع العبد إلى مخلوق مثله حاجة، إذا كان هذا المخلوق لا يسـتطيع أن يرزق نفسـه ولو ببصـلة، ولا أن يرفع عن نفسـه المرض أو الموت، فكيف يتوجه إلى من مثل هذا حاله، وكفاه من الشرك الأصغر، أفينسى العبد قاضي الحاجات، ويتوجه إلى من لا يستطيع أن يرفع عن نفسـه الموت، فعجبا والله كل العجب. ولم كل هذا التعب والله تبارك وتعالى يرزق عبده الصـادق من غير طلب. كما ورد عنه صـلى الله عليه وسـلم: (**علمه بحالي يغني عن سـؤالي**) وكان أكثر دعاء الأنبياء بلسـان الحال، كقول سـيدنا يونس عليه السـلام: "**لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**"[31] ودعاء سـيدنا أيوب

عليه السلام:"**وَ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَ أَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**"[32]، فكن مع الله تجد الله وليك في كل شيء. كما قال تعالى"**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا**"[33] فكن مع الله ولا تبالي.

الدرة [40]: إن لم تحسن ظنك به لأجل وصفه فحسن ظنك به لوجود معاملته معك، فهل عودك إلا حسنا، وهل أسدى إليك إلا مننا

الشرح: حسن الظن قمة في الأدب والسلوك لدى العارف بالله تعالى. أعظمه ما كان ناشئا عن شهود الجمال والجلال الإلهي بلا تفريق بينهما. بل يستوي عند العارف الكامل الشهود. لأن رحمة الله ورأفته بخلقه وتجليات كرمه عليهم لا تقف عند تجليات الجمال. بل قد يكون تجلي الجلال والقهر على العبد لتطهير باطنه وتوجيهه الكامل إليه أتم نعمة وأعظم منة. والواصلون إن حلت بهم شدة أو تجلى عليهم بقهره، رجعوا في نظرتهم إلى سابق الاختصاص الإلهي، أي إلى حسن لطفه وعنايته الكريمة بأهله، فيتلقون ذلك بوافر الرضى والقبول، فعلى العبد أن يكمل نظره وتعلوا ثقته. ويعتصم بالله تعالى في كل نفس من الأنفاس. فالذي أعطاك وأنت معرض، أفينساك وأنت طالب، اللهم أنت أرحم علينا من الأم بولدها، فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك يا رب يا رحيم.

الدرة [41]: العجب كل العجب ممن يهرب مما لا انفكاك له عنه، ويطلب ما لا بقاء له معه

الشرح: أي عجب أشد من أن يركن العبد إلى حظوظ تدبيره واختياره، فارا من قدر الله وقضائه، أفيهدم بذلك أمرا قد قدره الله، أم أن القضاء والقدر سيهدمان

ما بنياه، أفيأنس بالمخلوقات ويميل إلى حظوظ الدنيا الفانية ويعرض عمن بيده مقاليد الأرض والسماوات، وبدلا من أن تدفعه الرهبة منه إلى طاعته ومسالمته، تدعوه نفسه الأمارة بالسوء إلى الصد عنه والهرب منه، أفيهرب منه وكل شأنه معلق به، فمن سيرزقه إن استغنى عنه مولاه، أم من سيرحمه إن غضب عليه وأشقاه، قال تعالى في الحديث القدسي: **(من لم يرض بقضائي ويصبر على بلائي فليبتغ ربا سوائي)** وحقيقة لا يسعد العبد إلا بمجالسة الحق، لأنه لا يجد قلبه إلا مع المحبوب. اللهم ارزقنا دوام مجالستك ومشاهدتك ولا تقطعنا عنك بقاطع يا رب العالمين.

الدرة [42]: لا ترحل من كون إلى كون، فتكون كحمار الرحى يسير والمكان الذي ارتحل إليه هو الذي ارتحل منه ولكن ارحل من الأكوان إلى المكون "وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ"

الشرح: السير بالنفس حال صاحبة كحمار الرحى حيثما بدأ ينتهي يقول: أنا، أنا، من أنت؟! أنت لا شيء، فلولا فضله عليك لما ذكرت ولما صليت ولما قرأت القرآن، فالفضل الأول والأخير له سبحانه وتعالى، والعبد الموفق دائم الاضطرار والفرار إلى الله تعالى، يفر إلى الله بالتوبة النصوح في المقام الأول، ثم المراقبة والمحاسبة في المقام الثاني، ثم التحقق بالشهود والعيان في المقام الثالث، وهو المقام الذي أخبر عنه تعالى بقوله: "**وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ**"[34] ولا منتهى في المشاهدات، إذ لا نهاية للكمالات الإلهية.

الدرة [43]: لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله

الشرح: على المريد أن يصحب من ينتفع منه على الدوام، لا بحال دون حال، ثم وينهضـــك حاله، ويدلك على الله مقاله: وهو الذي انشـــغل قلبه وقالبه بالخالق العظيم جل شـــأنه، فإذا نظرت إليه صـــفت نفســـك وارتفعت همتك، وإذا تكلم كان كلامه دلالة على الله، وكما قيل: (**من دلك على الدنيا فقد غشـــك. ومن دلك على العمل فقد أتعبك، ومن دلك على الله فقد أراحك**)، وهو الشـيخ الناصـح المرشـد، العالم بعيوب النفس وأغراضـــها ودواعيها وأدوية أمراضـــها، فارغ من تهذيب نفســـه، ممتلئ بأنوار ربه، يبصـره بعيوب نفسـه، ويخرجه من دائرة حسـه، لأنه من لم يكن له شيخ يقوده إلى طريق الهدى، قاده الشيطان لا محالة إلى طريق الردى، وكما قال عليه الصـــلاة والســـلام (**المرء على دين خليلة فلينظر أحدكم من يخالل**)، اللهم هيأنا لصحبة الصالحين بالأدب الكامل يا رب العالمين.

الدرة [44]: ربما كنت سيئا فأراك الإحسان منك بصحبتك إلى من هو أسوء حالا منك

الشـرح: من رأى نفسـه أنه من أهل الشـقاء فعليه أن لا ييأس من نفسـه ولا يقنط من رحمة الله، قال تعالى: "**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**"[35] وقد يجمع الله تعالى عبدا أساء الظن بنفسه مع من هو أقل منه مرتبة، ليذكره بفضله عليه، وأنه لا يزال من عباد الله من هو أدنى منه مرتبة فيســـتغل هذه المفاضـــلة التي وجهها الله له، حتى يصـــلح الســـيء وينمي الحســـن من نفســـه، "**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ**

وَيَعْفُو عَنِ السَّــيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ"[36]، فإذا رجع إليه قبله، وإن أناب إليه تاب عليه، وسبحان المربي الحق تبارك وتعالى.

الدرة [45]: ما قل عمل برز من قلب زاهد، ولا كثر عمل برز من قلب راغب

الشــرح: الزاهد يلقى الحكمة من الله، وحقيقة الزهد مقام قلبي، وهي أن تكون ثقتك بالله أقوى من ثقتك بنفســك. قالوا في الزهد:(**الزهد بذل الموجود، وهو من الثقة بالمعبود، ومنع الموجود من ســوء الظن بالمعبود**) ولهذا فالزاهد أعماله مقبولة لأنه طرح الأغيار جانبا، فكان القليل منه يعادل الكثير، وعكس الزهد الطمع والميل إلى الدنيا فتكون ثمرته الإعراض عن الله تعالى، أو أعمال ذات قوالب بلا قلوب، وكلتاهما حالتان لا ترضيان الحق تبارك وتعالى.

الدرة [46]: حسن الأعمال نتائج حسن الأحوال، وحسن الأحوال من التحقق في مقامات الإنزال

الشـرح: أسـاس الأحوال الصـدق وأن يحمل العبد هم الآخرة فيرهب ويرغب ويتقي، فإذا ما اتقى كانت التقوى له زادا لحسـن الأعمال، وحيث فسـرت التقوى بأنها: (**الخوف من الجليل، والعمل بأحكام التنزيل، والرضـي بالقليل، والاسـتعداد ليوم الرحيل**) ومتى ما كان العبد متقيا، كان في وقاية من عذاب الله تعالى أو التعرض لسخطه وسوء الخاتمة، والعياذ بالله تعالى، ولهذا قال رضي الله عنه: (**حسن الأعمال نتائج حســن الأحوال**)، وأما قوله: (**حســن الأحوال من التحقق في مقامات الإنزال**) فإن من أشــرقت على قلبه الحقائق رفع همته عن الخلائق، وأقبل على الله تعالى

بالكلية، حين رأى ثمرة الصـــدق والإخلاص، وحلاوة الإيمان بعيدا عن الســـوى، ولذة المناجاة مع المولى، وسعادة القلب بشهود الرب تبارك وتعالى.

الدرة [47]: لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه، فغفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور

الشـــرح: أســـاس الذكر هو الامتثال لقول الله تعـــــــــالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا**"[37]. ومن رحمته في الآية لم يحدد نوع الذكر ولا كيفيته ولا صـــورته، لتفاوت أحوال المؤمنين ومراتب الســـائرين إليه ســـبحانه، ولهذا أوصـــى ســـيدي ابن عطاء الله رضـــي الله عنه بأهمية الذكر على كل حال، وعقد مقارنة بين الذاكر بغير الحال أو في حالة وجود الغفلة بعدم الذكر أصلا. فأنكر على الثاني ورفع همة الأول، لأنه من الطبيعي أن يبدأ الذاكر باللسـان مع كون القلب غير واع تماما، إذ قد تشـــغله الغفلة القلبية الطارئة، حتى يصـــدق الحال وتزول دواعي الغفلة، ويتنبه بالبكاء، والندم للنفس، حتى تتحصل يقظة القلب بوجود الرب، ومن بعد ذلك التحقق بالحضور، ولسان حاله يقول "**أنا حي حاضر وهو لحالي ناظر**"، ثم التحقق بالشهود، ولســـان حاله يقول: وجودي أن أغيب عن الوجود، بما يبدو علي من الشـــهود. اللهم أكرمنا بحضرة الشهود والعيان يا رب العالمين.

الدرة [48]: من علامات موت القلب عدم الحزن على ما فاتك من الموافقات وترك الندم على ما فعلته من وجود الزلات

الشرح: أصعب ما يكون بلادة الشعور القلبي والرضي عن النفس فلا تتحرك في محاسبتك على ما فات، ولا تتحرك للاستعداد لما هو آت، فهذا من علامات موت القلب، ولو كان القلب حيا لرأى اقل ذنب أمثال الجبال، ولطالت الأنات والزفرات ولزادت الحسرات والآهات على ما مضى مما لم يكن في رضى المولى والموافقات، الحمد لله الذي رزقنا القلب الحي المنور بذكره تعالى.

الدرة [49]: لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله، فإنه من عرف ربه استصغر في جنب كرمه ذنبه

الشرح: أكبر مصيبة هي اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى، فليس شيء أعظم من الله تعالى، "**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**"[38]. وليس أحد أكرم من الله تعالى، وأهل الله لا يرون لأنفسهم فعلا ولا تركا، فهم ينظرون إلى تعريف الحق وما يجري من سابق قدره، فيتلقونه بالقبول والرضى، فإن كان طاعة شكروا له وشهدوها منه تبارك وتعالى، وإن كان معصية اعتذروا وتأدبوا، ولكن لا يقفون مع أنفسهم، إذ لا وجود لها عندهم، وإنما ينظرون إلى ما برز من عنصر القدرة فنظرهم إلى حلمه وعفوه وإحسانه، وهو الذي كتب على ساق عرشه:(**رحمتي سبقت غضبي**) والظن بالله جميل، وإذا أكرم الله تعالى عبده بمعرفته علم أن لا أحد معصوم إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وتقرب إلى الله تعالى بأسمائه: كالعفو والكريم والغفور والرحيم والله أفرح بتوبة عبده من الظمآن الوارد، ومن العقيم المولود له، ومن الضال الواجد، ولكن لا ينبغي له أن يصغر عنده ذنبه ويحقر خطيئة مغترا بعلم الله تعالى.

الدرة [50]: لا صغيرة إذا قابلك عدله ولا كبيرة إذا واجهك فضله

الشــرح: الله تعالى يعامل العباد برحمته ومغفرته. ولو يعاملهم بعدله لهلكوا جميعا. كما قال تعالى: "**وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ**"[39]. ومن فضله تعالى أن رحمته سبقت غضبه، فالكبيرة تصبح صغيرة عندما يتجلى الحق تعالى بعفوه، والصــغيرة تصــبح كبيرة عندما يتجلى الحق تعالى بعدله وقالوا:(**من سبقت له العناية لم تضره الجناية**) ومن ذلك قول الأمام الجنيد رضي الله عنه: (**إذا بدت عين من الكريم ألحقت المســيء بالمحســن**) اللهم اجعلنا من أهل عنايتك ورعايتك يا كريم. وكن بنا راحما وعلينا شفوقا يا رب العالمين.

الدرة [51]: لا عمل أرجى للقبول من عمل يغيب عنك شهوده ويحتقر عندك وجوده

الشــرح: الله ســبحانه وتعالى يحب من عبده إذا عمل عملا أن يعمله محبة وعبودية لعظيم شــأن المعبود تبارك وتعالى، وهو رب يحب، ورب يســتحق أن يعبد، نعبده لذلك عبادة الأحرار، لا عبادة التجار، عبادة الذين يشــهدونه ولا يشــهدون سواه، عبادة الذين مهما عملوا يتهمون نفوسهم بالتقصير، كما قال الإمام النهرجوري رضي الله عنه: (**من علامات من تولاه الله أن يشهد التقصير في إخلاصه، والغفلة في أذكاره، والنقصان في صدقه، والفتور في مجاهدته، وقلة المراعاة في فقره، فتكون كل أحواله عنده غير مرضية، ويزداد فقرا إلى الله في قصده وسيره، حتى يفنى عن**

كل شيء دونه) وهذا حال من تجلى الله تعالى على قلبه فشهد عظمته وصغر عنده كل ما سواه.

الدرة [52]: إنما أورد عليك الوارد لتكون به عليه واردا

الشرح: إذا أحب الله عبدا أسمعه ليقربه، وألهمه ليجذبه، وذلك من عظيم لطفه، وعنايته الكريمة بأهله، حتى يكونوا دائما بين يديه، ونفوسهم متوجهة إليه وقلوبهم منشغلة به، وأرواحهم متعطشة له، ولهذا فالله سبحانه وتعالى عندما يكرمك بالوارد، عليك ألا تنحجب بهذا الوارد عن المورد تبارك وتعالى، والواردات ثلاثة أقسام كما قسمها سيدي ابن عجيبة رضي الله عنه: القسم الأول: وارد الانتباه: وهو نور يخرجك من ظلمة الغفلة إلى نور اليقظة، وهو للمبتدئين. القسم الثاني: وارد الإقبال، وهو نور يقذفه الله تعالى في قلب عبده فيحركه لذكر مولاه ويغيبه عما سواه، فلا يرى إلا النور، فيخرج من سجن الأغيار، ويتحرر من رق الآثار، أي من شهود المحسوسات إلى شهود رب الأرض والسماوات، وهو للمتوسطين. القسم الثالث: وارد الوصال، وهو نور يستولي على قلب العبد ثم يستولي على ظاهره وباطنه فيخرجه من سجن نفسه ويغيبه عن شهود حسه، حتى لا يرى ولا يسمع ولا يجد ولا يحس إلا به تبارك وتعالى.

الدرة [53]: أورد عليك الوارد ليتسلمك من يد الأغيار، ويحررك من رق الآثار

الشرح: الواردات هدية من الله تعالى والهامات لعبده الصادق كرامة له بعد طهارة قلبه ونفسه وكثرة ذكره لربه، حتى يغيب عن سواه، فتزول من قلبه الأغيار، ويتهيأ لشهود الأنوار، أي أنوار الصفات ليشهد المؤثر في الأثر، والصانع في الصنعة

دون أن يحجبه التعلق بالصنعة عن شهود الصانع، ولا تعدد الآثار عن توحيد المؤثر فيها فكلها إنما قامت بأسمائه وصفاته وأشارت بحركاتها ونظامها إليه، فسبحت بحمده، وقامت تدل عليه، قال تعالى: "**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا**"[40].

الدرة [54]: أورد عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك إلى فضاء شهودك

الشرح: هنا الوارد هو وارد الوصال، وهو الوارد الذي يخرج به المريد من سجن شهود وجود نفسه، إلى فضاء شهود ربه، أي إلى اتساع شهود المولى عز وجل، وذلك بعد تحققه بالفناء، أي بزوال الأشياء وفنائها، أو رؤيتها ظلالا، وتفيض عليه أنوار اليقين ولسان حاله يقول:

وجودي أن أغيب عن الوجود   بما يبدو علي من الشهود

ويتذوق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: "ألا كل شيء ما خلا الله باطل"**). اللهم حققنا بالفناء بك والبقاء يا رب العالمين.

الدرة [55]: الأنوار مطايا القلوب والأسرار

الشرح: السالك إلى الله تعالى يحتاج في سيره إلى مطية تقطع عنه مسافات حجب النفس، وتوصله إلى حضرة الجناب الأقدس، بعد قطع علائق القلب، وعلى

رأسها توهم وجود النفس، بالذكر الكثير المتواصل، وهذه المطايا هي الأنوار التي يكرم الله تعالى بها عبده ويوجهه بها إليه، والتي تثمر المعرفة بالله تعالى ومحبته وشهوده، والتي هي أسمي المقامات الروحية، والتي تنتهي بتنزل سر الربوبية في القلب، فيشعر العبد بانمحاق أوصافه بأوصاف الحق تعالى فيغيب عن نفسه بالكلية، ويفنى في الذات العلية، وفي هذه الحال تصبح النفس سرا من أسرار المولى عز وجل، لا يعلمها إلا الله، قال تعالى "**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**"[41]. ومن هنا قال سيدي ابن عجيبة رضي الله عنه: (السر أدق وأصفى من القلب، والكل اسم للروح، فان الروح ما دامت متظلمة بالمعاصي والذنوب والشهوات والعيوب سميت نفسا، فإذا انزجرت وانعقلت عقال البعير سميت عقلا، فما زالت تتقلب في الغفلة والحضور سميت قلبا، فاذا اطمأنت وسكنت واستراحت من تعب البشرية سميت روحا، فاذا تصفت من غبش الحس سميت سرا، لكونها صارت سرا من أسرار الله تعالى، حيث رجعت إلى أصلها وهو سر الجبروت.

الدرة [56]: النور جند القلب كما أن الظلمة جند النفس، فإذا أراد الله أن ينصر عبده أمده بجنود الأنوار وقطع عنه مدد الظلم والأغيار

الشرح: النور عبارة عن اليقين الذي يحصل في القلب، ويثمر حلاوة العمل، وهو كما وصف رضي الله عنه: جند من جنود القلب، كما أن الظلمة جند النفس وهذا تحقيق قوله صلى الله عليه وسلم: (**على قلب أبن آدم لمتان: لمة من الشيطان ولمة من الملك**) ولمة الشيطان تدفع النفس إلى الباطل، بما يوسوسه لها من أوهام خادعة أو شكوك باطلة. ولمة الملك تدفع النفس إلى الحق بما يورده لها من معرفة صادقة وشهود قلبي يقيني، فالمعرفة الصادقة تدحض الأوهام الخادعة والشكوك الباطلة، من باب قطع الشك باليقين، والشهود القلبي يمحق الشهوات الباطلة حين يشهد القلب حقيقة الدنيا وأنها مظاهر خادعة، وأن حقيقتها زائلة، فيحصل له

التوجه الصادق للحي القيوم الباقي، وهكذا تهزم جنود القلب جنود النفس، فتنقطع الأغيار، وتزول الحجب وظلمات الحس، فلا يبقى أثر للظلمة مع وضح النهار، ويتقلب العبد بين الأسرار والأنوار. والقلب إذا ما ستضاء بنور التقوى عرف ما يضره وما ينفعه كما قال تعالى:"**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**[42]" . أي نورا تفرقون به بين الحق والباطل.

الدرة [57]: النور له الكشف والبصيرة لها الحكم والقلب له الإقبال والإدبار

الشرح: أشار سيدي ابن عطاء الله رضي الله عنه إلى أن القلب لا يكشف بنفسه، إلا بسر النور الفائض إليه، فعندما يبصر السالك أمرا ينقله إلى بصيرته فتحكم عليه البصيرة إن كان نافعا له أو ضارا، حسنا أم قبيحا، صالحا أم طالحا، فاذا حكمت بصيرته بصلاح هذا الشيء أقبل العبد بقلبه إليه، وإن حكمت بصيرته بضرره عليه أدبر عنه مستغنيا عنه، وعلينا أن نعلم أن البصيرة في عالم الروح ويسمى عالم الخيال، وكلما كانت الروح لطيفة والقلب صافيا كلما كان الكشف أقوى وأظهر، ولهذا فان نور الحقيقة يكشف ظلمة الأكوان ويظهر نور الشهود والعيان.

الدرة [58]: لا تفرحك الطاعة لأنها برزت منك وافرح بها لأنها برزت من الله عليك

الشرح: الفرح إنما هو بفضل الله ورحمته، قال تعالى: "**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**"[43]. ولهذا فمهما عمل العبد من عمل صالح عليه أن لا يشهد العمل من نفسه بل يشهده من ربه، فالله تعالى هو الذي هيأه لهذا العمل وعلمه إياه واقدره عليه، ولولا كرم الله تعالى لم تقم

لهذا العمل قائمة. قال تعالى "**وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ**"[44]، وربما شـــهد العبد في الطاعة نفســه وقصــد متعته وحظه، فأشـرك بربه وأخل بأدبه، وأما أهل الله تعالى، فكما قال سـيدي ابن عجيبة رضـي الله عنه:(**أهل الله تعالى إن فرحوا بالطاعات فيفرحون بها من حيث أنها عنوان الرضى والقبول، وسـبب في القرب والوصـول، فهي هدايا من الملك الكريم، ومطايا تحملهم إلى حضرة النعيم، لا يرون لأنفسهم تركا ولا فعلا، ولا حولا ولا قوة، بل يرون أنهم محمولون بالقدرة الأزلية، مصرفون بالمشيئة الأصلية**) فعليك أيها العبد ألا تشـــهد الفعل، بل اشـــهد الفعال بحق تبارك وتعالى، لتكون من السعداء والموفقين للخيرات ظاهرا وباطنا بمنه وكرمه آمين.

الدرة [59]: قطع السائرين له والواصلين إليه عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم، أما السائرون فلأنهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها، أما الواصلون فلأنه غيبهم بشهوده عنها

الشــرح: الســائر إلى الله لا يزال يتخبط في عمله حتى يصـــل، ولا يحالفه التوفيق الكلي حتى يصـــدق، فمن لم يجد همة في العمل، أي في الخدمة والعبادة أو وجد كسلا في الطاعة، فليعلم أن القطع والفشل إنما كان بسبب قلة الصدق، فليتهم نفسه على ذلك، ولهذا فقوله رضي الله عنه: قطع السائرين له عن رؤية أعمالهم، لأنها لم تقم لها قائمة أصـــلا، وأما قوله: قطع الواصـــلين إليه عن رؤية أعمالهم وشـــهود أحوالهم، فلأنهم لا يشـهدون أعمالهم، وإنما يشـهدون الحق تعالى المتجلي فيها، والحق أنه لا عمل أرجى لحياة القلب من عمل يكون بالله لله، ويكون العبد غائبا في الله عما ســـواه، غير ملاحظ فيه حظوظه وهواه متبرئا فيه من حوله وقواه، والقلب اذا وجد عظمة المولى صغر عنده كل السوى.

الدرة [60]: ما بسقت أغصان ذل إلا على بذور طمع

الشـرح: يشـير رضـي الله عنه إلى أن الطمع هو أصـل الذل، والعبد الصـادق يرفع همتـه عن الخلائق، لأنـه مـاذا سـيجني من افتقر إلى ضـعيف مثلـه إلا المهانـة والذلة، أفيرفع حاجته إلى الدني اللئيم، وينسـى ربه الغني الكريم، وقد قال الشـيخ أبو الحسـن الشـاذلي رضـي الله عنه:(**أيسـت من نفع نفسـي لنفسـي، فكيف لا أيأس من نفع غيري لها، ورجوت الله لغيري فكيف لا أرجوه لنفسـي**) وقال أبو الحسـن الوراق رضـي الله عنه: (**من أشـعر نفسـه محبة شـيء من الدنيا فقد قتلها بسـيف الطمع**) وقال أبو بكر الوراق رضـي الله عنه:(لو قيل للطمع من أبوك: لقال الشـك في المقدور، فلو قيل ما حرفتك لقال: اكتسـاب الذل، فلو قيل له ما غايتك: لقال الحرمان) وفي هذا المعنى أنشدوا:

اضرع إلى الله لا تضرع إلى الناس ، واقنع بعز فإن العز في اليأس

أي في اليأس عما في أيدي الناس.

الدرة [61]: ما قادك شيء مثل الوهم

الشـرح: قامت الحياة على الأسـباب والوسـائط، وهي في الحقيقة أوهام، لا على انه منعدم وجودها، بل منعدم وجودها بذاتها، لأنه لا حركة ولا سـكون إلا بأمر الله تكون، أما الإنسـان فبطبيعته متوهم، يتوهم أنه هو الذي يفعل بنفسه، ويتحرك بنفسـه، ويرفع بنفسـه، ويخفض بنفسـه، وفي الحقيقة لا محرك إلا الله، ولا رافع إلا الله، ولا خافض إلا الله، ولا محي ولا مميت ولا معز ولا مذل بحق إلا الله تبارك وتعالى وحده، ولكن للأسـف أغلب الخلق يتبعون الأسـباب وينسـون المسـبب الحقيقي تبارك وتعالى، والعوام تعلقوا بالخلق فمنعوا من السير إلى الملك الحق، وأما أهل الله وخواص

خواصـــهم فلم يحجبهم عن الله شـــيء، إذ قطعوا حجاب الوهم وتحقق لهم من الله العلم والفهم، وبالنسبة لموضوع الوهم كان سيدنا الهاشمي رضي الله عنه يحدثنا عنه صحائف ليعرفنا بالموجود الحق تبارك وتعالى.

الدرة [62]: أنت حر مما أنت عنه آيس، وعبد لما أنت له طامع

الشـرح: هنا يتحدث رضـي الله عنه عن مقام الحرية فيما يتعلق بزوال تعلق العبد بالمخلوقات بالخلاص من تأثيرها على القلب، وبالمقابل الانقياد بالعبودية الكاملة لله تبارك وتعالى وحده، لأن العبد أذا مالت به الأهواء للتعلق بالأغيار أصـــبح بطبيعة الحال خاضعا لها، والخضـوع رديف العبودية وقد قال صلى الله عليه وسـلم: (**أعظم إله عبد من دون الله الهوى**)لأن حبك للشـيء يعمي ويصـم، وهذه هي حقيقة العبودية، ولذلك قالوا: لا يجتمع في القلب عبوديتان: إما عبودية الحق، أو عبودية الخلق، وأشـــقى الناس من كان عبدا لغير الله تعالى، ولهذا فالأياس من الأشـــياء ورفع الهمة عنها هو سبب العز والحرية، ولله در القائل:

رأيـت القناعـة رأس الغنى　　فـصـرت بأذيالها ممتسك

فألبسـني عـزها حـلـة　　يمر الـزمان ولا تنتهـك

الدرة [63]: من لم يقبل على الله بملاطفات الإحسان قيد إليه بسلاسل الامتحان

الشـرح: هنا يفسـر رضـي الله عنه أسـباب البلاء لأهل الاجتباء الإلهي، وهو تقصـــيرهم في القيام بوظائف العبودية لأنهم مســخرون لخدمته، وان لهم مقامات

عنده، فإذا أكرم الله تعالى عبده بمقام وقصـر العبد في حق هذا المقام ابتلاه بالأوجاع والأمراض وبألوان الابتلاء حتى يحفظ عليه مقامه، لأن طبيعته الكريم إذا أعطى لم يسلب، والنفوس الكريمة تقبل على الله تعالى بملاطفات الإحسان لأن الأصل أن الله تعالى يستدعي العباد لطاعته بسعة الأرزاق ودوام المعافاة ليرجعوا إليه بنعمته، فان لم يفعلوا ابتلاهم بالسراء والضراء لعلهم يرجعون، فالأولون أتوا إليه طوعا والآخرون أتوا إليه بسلاسل الامتحان، الأولون أفرغوا قلوبهم من غير الله تعالى حيث أخرجوا الدنيا من قلوبهم وجعلوها في أيديهم وشكروا الله تعالى عليها وتشوقوا إلى معرفة المنعم بها، فكانت مطيتهم في الوصول إليه، وهؤلاء هم المقصودون بقوله تعالى "**وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**"[45]. والآخرون بسطت عليهم النعمة فانشغلوا بها عن النهوض إليه، فيسلبها منهم ويضربهم بالبلايا والمحن لعلهم يتضرعون، اللهم اجعلنا من أهل الشهود والعيان ولا تجعلنا من أهل الابتلاء والامتحان يا رب العالمين.

الدرة [64]: من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها

الشرح: وهذا معنى قوله تعالى: "**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**"[46]. فقضى الله بالمزيد مع الشكر، وأي شيء أرفع من مقام الشكر الذي يندرج فيه جميع مقامات الإيمان حتى المحبة والرضا والتوكل وغيرها، فلعظيم مقامه كان ضده الكفر أي كفر النعمة والتعرض لزوالها مع وقوع سخط الله تعالى على صاحبها ولهذا قال تعالى: " **وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**" ولهذا فمن أراد أن يحفظ الله عليه النعمة وخاصة مقام الإحسان فليتذكر الحنان المنان، فيذكره باللسان ويستقيم عليه بالأركان ويشهده بالجنان. والشكر على ثلاث درجات: عوام وخواص وخواص الخواص، وشكر العوام على النعم فقط، وأما شكر الخواص فعلى

النعم وعلى النقم، وأما شــكر خواص الخواص فبالغيبة في المنعم عن شــهود النعم والنقم.

الدرة [65]: خف من وجود إحسانه إليك ودوام إساءتك معه أن يكون ذلك استدراجا لك

الشــرح: يوجه رضـي الله عنه سـالك طريق الحق عز وجل ألا يأمن من مكر الله تعالى، وخاصــة عند تقريبه الحق تعالى له، لأنه كلما كان للقرب عظيما كانت المسائلة شـديدة، وأشـد الناس بلاء أو حسـابا الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم أي الأولياء ثم الصـالحون، وكذا فليحذر السـالك إلى الله تعالى من دوام إحسـان الحق إليه بالصـحة والفراغ وسـعة الأرزاق ودوام الإمدادات الحسـية والمعنوية مع دوام إساءته معه بالغفلة والتقصير أن يكون ذلك استدراجا منه سبحانه، قال تعـــالى: "**سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ**"[47]. أي أن يرى إسـاءته إحسانا ويصر عليها حتى يبغته الله بغضـبه والعياذ بالله، وفرق كبير بين الكرامة والاسـتدراج: الكرامة لأهل السـبق والعناية بتكريمهم بالشـهود والصـدق في العهود، وأما الاسـتدراج فلأهل العلل والحظوظ، علـة زائلـة وحظ منقطع، تؤخـذ النعمـة منهم شــيئا بعد شــيء وهم لا يشعرون، فكل ما من به عليهم فهو محنة وليست منة. والعياذ بالله تعالى.

الدرة [66]: من جهل المريد أن يسيء الأدب فتؤخر العقوبة عنه فيقول، لو كان هذا سوء أدب لقطع الإمداد وأوجب البعاد، فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر، ولو لم يكن إلا منع المزيد، وقد يقام مقام البعد وهو لا يدري، ولو لم يكن إلا أن يحيلك وما تريد

الشرح: نعوذ بالله تعالى من مكره سبحانه ومن جملة ذلك الإمهال، وخاصة للمريد المغتر أو المنقطع عن شهوده الباطن ولا يراقب إلا الظاهر فإذا ما أساء ظاهره في شيء ولم تعجل له عقوبة، نسي الإساءة ونسي المحاسبة وتراكمت عليه الآثام، فلم يزدد هذا العبد إلا بعدا من حضرة الحق تعالى من حيث لا يشعر، إذ تؤخذ منه النعمة هذه النعمة التي لم يشكر عليها شيئا بعد شيء، ولو لم يكن من العقوبة كما قال رضي الله عنه إلا منع المزيد أي توقف العطاءات والإكرامات الإلهية وحصول الحجاب، لكان هذا كافيا بحقه، لأنهم كما قالوا عليهم الرضوان: (**من لم يكن في زيادة فهو في نقصان، ومن كان يومه شر من أمسه فهو في خسران**)، والأصعب منه أخذ البغتة والعياذ بالله تعالى، كما قال الشاعر: وأعظم شيء حين يفجؤك البغت، نعوذ بالله من السلب بعد العطاء ومن الحور بعد الكور، اللهم لا تؤمنا مكرك ولا تهتك عنا سترك ولا تجعلنا من الغافلين يا رب العالمين.

الدرة [67]: إذا رأيت عبدا أقامه الله تعالى بوجود الأوراد، وأدامه عليها مع طول الإمداد، فلا تستحقرن ما منه مولاه، لأنك لم تر عليه سيما العارفين ولا بهجة المحبين فلولا الوارد ما كان ورد

الشرح: الأصل في دين الحق عز وجل الاستقامة، والدين على معناه الكامل شريعة وطريقة وحقيقة، كالشجرة، الشريعة جذرها والطريقة جذعها والحقيقة ثمارها، وإذا ما وجد الأصل وتهيأت ظروف الإمداد أيقينا بظهور بركات المدد ولو

تأخرت والعبد إن دامت خدمته لله عز وجل واســتمر على أوراده فلا يجوز لأحد أن يســتحقره، ولو لم تظهر عليه بهجة المحبين وهي الفرح بمحبوبه، فقد يكون حاله السـكون، وقد تسـبق العناية الهداية، لأنه لولا وجود الوارد الإلهي في باطنه ما قدر على إدامة أوراده، وفي التحقيق الأمر كله بيده وما ثم إلا سابقة التوفيق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الدرة [68]: قوم أقامهم الحق لخدمته، وقوم أختصهم بمحبته

الشــرح: أهل الله معادن، أي متفاوتون في درجاتهم ومراتبهم ما بين منشــغل بالعبادة وما بين منشغل بالمعبود، ما بين طالب ومطلوب، وشتان بينهما: أهل الخدمة طالبون للأجور من وراء الباب، وأهل المحبة رفعت عنهم السـتور فشـاهدوا الأحباب، أهل الخدمة أهل دليل وبرهان، وأهل المحبة أهل شـهود وعيان. أهل الخدمة لا تنفك عنهم الحظوظ، وأهل المحبة تصـب عليهم الحظوظ وهم غائبون عنها، أهل الخدمة محبتهم مقسـومة أي ما بين حق وخلق، وأهل المحبة محبتهم مجموعة لا يعرفون إلا الحق، أهل الخدمة أصحاب أهل اليمين، وأهل المحبة هم السابقون المقربون، ولذلك دام أهل المحبة في خدمتهم ونفذ المحبون إلى شهود ربهم فاستراحوا من الخدمة لا أنهم تركوها وإنما لم يتكلفوها لأنهم ذاقوها ذوقا فصارت بالنسبة لهم كلفا من غير تكلف، وكلهم عبيد الله وإن كانوا متفاوتين عنده في المرتبة. قال تعالى: "**انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَ أَكْبَرُ تَفْضِيلًا**"[48].

الدرة [69]: قلما تكون الواردات الإلهية إلا بغتة لئلا يدعيها العباد بوجود الاستعداد

الشــرح: الوارد الإلهي يأتي فجأة حتى لا يزن السـالك قيمة الوارد بعمله أو يظن أنه اسـتوهبها بالقدرة على حملها، وحقيقة الواردات مواهب من حضـرته

سـبحانه، وهي كما فسـرها سـيدي ابن عجيبة رضـي الله عنه: (**نفحات إلهية يهب نسـيمها على القلوب والأرواح أو الأسـرار في جبروت العزيز الجبار فتطيش فرحا وسـرورا، وترقص شـوقا وحبورا**). لذلك يجب على المريد أن يسـجل ويكتب كل وارد يأتيه لآن هذه الواردات ترقيه له من مرتبة لأخرى.

الدرة [70]: من رأيته مجيبا عن كل ما سئل، ومعبرا عن كل ما يشهد، وذاكرا كل ما علم فاستدل بذلك على وجود جهله

الشـرح: طريق القوم مبني على التقوى والورع، لأنه جمع بين الشـريعة والطريقة، أي ما بين الأخلاق الإسـلامية وآداب مقام الإحسـان العالية الموافقة لها، ومن جملة ذلك ألا يجيب السـائل عن أي سـؤال إلا أن يكون متحققا منه إن كان في الشـريعة أو في الحقيقة، قال صلى الله عليه وسـلم: (**أجرؤكم على الفتوى أسـرعكم إلى النار**) ويركز رضـي الله عنه على الحقيقة محذرا من المغرضـين المتصـدرين لكلام القوم فيما إذا كان ظاهره مشـكلا يفسـرونه على أهوائهم بما لا يتناسـب مع قدر أصـحابه وسـلامة معتقداتهم بالله عز وجل في معرفته، وأمر آخر ينبه عليه الشـيخ المريد المبتدئ من محبة البوح بالكشـف أو الرؤيا والمنامات لأنه من عاش في المنامات ففي المنى مات، وقد يؤديه ذلك إلى الاغترار ورؤية النفس، وقد يؤديه ذلك إلى التكلف لأن كثيرا من الأسـرار لا يعبر عنها، وقد قال صلى الله عليه وسـلم:(**أنا وأمتي برئاء من التكلف**)ومن الحكمة مخاطبة الناس بما يعقلون ويفهمون، قال سـيدنا علي كرم الله وجهه:(**خاطبوا الناس بقدر عقولهم أتحبون أن يكذب الله ورسـوله**) وقد قيل للإمام الجنيد رضـي الله عنه: (**يسـألك الرجلان فتجيب هذا بخلاف هذا، فقال: (الجواب على قدر السائل**) وقال عليه الصلاة والسلام:(**إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ كَهَيْئَةِ الْمَكْنُونِ، لا يَعْرِفُهُ إلا الْعُلَمَاءُ بِاللَّهِ عزَّوجَلَّ، فَإِذَا نَطَقُوا بِهِ لَمْ يُنْكِرْهُ إلا أَهْلُ الْغِرَّةِ بِاللَّهِ تعالى**).

الدرة [71]: إنما جعل الدار الآخرة محلا لجزاء عباده المؤمنين لأن هذه الدار لا تسع ما يريد أن يعطيهم، ولأنه أجل أقدارهم عن أن يجازيهم في دار لا بقاء لها

الشـرح: الله سـبحانه وتعالى قدر لكل شـيء قدرا ففي الدنيا يكرم الله تعالى عبده بالتوفيق في الطاعات وتيسـير الأمور وشـرح الصـدور وإكرامات الشـهود، وهي الثمرة ولكنها غيض من فيض بحر كرمه وجوده مما انطوت عليه جنة المعارف في الآخرة جنبا إلى جنب مع جنة الزخارف، التي أقل واحد فيها ينال الدنيا على عشـرة أضـعافها، لأن الدنيا لا تسـتحق أن تكون المحل الحقيقي للكرم الإلهي، لأنها ضـيقة الزمان والمكان، وما سـميت دنيا إلا لدناءتها أو دنوها، ووسـمها بسـمة الفناء والزوال والتغير ما بين فرح وترح، وما بين سـرور وحزن، وأما بالنسـبة لقلب العارف فلم يكن محلا كاملا للتجلي كذلك؛ لأنه جعل الدنيا للتهيئة والآخرة للعطية وأسعد الساعات في الجنة على الكثيب الأبيض عند رؤية الحق سـبحانه وتعالى، اللهم أسـعدنا برؤيتك وشهود كمالاتك القدسية في مقعد الصدق والعندية.

الدرة [72]: من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول آجلا

الشرح: من أثمر عمله في البداية حالا واستقامة، أنسا وصفاء، أنس القلب بالمراقبة وصـفاء الروح بالمشـاهدة، وفرح السـر بالمكالمة فذلك لوجود الصـدق والإخلاص، وهذه أمارات الاختصاص والولاية، ومن قبله الله اختصه وأخلصه لنفسه وأكرمه بجنبه وجنته، أي جنة الشـهود والعيان في الدنيا قبل الآخرة. قال تعالى "**إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**"[49]. وهذا الفعل يدخل فعل حاضر ومستمر، أي لا يزال الله تعالى يدخل عبده في الأحوال

والمقامات في جنات الجنان ونعيم المعرفة المقيم والشهود والعيان حتى يكمل في المرتبة، ويبشر من أول لحظة الصدق بحس الخاتمة والسبق.

الدرة [73]: إذا أردت أن تعرف قدرك عنده فانظر إذا فيما يقيمك

الشرح: لكل عبد مقام ومقامه حسبما دلت أحواله عليه، وإذا أراد العبد أن يعرف منزلته عند الله فليعرف منزلته عنده كيف هو في الأوامر والنواهي، أين هو من الذكر والحضور والمراقبة، ما هو حظه من الشهود والعيان، قال تعالى "**بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ . وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ**"[50]. ولا يعظم قدر العبد عند الله حتى لا يشغله عن الله شيء، حتى يكون تحركه وسكونه بالله وحياته لله، وفناؤه في الله، فمتى أتصف بهذه الأوصاف وسلك مسالك الصادقين والمحبين أصبح ذو قدر عند الله وجاه.

الدرة [74]: متى رزقك الطاعة والغنى بك عنها فاعلم أنه أسبغ عليك نعمة ظاهرة وباطنه

الشرح: إذا أكرم السائر إلى الله تعالى بزاد السير وهو الطاعة والاستقامة فقد حصل خيري الدنيا والآخرة، واقرا معي إن شئت قوله تعالى "**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ**"[51]. وأنظر إلى بشارة الله لأهل الاستقامة وبالذات قوله تعالى "**أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا**". أليست هي نفسها بشارة الله لأوليائه قال تعالى "**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**"[52]، وإن الله سبحانه وتعالى وعد من ركب مركب المجاهدة أن يحط بساحل المشاهدة، قال تعالى: "**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**"[53]. ومن ركب مركب الصبر أن يحط بساحل الأمر، قال تعالى" إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ

حِسَـــابٍ". ومـن ركـب مـراكـب الـفـنـا أن يـنـال مـراتـب المـنى، قـال تـعـالى "**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**"[54]، ولكن على شــرط ألا يشــهد لنفســه فعلا وإنما يشــهده من الله، أو بمعنى أن يكون غنيا بالله لا بطاعته، تصديقا لقوله عليه الصلاة والسلام:(**لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ**).

الدرة [75]: خير ما تطلبه منه هو ما طلبه منك

الشرح: عليك أيها المريد الوارد على الله تعالى ألا يخطر على قلبك إلا ما أحبه لك ربك لا ما أحببته لنفســك، منشــغلا بما أراده منك من العبودية والعبدية، أي بتحقيق العبودية في الظاهر وكمال المعرفة في الباطن، مكثرا من ذكره، مســتســلما لقهره، مســتغنيا بالله عن كل ما عداه، فاقصـده لذاته هو وبالكيفية التي أرادها لك، مع الاسـتقامة التامة: وهي الاسـتقامة على الشـريعة والطريقة والحقيقة، الاسـتقامة على الشــريعة بفعل ما أمر والانتهاء عما نهى عنه وزجر، والاســتقامة على الطريقة بملازمة الأوراد وأســس الطريقة من الأدب والذكر والمراقبة والمحاســبة والمرابطة، والاستقامة على الحقيقة بمجانبة الأغيار وملازمة شهود الواحد القهار تبارك وتعالى.

الدرة [76]: الحزن على فقدان الطاعة مع عدم النهوض إليها من علامة الاغترار

الشــرح: من علامة الاغترار الركون إلى ما لا حقيقة له، فمن حزن على شــيء ولم يتخذ أســبابه أصــلا فهو مغتر، لأنه لا يزال على تقصــيره وإهماله فحزنه حزن الكاذبين، لأن الصــادقين إن حزنوا فحزنهم على شــيء فاتهم في الماضــي بعد إصــلاح

أحوالهم وصدقهم مع الله تعالى في الآتي، أو لأمر اتخذوا أسبابه ولم يحالفهم الحظ في الوصول إليه، ومن هنا يظهر أن الأهم من الأسف على سوء الحال وضعف الإقبال على الله تعالى، إصلاح الحال ظاهرا وباطنا بالتوبة والإنابة والهمة العالية، لأن الله تعالى يبغض التراخي والكسل، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يستعيذ دائما من ذلك فيما ورد في القول المأثور عنه: (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ**) ويثني على صاحب الهمة العالية بقوله: (**علو الهمة من الإيمان**)، وضعف الإقبال على الله تعالى والكسل صفة من صفات النفاق، قال تعالى عن المنافقين "**وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى**"[55]. بينما قال عن أهله "**رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ**"[56]. والرجل أصله الفتوة والنباهة واليقظة، أصلة الجد في العمل والمثابرة، لا أصله العجز والكسل، وصاحب الهمة العالية هو الذي يحقق المراتب السامية والمقامات السنية.

الدرة [77]: ما العارف من إذا أشار وجد الحق أقرب إليه من إشارته، بل العارف من لا إشارة له لفنائه في وجوده وانطوائه في شهوده

الشرح: العارف الكامل معاملته مع الله شهود، وأدب كامل مع المعبود، ولا يتوجه للمطالب، بل يرغب في المطلوب عن المطالب، وإن اضطر إلى شيء كان حاله يغني عن سؤاله فيعطي من غير طلب ظاهر لتعلقه الكامل بشهود الباطن الحق تبارك وتعالى، ولذلك فالمبتدئ يدعو باللسان، والكامل يدعو بالحال، كما كان حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في سؤالهم وفي تحقيق معرفتهم بربهم التي كانت سرا في باطنهم، إذ كانت تتقلب فيهم الأسرار والأنوار والمعارف والحقائق وظاهرهم جامد أو ساكن، كما قال تعالى "**وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ**"[57]. وهكذا العارف بربه شهوده تمكن ووصوله تحقق، قد سكنت أحواله، وهدأت نفسه، لفنائه في وجود الحق تعالى، حتى اكتمل شربه وزال وهمه وثبت علمه، كما قال سيدي أبو العباس

المرسـي رضـي الله عنه: (**إن لله عبادا محق أفعالهم بأفعاله وأوصـافهم بأوصـافه، وذاتهم بذاته، وحملهم من أسراره ما تعجز عنه الأولياء**) .

الدرة [78]: الرجاء ما قارنه عمل وإلا فهو أمنية

الشـرح: الأمنية اشتهاء وتمن لا يصاحبه عمل، وأما الرجاء الصادق فيدعو إلى العمل؛ كما قال تعالى "**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـالِحًا وَلَا يُشْـرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**"[58]. وإن أفضـــل الخلق عند الله منزلة وأعظمهم درجة هم الذين أحســنوا فيما دعاهم إليه من عبادة بالمســارعة في القرب منه تعالى فيما يحب من عبادة ومن معاملة حيث هم أنفع الناس لعباده، وخير الناس أنفعهم للناس، وإذا كانت الجنة تحتاج إلى مهر وثمن كما أشــار بذلك الحبيب المصــطفى صــلى الله عليه وســلم بقوله: (**أَلاَ إِنَّ سِــلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ أَلاَ إِنَّ سِــلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةَ**) فكيف بمن أراد الله تعالى، قال صلى الله عليه وسـلم: (**إِنَّ الإِيمَانَ لَيْسَ بِالتَّحَلِّي وَلا بِالتَّمَنِّي، إِنَّمَا الإِيمَانُ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَّقَهُ الْعَمَلُ**).

الدرة [79]: مطلب العارفين من الله الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية

الشـــرح: العارفين ليس لهم طلب إلا رضـــى المطلوب الحق تبارك وتعالى، وحالهم دائما: (**اللهم أنت مقصـودي ورضـاك مطلوبي**)، والطلب وليد الرغبة والميل، فإذا تحقق الميل صـــدقت الرغبة وتولد العزم وأثمر العمل، فكيف بالذي كل ميله إلى الله، لا شـك سـتكون كل حياته عبودية، والله سـبحانه وتعالى خلقنا لنعرفه ولا نعرفه إلا إذا قمنا بحقوق ربوبيته، وأما حقوق العبودية فالنهوض إلى كمال الطاعات والحزن على ما ســلف من الغفلات، وأما حقوق الربوبية: فاســتقامة الباطن بمعرفة المعبود

والفناء في شـــهوده، فيكون ظاهره قائما بوظائف العبودية، وباطنه متحقق بحقوق الربوبية، اللهم اجعلنا أهلا لذلك يا رب العالمين.

الدرة [80]: بسطك كي لا يبقيك مع القبض، وقبضك كي لا يتركك مع البسط وأخرجك عنهما كي لا تكون لشيء دونه

الشـــرح: إذا أراد الحق تعـالى أن يتجلى بنوره على عبـده ليخرجـه من رق الأغيار ويدفعه إلى حضرة الأسرار أول ما يتجلى عليه يتجلى عليه بالقبض، فإذا أخذه القبض وتمكن من الخوف أحس بوطـاه القهر الإلهي، وأحرقتـه أنواره الجلاليـة، فيشـــعر القلب بالفرح، ويشـــعر الجســـم حين تتزاحم عليه أنوار الجلال بالذوبان، فيعيده الحق تعالى إلى البسـط لئلا يحترق. ولكن يخشـى الحق تعالى على عبده الراجع إلى مقام البســط أن ترده نفســه إلى العلائق وإســاءة الأدب، فيعيده الحق تعالى إليه حتى يتمثل التمثل الكامل بآداب العبودية، وهكذا يســير الله تعالى عبده بين القبض والبسـط، أو بين شـهود الجمال والجلال، فإذا شـاهد أثر وصـف الجلال انقبض، وإذا شـــهد أثر وصــف الجمال انبســـط، ثم يفتح له الباب ويرفع بينه وبين عبده الحجاب ليتمتع في شـــهود التجليات: تجليات الـذات، وأنوار الصــفـات، فيغيـب عن الجلال والجمال بشـهود المتعال، فلا جلاله يحجبه عن جماله، ولا جماله يحجبه عن جلاله، ولا ذاته تحجبه عن صــفاته، ولا صــفاته تحجبه عن ذاته، فيشــهد جماله في جلاله، وجلاله في جماله ويشـهد ذاته في صفاته، وصفاته في ذاته، فهكذا يخرج عن شـهود أثر الجلال والجمال ليكون عبدا لله في كل حال.

الدرة [81]: العارفون إذا بسطوا أخوف منهم إذا قبضوا، ولا يقف على حدود الأدب في البسط إلا قليل

الشــرح: قد يؤدي البســط إلى الإهمال والتقصــير في العبادة وخاصــة إذا حصل السالك مطلوبة ونال مرغوبه فقد تزل قدم بعد ثبوتها لضياع آدابها، فإذا غلب على الســالك البســط يوجهه الشــيخ العارف بالله إلى القبض حتى لا يهمل القيام بوظائف العبودية، وضــعاف الســالكين قد يميلون في مقام البســط إلى الرغائب والمسـليات، وقد يقعون في الشـبهات فيتعرضـون لأجل ذلك إلى الحجاب، أما القبض فلاحظ فيه للنفس بعكس البسـط، ولكن العارف الكامل لا ينحجب بشـهود البسـط والقبض عن شـهود القابض الباسـط تبارك وتعالى، ومن ثم شـهود الجميل الجليل في مقام الحيرة، اللهم زدني بفرط الحب فيك تحيرا.

الدرة [82]: البسط تأخذ النفس منه حظها بوجود الفرح، والقبض لاحظ للنفس فيه

الشـرح: إن مقام البسـط يعتبر كالمتنفس بالنسـبة لمقام القبض الثقيل على النفس، والذي يشــعر الســالك فيه بأن روحه تكاد أن تزهق لشــدة أنوار الجلال المستفيضة على قلبه، فيؤدي ذلك إلى الفراغ وشده الالتجاء والخضوع إلى مولاه وهذا أحســن ما يكون، إذ تتحصـل تربية الباطن في مقام القبض بدرجة أعلى، ويتهيأ القلب لنور الفيض والمدد، وقالوا مقام القبض ثقيل على النفس لأنه يحبس حركتها بســبب سـكون القلب ونفوره من الخلق وشـعوره بالوحشـة من كل شـيء إلا من الحق تعالى، ونعود فنقول: وهذا أحســن ما يكون لأن سـكون القلب هو الذي يهيؤه لإشـراق شـمس الحقيقة عليه، والاســتيحاش من الخلق يؤدي إلى تهيئة الباطن وتربيته وإخراج حظوظه النفســية وعلله القلبية، ومن ثم إلى الأنس بالحق تبارك وتعالى. ومن هنا

فالمقام الذي تموت فيه النفس يحيى به القلب والروح، كما قال ابن الفارض رضي الله عنه:

الموت فيه حياتي وفي حياتي قتلي

الدرة [83]: ربما أعطاك فمنعك، وربما منعك فأعطاك

الشــرح: العطاء المطلوب والعطاء الصـحيح هو عطاء الرضـي وكشــف الحجاب، قال تعالى: "ک گ گ گ گ ڳ" فربما منعك الانشــغال بالدنيا وزهرتها، وأعطاك جمال الحضـرة وبهجتها، وربما منعك قوت الأشـباح فأعطاك قوت الأرواح، وربما منعك من إقبال الخلق عليك فأعطاك إقباله عليك، فكل ما هو من المحبوب محبوب، المهم أن تخشــى على قلبك من الكور بعد الكور، أي من التراجع بعد التقدم ومن الحجاب بعد شهود الوهاب، اللهم لا تؤمنا مكرك ولا تهتك عنا سترك،

الدرة [84]: متى فتح لك باب الفهم في المنع، عاد المنع هو عين العطاء

الشــرح: النفس في العطاء تأخذ حظها ورغبتها من متعة وشــهوة، بينما في المنع ينقطع عنها ذلك فتنبســط في الأولى وتنقبض في الآخرة، ولكن العبد إذا فهم عن الله يرى ما لا يراه غيره، فإذا كان الظاهر عطاء فقد يكون في حقيقته منع، فكم كان عطاء حســي وحرمان من عطاء معنوي، المهم إن تفهم عن الله وتعلم أنه ما منعك إلا ليربيك ويؤدبك ومن ثم ليرقيك ويكرمك، وكان ســيدي الهاشــمي رضــي الله عنه دائما يقول: يا ســيدي نفهم عن الله، ولأن الفهم عن الله هو عين شــهود الحكمة من أقســام المعرفة بالله تعالى.

الدرة [85]: الأكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة فالنفس تنظر إلى ظاهر غرتها والقلب ينظر إلى باطن عبرتها

الشـــرح: الأكوان تغر الإنســـان وحقيقة أجمل شـــيء في الكون أن نعلم أن حقيقته تراب، وســـبحان الجميل الذي تجلى على هذا التراب، ولهذا فباطن هذه الأكوان عبره من الاعتبار والعبور، أي يعبر من ظاهرها إلى باطنها فيشـهد في باطن هذه الأشياء الجميل الحق سبحانه المتجلي فيها بصفاته وكمالاته، اللهم لا تشغلنا بشيء إلا بك يا رب العالمين، ولكن للأســـف كثير من الناس يوظفون عيونهم الحســـية ويعطلون عيونهم القلبية، فتحجبهم ثم لا يجدوا نفوســـهم إلا وقد انكبت على الأهواء والشـــهوات، ورتعت في مراتع الغفلات، فاكتســـبت الآثام واكتســـى القلب بالران، فحجبوا عن شـــهود الملك العليم العلام. ثم إذا قدموا عليه تبارك وتعالى فاذا بهم قد قدموا عليه بلا تأهب ولا اســـتعداد، فهؤلاء هم المفتونون، قال تعالى: "**كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**"[59]، اللهم لا تحجبنا بالأغيار عنك يا رب العالمين.

الدرة [86]: إن أردت أن يكون لك عز لا يفنى فلا تغتر بعز يفنى

الشـرح: الاعتزاز بالخلق والمال والجاه كل هذه الأمور تفني وتنتهي. ومهما كان الاعتزاز بغير الله فهو اعتزاز ناقص وتجري عليه العوارض. فالذي يعتز بالمال مثلا أورثه المال في الباطن ذلا لخوفه عليه واســـتعباده له. وأما من كان اعتزازه بالله. فإن الاعتزاز بالله باق ودائم، فلا تجعل اعتزازك بغير الله ورســـوله صـلى الله عليه وســـلم، ولهذا فمن تعزز بالجاه عن الله خفضـــه الله، وكل من تعزز بغير الله تعالى مات عزه واتصـــل ذلـــه، وهـــذا مـــن غـــيـــرة الله عـــلـــى عـــزتـــه، قـــال تـــعـــالـــى: "**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُـــولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**"[60]. وهل أعلى من إعزاز الله لأوليائه بأن أكرمهم بشـــموس الحقائق التي لا تغيب ابدأ عن قلوبهم، هذه الحقائق التي لا تفنى ولا تبيد

لأنها من معاني الأوصاف الربانية، والإكرامات اللدنية، ولهذا كان غنى القوم رضي الله عنهم بالله لا بالأسباب وتعلقهم به لا بشيء غيره، وطالب الحق تعالى تأتيه الدنيا وهي راغمة، قال الحق تعالى في الحديث القدسي: (**أوحى الله إلى الدنيا: مَنْ خدمني فاخدميه، ومَنْ خدمك فاستخدميه.**) اللهم أجعل اعتزازنا بك يا رب العالمين.

الدرة [87]: الطي الحقيقي أن تطوي مسافة الدنيا عنك حتى ترى الآخرة أقرب إليك منك

الشرح: العبد الغافل يتناسى حقيقة الدنيا العدمية فيفتح على نفسه أملا لا ينتهي وشغلا لا ينقطع، بخلاف العارف الكامل الذي يطويها بلحظة ويقفل محطة تأثيرها على القلب بالزهد فيها والصدق مع ربه بالتوجه الكامل إليه، فلا يجد روحه إلا وقد حلقت في عوالم اللاهوت والجبروت والملكوت بميادينها الواسعة الأسرار وأجوائها الممتلئة بالأنوار، وهناك من أهل الله من يزورونه في حياتهم قبل موتهم فيشاهدون العرش والجنة ويلتقون بأحباب الله هناك وعلى رأسهم الحبيب المصطفى صلى الله عله وسلم، ونعمت الهجرة إليه والسعي له تبارك وتعالى، وأسعد الساعات في الجنة على الكتيب الأبيض عند رؤية الحق سبحانه وتعالى، اللهم أسعدنا برؤيتك ولا تحرمنا لقائك يا رب العالمين،

الدرة [88]: العطاء من الخلق حرمان، والمنع من الله إحسان

الشرح: يجري رضي الله عنه مقابله بين عطاء الله تعالى وعطاء الخلق، بل بين منع الله لعبده من الدنيا ومحاولة العبد الاستجداء من الخلق عطاء، فالأول نتيجة الحكمية إحسان، بينما الثاني نتيجته الحكمية حرمان، لأن الأول بيد المعطي المانع وهو الحق تبارك وتعالى، فقد يمنعك في الظاهر كي يكرمك في الباطن معرفة

وإيمانا شهودا وعيانا ويقينا، ثم يعوضك بصبرك على فقد عطاء الدنيا بعطاء الآخرة، وأما العطاء من الخلق أو الاستجداء منهم حرمان لأنهم إن أعطوا منوا، وإن أعطوا أعطوا بتقتير وحساب وعطاؤهم محدود، وأما عطاء الحق تعالى فعطاء وهاب، وهو الذي إذا أعطى أدهش، وإذا حاسب دقق، وإذا سلب نتش وهو الذي يرزق من يشاء بغير حساب.

الدرة [89]: جل ربنا عن أن يعامله العبد نقدا فيجازيه نسيئته

الشرح: من شأن الكريم إذا اشترى شيئا أن يعطي عوضه في وقته، ويزيد في إحسانه، فكيف بأكرم الأكرمين وأرحم الراحمين تبارك وتعالى، يعجل ولا يؤجل، كما أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، فمن وهب نفسه وماله ونقدهما وسلمها إليه عوضه الله تعالى جنة المعارف آجلا، وزاده جنة الزخارف آجلا، مع ما يستحقه من أنواع النعيم ودوام الشهود والنظر إلى وجه الله الكريم، والله يتولى الصالحين يخرجهم من الظلمات إلى النور، أي من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان ومن ظلمة المعصية إلى نور الطاعة، ومن ظلمة الغفلة إلى نور اليقظة، ومن ظلمة الحس إلى نور المعنى، أو فلتقل: من ظلمة الكون إلى نور المكون تبارك وتعالى.، ويهديهم إلى صراط مستقيم، وذلك في الدنيا والآخرة، والله يوفق عبده وييسر أموره في حياته الدنيا ويرزقه الخلف على عطائه ويعوضه على الذي صبر عليه خيرا منه في الدنيا قبل الآخرة، فسبحان الله رب العالمين.

الدرة [90]: كفى من جزائه إياك على الطاعات أن رضيك لها أهل

الشرح: سبحانك يا رب ما عبدناك حق عبادتك نستغفرك ونتوب إليك، نتوب إلى الله تعالى من العلل، هنالك أناس يعبدون الله تعالى لعلة أو لرغبة في حصول

منفعة، أو حظ في شيء عاجل أو آجل، فإيمان هؤلاء ناقص، كل السعادة واللذة في شعور القرب من الله في ركعتي توبه أو سجده، والعبد الحقيقي هو الذي أقصى أمنياته في أن يرضى المحبوب عنه، فأكبر نعمة لديه أن يرضاه لخدمته ويهيأه لشهوده، فلولا إرادة الإكرام لما دخل على العليم العلام، قال تعالى: "**وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**"[61]. فالتوفيق للقيام بالطاعات أعظم منة وأكرم جزاء، اللهم أهلنا لذلك واجعلنا من عبادك القائمين بحقوق عبادتك يا رب العالمين.

الدرة [91]: كفى العاملين جزاء ما هو فاتحه على قلوبهم في طاعته، وما هو مورده عليهم من وجود مؤانسته

الشرح: يلفت رضي الله عنه السالكين إلى تحديد الوجهة والقصد، وتصحيح الغاية، وعدم ترقب الثواب العاجل، بل يكفي العامل أجرا رضي الحبيب عنه، وأعلى مراتب السالكين النفس الراضية المرضية التي رضيت بالله ربا، وهو الفتاح الذي ينزل على القلوب المخلصة غيث معرفته، ويربط عليها بعقد وده ومحبته، ويجللها بستائر عنايته، وبالإسلام دينا وهو مجمع سعادة العبد في شؤون حياته الدنيوية والأخروية وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إماما ورسولا وهو نور الوجود والسبب في كل موجود صلى الله عليه وسلم، وإذا رضي الله تعالى عن عبده أدخله جنته في دنياه قبل آخرته، كما قال بعضهم:(**في الدنيا جنة من دخلها لم يشتق إلى جنة الآخرة ولا إلى شيء ولم يستوحش من شيء أبدا، قيل له ما هي قال معرفة الله**) وقال بعض العلماء:(**ليس في الدنيا ما يشبه نعيم الجنة إلا ما يجده أهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة**) وكان بعضهم يقول:(**التملق للحبيب والمناجاة للقريب في**

الدنيا ليس من الدنيا، هو من الجنة أظهره الله في الدنيا لا يعرفه إلا هم ولا يجده سواهم روحا لقلوبهم)اللهم اجعلنا منهم.

الدرة [92]: من عبده لشيء يرجوه منه أو ليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه فما قام بحق أوصافه

الشــرح: الله ســبحانه وتعالى أعلى وأجل من أن يعبد طمعا أو خوفا، بل نعبده لأنه أمرنا ولأنه رب يحب ويســتحق أن يعبد، ومن الذي هيأنا للعبودية إلا هو ســبحانه وتعالى بما أمدنا به من نعم لا تعد ولا تحصـى، أليس من واجبنا الصـدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية ونحن لسنا إلا عبيد مملوكون لحضرته، نطيعه لأنه أمرنا ونخدمه لأنه سيدنا، ونستحي منه أن نطلب أجرا على عبادة أجراها علينا ونتذكر قوله تعالى: "**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**"[62]. وقد قال صـلى الله عليه وسـلم (**لا يكن أحدكم كالعبد السـوء إن خاف عمل ولا كالأجير السوء إن لم يعط الأجرة لم يعمل**) أفلا رأيت يا عبد الله لو لم تكن جنه ونار ألم يكن أهلا لأن يعبد الواحد القهار، قال سـيدنا عمر بن الخطاب رضـي الله عنه:(**نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه**) وفي أخبار داود عليه السلام: إن الله أوحى إليه (**أن أود الأوداء إلى من عبدني لغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها**) ومع هذا فإن عطاء الحق وتجليات مدده ولطفه جار وسائر على الطائعين في كل أحوالهم وفي وقت وحين.

الدرة [93]: متى أعطاك أشهدك بره، ومتى منعك أشهدك قهره، فهو في كل ذلك متعرف إليك ومقبل بوجود لطفه إليك

الشرح: من المناسب للعارف بالله تعالى أن يرتفع عن مقام الخوف من النار والرجاء في الجنة إلى مقام شهود الأسماء والصفات، أي الأسماء الإلهية الحسنى بكافة تجلياتها سواء الجمالية منها أم الجلالية، فالعارف بالله يفهم عن الله في تقلبات أسماء جماله وجلاله، فإذا تجلي عليهم بالجمال أشهدهم بره وإحسانه فعرفوا أنه سبحانه بار بعباده المؤمنين، لطيف بخلقه رؤوف رحيم، فتعظم محبتهم له ويكثر اشتياقهم إليه، وإذا تجلى عليهم بالجلال أشهدهم قهره وكبريائه، فعلموا أنه تعالى قهار كبير، فخافوا من جبروته وسطوته وسكنوا إلى مشيئته وقدرته، حتى صح تسليمهم له وانقيادهم إليه، وخضعوا تحت قهره فدامت عبادتهم، وقلت ذنوبهم، ومحيت مساويهم، واضمحلت خطيئتهم، فوردوا يوم القيامة خفافا مطهرين، فرحين مبتهجين، وفي الحديث القدسي الشريف: (لَا **أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ، وَلَا أَجْمَعُ لَهُ أَمْنَيْنِ، إِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)، وبكل الأحوال فان الله تعالى مقبل عليك أيها العبد فلا تشهد غيره. لا تشهد النعمة وتنسى المنعم لا تشهد الصنعة وتنسى الصانع بحق، لا تشهد الأثر وتنسى المؤثر الحق وهو الله تبارك وتعالى، بل عش مع المتجلي الحق تبارك وتعالى. كما قال ابن الفارض رضي الله : فدهشت بين جماله وجلاله وهذا مقام الدهشة والحيرة في تعجب العبد بين أسماء الجمال وأسماء الجلال أي بين تجليات الجلال وتجليات الجمال في أسمائه الظاهرة والباطنة في خلقه بين اسمه المعطي واسمه المانع، بين اسمه المعز واسمه المذل، وهكذا في كل تجليات الأسماء الظاهرة على أحوال العبيد وأفعالهم.

الدرة [94]: إنما يؤلمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه

الشرح: الفهم عن الله هو أعلى درجات المعرفة بالله وهو ما يسمى بشهود الحكمة، أي يشهد العارف حكمة الله في خلقه المستندة إلى قدرته ومشيئته، أي في

تجليات أسمائه الحسنى، فإذا ما ابتلاه علم أن الابتلاء علامة القبول، وإذا ما أعطاه شكره على الأصول، فقد استوى عند العبد الصادق المنع والعطاء لأنه لا يشهد إلا الله، فلا مانع بحق إلا الله، ولا معطي بحق إلا الله، فالمنع هو عين العطاء، والله سبحانه وتعالى قد يصيب العبد بالمرض ويمنعه الصحة وقد يبتليه بالفقر ويمنعه الغنى، وكل ذلك ابتلاء واختبار منه سبحانه: ابتلاء ظاهر العبد وباطنه ابتلاء ظاهره في الصبر، وباطنه في الرضا اللهم ارزقنا فهم النبيين والصديقين يا رب العالمين.

الدرة [95]: ربما فتح لك باب الطاعة، وما فتح لك باب القبول، وربما قضى عليك الذنب فكان سببا في الوصول

الشرح: الله لا يقبل من العمل إلا ما خلص لوجهه قال تعالى: "**وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**"[63]. لأن الله سبحانه وتعالى يغار أن يشهد عبده غيره معه، ومن شهد غيره أصابه العجب والرياء، وكما وفي الحديث القدسي:(**العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منهما قصمته ولا أبالي**) ولهذا فخصلتين لا يقبلك الله إلا بهما: الذل والانكسار وقد ينشغل العبد بالطاعة والأنس بها وتذوق حلاوتها انشغالا بالخلق عن الخالق أو انشغالا بمادتها عن غايتها، وهي معرفة الله تعالى وشهوده فهذا عبد لا يزال في الخدمة محروم من مقام المحبة، ولهذا كان الاعتراف بالذنب والتقصير عند الله تعالى خير من الاعتزاز بالطاعة والانشغال بها عن الله تعالى، لأن العاصي إذا تاب أقبل بكل قلبه على الله تعالى، وامتلأ قلبه رهبة وخوفا من الجليل تبارك وتعالى، وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم:(**رب ذنب ادخل صاحبه الجنة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال:(لا يزال تائبا فارا خائفا من ربه حتى يموت فيدخل الجنة**) أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

الدرة [96]: رب معصية أورثت ذلا وافتقارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا

الشرح: نعم الذل والافتقار، وكذا التواضع والانكسار هي أسباب الدخول على الحضرات، حضرة الشيخ والذي يزجك في حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي يزجك في حضـــرة الله تعالى حيث يقول لك: (**ها أنت وربك**) والاعتراف بالذنب والتقصـــير عند الله تعالى خير من الاعتزاز بالعمل، لأن المتذلل يشـــعر بحقارة نفســـه وخضـــوعه أمام حضـــره الله تعالى، أما المتعزز فيكفيه في البعد شـــهود كبرياء نفســـه القاطع عن الله والعياذ بالله تعالى، لذلك خصـــلتين لا يقبلك الله إلا بهما التذلل والانكســـار، يقول ســـيدنا عبد القادر الجيلاني رضـــي الله عنه (**أتيت الأبواب كلها فوجدت عليها ازدحاما، فأتيت باب الذل والانكسار فوجدته خاليا فدخلت منه**).

الدرة [97]: أنعم عليك أولا بالإيجاد وثانيا بتوالي الإمداد

الشـــرح: هذه خلاصـــته النعم أولها نعمة الإيجاد وهي بروز المخلوقات من عالم الغيب إلى عالم الشـــهادة، أو من عالم الأمر إلى عالم الخلق، أو من عالم الأرواح إلى عالم الأشـــباح، أو من عالم القدرة إلى عالم الحكمة، أو من عالم التقدير إلى عالم التكوين كما قال ابن عجيبة رضـــي الله عنه، وأما نعمة الإمداد: أي الإمداد المتواصـــل لهذه النفس البشـــرية حســـا ومعنى، وأما الإمداد الحســـي فهو غذاء البشـــرية من أول النشـــأة إلى منتهاه، قال تعالى: "**وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ**"[64]. وأما المدد المعنوي فغذاء الروح والقلب والســـر بإمدادات نور المعرفة بالله، وفتوح القلوب، وســـعة الأرواح بســـريانها إلى عالم الملكوت والجبروت واللاهوت، والتي هي أعلى مراتب الشهود كما حصل له صلى الله عليه وسلم في حادثة الإسراء والمعراج فقد أكرمه ربه تبارك وتعالى بالنظر إلى وجهة الكريم ومشـــاهدة آياته الكبرى، وقد فاق

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في هذه الرحلة نظيره جبريل عليه السلام والذي هو أعلى مرتبة في الملائكة وأمين الوحي في السماء إذ قال له لما وصل سدرة المنتهى: (**تقدم يا محمد فلو تقدمت أنمله لاحترقت ولو تقدمت أنت لاخترقت**) ويكفي للإنسان مرتبة أن كان خليفة الله وظله في أرضه وصورة من صوره أي من تجليات صوره أي تجليات صفاته المعنوية صفات الجمال والجلال، وسبحان الله العظيم المكرم بحق تبارك وتعالى.

***الدرة [98]: فاقتك لك ذاتية وورود الأسباب مذكرات لك بما خفي عليك منها، والفاقة الذاتية لا ترفعها العوارض**

الشرح: الفاقة الذاتية هي الفقر إلى الله في كل ما يحتاجه إليه العبد من إيجاد وإمداد، وسبحان من أبطن قدرته في حكمته، أي تجليات مشيئته الظاهرة بأسمائه الحسنى وصفاته العلى في الوسائط، أي في المخلوقات الظاهرة وما تقوم عليه من أسباب، ولهذا فالفاقة في المخلوقات ذاتيه لأنها جبلت وركبت من حس ومعنى، ولا يقوم الحس إلا بالمعنى أي بأسرار الربوبية القائمة في الأشياء، ولهذا فالبشرية مفتقرة إلى الروحانية القائمة بها وهي الروحانية المستمدة من تجليات الربوبية، وهذا هو عين الافتقار إذ لو انقطعت مادة المعنى لأنهار الوجود ولذلك فالعارفون بالله تعالى لا يزول اضطرارهم لأنهم شهدوه في كل حال وتقربوا إليه بالذلة والانكسار فكان اختيارهم هذا أحسن الاختيار في مسالك "**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**"[65]. كيف أنهم يستحضرون افتقارهم إلى الله تعالى بالكلية، لأنهم يشهدون كماله تعالى مقابل شعورهم بعجزهم ونقصهم فيشعرون دائما انهم بحاجة إلى الله تعالى ويشهدون ذلك اكثر ما يكون في المصائب والنوازل والكربات عندما تغلق الدنيا أبوابها في باب العبد فلا يجد ملجئا ولا مفرا ولا مهربا من الله إلا إليه.

الدرة [99]: خير أوقاتك وقت تشهد فيه وجود فاقتك وترد فيها إلى وجود ذلتك

الشرح: شهود الفاقة هو خير الأوقات: لأنها خير أوقات رضي الرب عن عبده ولأنها محط القبول، وبها تتحقق العبدية، وبها ينال العبد شهود الربوبية، ولذلك قيل:(**بقدر العبودية في الظاهر، تكون الحرية في الباطن وبقدر الذل في الظاهر، يكون العز في الباطن، وبقدر وضع الظاهر يكون رفع الباطن**)، و(**من عرف نفسه عرف ربه**) من عرف نفسه بالفقر أي أقامها على بساط الفقر عرف ربه بالغنى فأغناه، ومن عرف نفسه بالذل أي أقامها بالتذلل للمولى عرف ربه بالعز فأعزه، ومن عرف نفسه بالجهل عرف ربه بالعلم فعلمه، قال تعالى "**وَ اتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ**"[66]، وهو العلم الوهبي الذي لا يقوم على اكتساب والعبد مهما ترقى يبقى عبدا، واحتياجات العبد إلى مولاه لا تنقطع أبدا إذ لو انقطع العبد عن مولاه نفسا لهلك، أنظر إلى خطاب الحق تعالى لحبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله "**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ**"[67]. وخاطب الأنبياء عليهم السلام بقوله "**وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ**"[68]. وغيرهم، ولهذا فالعبد مهما ترقى يبقى عبدا، حتى إذا وصل العبد إلى مرتبة النفس الكاملة ووصل إلى مقام البقاء بالله تعالى لا يخرج ابدأ عن مقام الافتقار أبدأ هذا المقام الذي لا ينفك عنه أبدا، يستحضر فيه العبد عزة ربه وعظمته، ويدرك فيه أنه مرتبط بعزيز أحبه، يدعوه فيجيبه، ويكرم نزله، ويدخله على حضرته، حضرة العندية بتجلياتها الكاملة حيث يؤنسه بتجليات جماله وجلاله، وأسرار ذاته المقدسة، ويذيقه شربه ووصاله، وهناك يتذوق جميع اللطائف والأنوار والتجليات بمنتهى السرور والكلام اللذيذ والحديث الأنيس والبشارة الطيبة، ثم يفتح على قلبه شهود جماله وجلاله، بل والحيرة بين جماله وجلاله من غير استشعار رقيب، بل مع الغفلة عن الماضي والمستقبل والحضور معه تعالى في الوقت. وليس أعظم من وصال المحبوب في رضاه

عن عبده، هذا الوصال الذي لا يتحقق إلا بالافتقار إليه والتذلل بين يديه تبارك وتعالى. اللهم أوصلنا لحضرتك واجعلنا من أهل قربك ووصالك يا رب العالمين.

الدرة [100]: متى أوحشك من خلقه، فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الأنس به

الشرح: إذا اجتبى الرب عبده صفاه من الشواغل وفرغه من الأغيار، فأول ما يبدأ به يوحشه من خلقه حتى يؤنسه به ويغنيه بمعرفته فقد كان عليه السلام حين قرب أوان النبوة والرسالة حببت إليه الخلوة، فكان يخلو بغار حراء حتى يهيأه لحمل الأسرار والاستعداد لتجليات الأنوار، وهذه سنة الله في أوليائه وأصفياءه فمتى ما تطهر العبد من الأكدار ملأ الله قلبه بالأنوار حتى يتمكن، فإذا تمكن أشرقت فيه شموس العرفان، وتجلى الله تعالى له بحضرة الشهود والعيان، ثم ليعلم أن الوحشة من الخلق هي من مقتضيات مقام القبض وهو بداية الجلال، كما أن البسط بداية الجمال فإذا تمكن العارف بالله انتقل من مقام القبض والبسط إلى مقام الجمال والجلال، فلا بأس عليه بعدها من الاختلاط بالخلق فقد تهيأ الآن لشهود الحق في الخلق وما عادت عنده أغيار بل وسائط في الشهود، وهذا هو مقام الفرق أي مقام البقاء اللهم حققنا بالفناء بك ثم البقاء بك يا كريم.

الدرة [101]: متى أطلق لسانك بالطلب فاعلم أنه يريد أن يعطيك

الشرح: ما وفقك للدعاء إلا لوجود حظ لك فيه بالإجابة. لأن من عادة الكريم ألا يرد عبده صفر اليدين، فتحقق يا عبد الله بموفقيه الله لك إن جرى على لسانك الدعاء أو المناجاة أو الطلب، فقد جعل الله لكل شيء سببا، فإذا ما أراد أكرام

عبده بشيء وفق ما أرادت مشيئته دفعه للوقوف على بابه والتضرع بين يديه وسؤاله ومناجاته فيحقق له مراداته، وكيف لا يجيبه وهو الذي أحب له ذلك، وأحب أن يسمع صوته ومن أخلاقه تعالى البر، أي يبر عبده الصادق بالإجابة وخاصة إن وقف وقفة الافتقار والاضطرار والمسكنة، قال تعالى: "**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ**"[69]. وقال عز من قائل: "**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**"[70].والله تعالى يرزق العبد حسب ظنه به، اللهم إن الظن فيك لجميل.

الدرة [102]: العارف لا يزول اضطراره، ولا يكون مع غيـــــر الله قراره

الشـرح: العارف بالله تعالى دائم الافتقار إلى الله تعالى، لأنه لا تقوم له قائمة إلا بتجليات الحق تعالى المتعلقة بصـفاته، فهو الذي يمده بها وبأنوارها وآثارها على الدوام، ولا يزال مفتقرا للزيادة على الدوام، وقد قال الحق تعالى لسـيد المرسـلين: "**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**". فهو دائم الاسـتعانة والاعتماد والتوكل عليه، ودائم التفويض له والاستسلام لأمره والخضوع تحت قهره ومشيئته، في كل نفس من أنفاسه وهو فضـل من الله كبير على العارفين، الذين لا يقر لهم قرار إلا بشـهود وجود محبوبهم تبارك وتعالى، لأن العارف بالله دائم الانتقال من شـهود الخلق إلى شـهود الحق تبارك وتعالى، فقبله مرتحل دائما إلى شـهود وجود ربه، عابر من الظاهر إلى الباطن، أي من رؤية ظواهر المكونات إلى ما بطن فيها من أسـرار الله وقدرته، وسـبحان الظاهر في المظاهر، الباطن في البطون تبارك وتعالى.

الدرة [103]: أنار الظواهر بأنوار آثاره وأنار السرائر بأنوار أوصافه، لأجل ذلك أفلت أنوار الظواهر ولم تأفل أنوار القلوب والسرائر

الشـــرح: المقصـــود بأنوار الظواهر هي الأنوار التي أظهرها الحق تعالى على المكونات كنور الشـــمس والقمر، والتي من شـــأنها التأثر بالمتغيرات كالطلوع والغروب، وتقابلها أنوار البواطن وهي أنوار القلوب: أنوار الإسلام والإيمان، أو أنوار السرائر وهي أنوار الإحسان والمعرفة بالله تعالى، فالأولى تأفل لأنها من تجليات الآثار، أو من انعكاس تجليات الصـــفات على هذه الآثار، وهي تجليات لا تثبت على حال حســـب الأزمنة والأمكنة والأشـــخاص، كما قال صـــلى الله عليه وســـلم: (**إن لله تجليات في الأزمنة والأمكنة والأشـــخاص**) وأما الثانية فتجليات دائمة، لأنها مســـتقرة وثابتة على المحل التي ظهرت فيه، وإن كانت صـفات الحق تعالى في جميع الأحوال ثابتة، ولكن التجليات والتي هي تعلقات الصفات متفاوتة، وسبحان الله رب العرش العظيم.

الدرة [104]: ليخفف ألم البلاء علمك بأنه سبحانه وتعالى هو المبلي لك فالذي واجهتك منه الأقدار هو الذي عودك حسن الاختيار

الشـرح: سـنة الله تعالى جارية، وحكمته واقعه، وأمره نافذ في الابتلاء حكمة ورحمـة بعبـادة المؤمنين، ورب أمر ظـاهره ابتلاء وبـاطنـه اعتنـاء، كمـا قـال تعـالى "**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**" ولهذا فالعبد الموفق لا ينزعج من الابتلاء وإنما يفهم عن الله تعالى لعلمه بوجود حكمته فيه وحســـن اختياره له وشـــهوده لـه على الـدوام، فهو يراه في الجمـال والجلال، وفي الحلو والمر، وفي المنع والعطاء ويقابل ذلك بنفس راضـية وقلب منشـرح، وأما إن كانت نفسـه لا تعرفه إلا في تجليات الجمال فهذا المقام مقام العوام، وكم يقعون في الفرح والبطر فيكون الجمال

عليهم جلال، وأما أهل الاختصـــاص الإلهي فيعيشـــون مع الله تعالى في كل تجلياته، ويتحققون بمعيته في كل شــأن من شــؤون حياتهم، بل في كل نفس من أنفاســهم ولله الحمد والمنة.

الدرة [105]: من ظن انفكاك لطفه عن قدره، فذلك لقصور نظره

الشـرح: لطف الله سـابق، كيف لا وهو الذي سـبقت رحمته غضـبه، كما في الحديث القدسـي: مكتوب على سـاق العرش: (**رحمتي سـبقت غضـبي**) ولهذا سـبقت تجليات أسـماء الجمال تجليات أسـماء الجلال، فمثلا تجليات العفو سـبقت تجليات العذاب، فالله بعث رسـلا ثم حق على قومهم العذاب، وهكذا بالنسـبة لباقي التجليات كتجليات البســط والقبض، وتجليات العز والذل وتجليات العطاء والمنع، إلى آخر تجليات أسمائه الحسنى وصفاته العلى، ثم وأقدار الله أدلة على لطفه بعباده المؤمنين حتى الأعداء الذين يرسـلهم عليهم أرسـلهم ليوقظوهم من غفلتهم ولعلهم يتضـرعون، وجملة القول أن الله تعالى ما خلقنا ليعذبنا فعلى السالك إلى الله أن يحسن الظن بربه ويلتجئ إليه بالدعاء مستعيذا بأسماء جماله من أسماء جلاله، ومن الدعاء قول النبي صلى الله عليه وسـلم: (**اللهم إني أعوذ بك منك**) أي بجمالك من جلالك، والنبي صلى الله عليه وسـلم بشـر المؤمن في كل أحواله فقال:(**ما أصـاب المؤمن من هم وغم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله به عن خطاياه**) والحمد الله.

الدرة [106]: لا يخاف عليك أن تلتبس الطرق عليك، وإنما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك

الشرح: الحمد الله الذي بعث لنا حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم نبيا هاديا ومرشدا معلما ومزكيا، فبين لنا شرائع الإسلام وقواعد الإيمان ومقام الإحسان ولا شيء يقربنا إلى الله إلا ودلنا عليه، ولا شيء يبعدنا عنه إلا وحذرنا منه، لم يأل جهدا في إرشاد العباد وإظهار طريق السداد حتى تركنا صلى الله عليه وسلم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، فجزاه الله عنا ما هو أهله، ومن هنا يتقرر أنه لا خوف على العبد من مصادمات ظلام الباطل لأن لديه من نور اليقين ما يكفي، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: (**لا أخاف عليكم الشرك ولكن أخاف عليكم الدنيا أن تنافسوها**) فلم يخف علينا إلا من أهواء الدنيا وشهواتها والتنافس على ملذاتها وإن كل أهل السير والسلوك قد تحصنوا من الدنيا ببركة تربية الشيوخ لهم، ولكن أخوف ما يخاف عليهم من الهوى وليس ميل القلب إلى الشهوات، فهم إن شاء الله محفوظون ولكن ميل القلب إلى الشبهات، وهذا الميل قد يراود أحوال أعلى أهل الإيمان مرتبة، ولذلك نبه الله تعالى سيدنا داود عليه السلام بقوله: **وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** ". مع عصمة الأنبياء عليهم السلام من الهوى.

الدرة [107]: سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور وصف البشرية، وظهر بعظمة الربوبية في إظهار العبودية

الشرح: الله تعالى لما خلق الخلق نفخ فيهم من روحه، فظهرت فيهم آثار صفات الحق تعالى سواء الجالية منها أم الجمالية ولكن الحق تعالى سترها بالمظهر البشري، فأصبحت تجليات البصر مثلا في العين، وتجليات السمع في الأذن، وتجليات الكلام في الفم، وتجليات الرحمة والانتقام في القلب، وهكذا ظهر العبد بهذه الصورة

الجرمية والتي لها طول وقصـــر وحجم ووزن، الخ، ومجموع ذلك كله هو الإنســـان البشري المشير إلى ربه، أي إلى صفات ربه وتجلياته، ثم انزل عليه شريعته والتي حكمت بالفرق أي بوجود رب وعبد، فالرب بالتجلي والعبد بالتدلي أي الخضـــوع والموافقة، والقيام بحقوق العبودية إظهار لعظمة الربوبية، وفي الحقيقة ما ثم إلا المتجلي الحق تبارك وتعالى، كما قال سيدي ابن عربي رضي الله عنه:

رأيت خيال الظل أعظم عبرة   لمن هو في عين الحقيقة راقي

شخوص وأرواح تمر وتنتهي   الكل يفنى والمحرك باقي

الدرة [108]: لا تطالب ربك بتأخر مطلبك، ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك

الشرح: الأصل في السير والسلوك هو الأدب وهو أمر عظيم بخلافة يحصل للمريد العطب، والأدب أربعة أقســام: آداب مع الله تعالى، وآداب مع رســول الله صــلى الله عليه وسلم، وآداب مع الشيخ، وآداب مع الإخوان في الله تعالى، فهذه الآداب شرط في صـــلة العبد بربه، والناظر في أوصـــاف أهل الحجاب والضـــلال والزيغ والأهواء في القرآن الكريم، يجد أن معظمهم تدور أحوالهم في مخالفة هذه الآداب، ولهذا إذا شعر الســـالك بتأخر مطلب طلبه من الحق تعالى من شـــهود وقرب، ووجود صـــدق وحب، فليفتش عن نفســـه وعن تقصـــيره في إحدى هذه الآداب، وأقرب المســـالك في تحقيق المطالب من الحق تعالى هو اكتفاؤه بعلمه، ورضاه بحكمه، واعتماده على ما اختاره له دون ما اختاره لنفســـه، وتفويض الأمر له فيما يريد، أي فيما يريد الله لا في ما يريده العبد، وفي الوقت الذي يريد، والأعلى من ذلك ترك الحظوظ، فمن ترك شـــيئا لله عوضــه الله خيرا منه، ومن وحد همه، أي في عبادة ربه ومرضــاه ربه، كفاه كل ما أهمه وأغمه، من شؤون دنياه وآخرته، والحمد لله رب العالمين،

الدرة [109]: متى جعلك في الظاهر ممتثلا لأمره، ورزقك في الباطن الاستسلام لقهره فقد أعظم المنة عليك

الشرح: سمة العارفين هو التحقق بالعبودية الكاملة لمولاهم تبارك وتعالى، والقيام بوظائف الربوبية: وهي الأدب والتعظيم والإجلال لربهم المتعال تبارك وتعالى، فإذا ما كان العبد مستقيما في ظاهره على الشريعة، مستسلما لتجليات القهر الإلهي بحكم الحقيقة، دل ذلك على أكمل مرادات الشريعة والطريقة والحقيقة، وذلك غاية الكمال و من عظيم نعمة الله تعالى على عبده الصادق، والعبودية أرفع مقام، فلقد كان أعظم وصف وصفه الحق تعالى لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم إجلالا لقدره هو العبد، قال تعالى "**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**"[71]. وفي إشارة إلى التلازم بين العبودية في قوله: "عبده"، وبين شهود الربوبية في قوله: لنريه من آياتنا، ولله الحمد والمنة.

الدرة [110]: ليس كل من ثبت تخصيصه كما تخلصه

الشرح: المريدين في حضرة الله تعالى منهم السالك المقرب، ومنهم الواصل المجذوب، ولذلك قال أهل الله في تصنيف المريدين: مريد ومراد، فالمريد طالب، والمراد مطلوب، وأين المريد من المراد، وأين الطالب من المطلوب، السالك في بداية سيره وسلوكه يحتاج إلى الصدق الثبات والتمكين حتى تلحظه عين العناية الإلهية، فتجتبيه أو تصطفيه، وإلا فلا يزال في طور الاختيار الإلهي حتى يرقى في مراتب النفس السبعة، ومقامات العبودية، ويخلص من شوائب النفس ورؤية السوى، ما بين كل مقام ومقام حتى يكمل ويصبح في طور الكمال، أي الكمال النسبي، إذ الكمال المطلق للحق عز وجل، فيصير محفوظا عن المعاصي والزلات ظاهرا، ومحفوظا عن الغفلات والآفات القلبية باطنا حتى يصبح مخلصا أي كمل تخليصه من رق حظوظه وهواه، ولهذا يقال

للشــيخ الكامل الشــيخ الفلاني قدس ســره، ومن هنا يتبين أن الطريق إلى الله أولها اختيار وأوسطها اجتباء وآخرها اصطفاء، والسالك أول أمره يكون سالكا ثم مريدا ثم مرادا، أو مراقبا ثم مســتشــرفا على المقامات ثم متمكنا فيها، والتمكن أعلى درجات القوم، أعلاه أن يجمع الله لعبده بين المشـاهدة والمكالمة، وهذه لم تحصـل إلا للنوادر من القوم كما حصلت للأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

الدرة [111]: لا يستحقر الورد إلا جهول والوارد يوجد في الدار الآخرة، والورد ينطوي بانطواء هذه الدار، أول ما يعتني به هو ما لا بد من وجوده، الورد هو طالبه منك، والوارد أنت تطلبه منه، وأين ما هو طالبه منك مما هو مطلبك منه

الشــرح: قالوا التكليف تشـريف، فإذا كلف الله تعالى عبده بالقيام بحقوق الإحســـان بأخذ العهد على يد الشــيخ الوارث، كلف بالتزام الأوراد والقيام بآداب الطريق، والورد هو المقصــود بنوافل الـذكر والعبـادات، بـه يتم الورود على الملـك المعبود تبارك وتعالى، ولهـذا لا يســتحقر الورد إلا معانـد أو جهول، والورد ثمرتـه الحصـول على الوارد أي ما يتحفه الحق تعالى قلوب أوليائه من النفحات الإلهية، وهي مشــاهدة أفعال العظمة الإلهية، وتجليات صــفاتها العلية، كما يكتســب قوة للقيام بحقوق العبودية أي بأحكام الشريعة وآداب الطريقة والحقيقة، ويلاحظ نشاطا وهمة عالية، ولذلك قالوا من لا ورد له لا وارد له، وهذا الورد ينطوي بانطواء هذه الدار أي ينتهي بارتفاع التكليف عن العبد، أي عند انتقاله إلى الرفيق الأعلى وهناك ينال ثمرة الورد وهو الوارد، إذ أنه إن لم ينله في الدنيا ناله في الآخرة، والســالك ليس قصــده الوارد وإنما خدمة ســيده ومولاه تبارك وتعالى، وهو عن رؤية العمل وترقب حظوظه شارد، اللهم أنت مقصودي ورضاك مطلوبي.

الدرة [112]: ورود الإمداد بحسب الاستعداد

الشـــرح: الإمدادات هي إمدادات غيث المعاني، والاســـتعداد هو اســـتعداد القلب لشـهود الرب، والقلوب كالأواني بالنسـبة لإمدادات المعاني، فمتى ما تفرغ القلب من الأكدار، كان محلا لنزول الإمداد لطهارته ونقائه، فيمتلئ غيث الحق فيه، وأما إذ كان القلب ممتلئا بالأغيار، متسـخا برؤية الآثار، متعلقا بها من غير شـــهود القهار والرغبة إليه، يرجع المدد من حيث جاء، ولأن الأســـرار والمعاني جواهر فلا تعطي لعبد قلبه منطبع بصـــور المظاهر، محجوب بها عن رؤية أنوار الســـرائر، ولذلك فبقدر التخلية تكون ألتحليه وبقدر المجاهدة تكون المشـــاهدة، وليعلم أن التفاوت في الاستعداد حاصل للسـائرين، فمنهم أقوياء، ومنهم ضعفاء، ودرجة القوة والضعف حسب التهيئة الأزلية بوجود الصدق والإخلاص وغيرها، وكذا حسب التهيئة الكسبية من وجود المنشـطات القلبية ككثرة الذكر والمراقبة والتبصـر في شـؤون الآخرة، فكلما ازدادت التهيئة والاســـتعداد كلما ازداد التمكين للشـــهود والمعرفة وكلما خلص القلب من رؤية السوي كلما كان مهيئا لشهود المولى عز وجل.

الدرة [113]: شروق الأنوار على حسب صفاء الأسرار

الشـرح: إن شـمس الحقائق الربانية، والأسـرار العرفانية تحتاج إلى صـفاء وخلو قلب العارف بالله تعالى من سـحب الآثار الوهمية، أي من رؤية أحد إلا الله يخفض ويرفع، يعطي ويمنع، يعز ويذل، يكرم ويحرم، فحطم أصـنام نفسـك وشـهود وجود فعل المخلوقات تجد الحق تعالى يتجلى عليك بأنوار المواجهة والتوجه في كل الأوقات وأجعل بذرة الفطرة تتحلى بالصـبر على الطاعات والثبات في أرض الموافقات، أي موافقة الحق ورسـوله صـلى الله عليه وسـلم ونائبه الشـيخ الوارث العالم العامل على مطالب الشـريعة وآداب الطريقة ومرادات الحقيقة، تجد أسـرار الذات وما يتعلق

بها من أنوار الصــفات تفتت قشــرة الفطرة لديك، وتنمي شــجرة المعرفة عندك، بإمدادات ماء الذكر النوراني وانتشـــار جذور اليقين، وهكذا يزول ضــيق النفس واضــطرابها عند تحررها من أوهامها، ويطمئن القلب بشــهود الرب قال تعالى: "**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**"[72].

الدرة [114]: الغافل إذا أصبح ينظر ماذا يفعل، والعاقل إذا أصبح ينظر ماذا يفعل الله به

الشرح: الغافل هو الجاهل بالله، إما أن يكون شغلته الدنيا عن الآخرة، وإما أن يكون شغلته الآخرة عن معرفته بربه، وكلاهما إذا أصبح انشغل بالتدبير عن رؤية القدير وانشغل بالآجر أو الأجرة، فإذا ما دار الزمان عليهما فحلت في ساحتهما النوازل خلاف ما توقعا سخطا وجزعا وصدر منهما سوء الأدب مع الله، فاستحقا الطرد من الباب أو وجود الحجاب، وأما العارف بالله فمستسلم لله أمره في كل لحظة، لا ينتظر أجرا ولا أجرة، ومهما عمل من عمل لا يقف عنده وقوفا يشــغله عن صــدقة مع الله فيه، هل سيقبله ويرقيه، أم سيطرح أعماله ويرديه، هل سيكون هذا العمل عونا له في الوصول إلى الله، أم سيكون حجابا له عن الله تعالى، فكم من العباد شغلتهم العبادة عن المعبود، وكم من العلماء حجبهم العلم عن العليم، وأما العارف بالله ففان عن نفسه باق بربه، لا يرى لنفسه تركا ولا فعلا ولا حولا ولا قوة، ولا ينتظر حظا ولا علة، لا يعيش مع الأقدار بل يعيش مع الله الواحد القهار.

الدرة [115]: إنما استوحش العباد والزهاد من كل شيء لغيبتهم عن الله في كل شيء، فلو شهدوه في كل شيء لم يستوحشوا من كل شيء

الشرح: العباد والزهاد اشتغلوا بالوسيلة ولم تتضح لهم الغاية، لأن الغاية هي معرفة الله وشهوده، فترى العباد منشغلون بالعبادة الحسية، يقومون الليل ويصومون النهار، وترى الزهاد تركوا الدنيا واستوحشوا منها لغيبتهم عن الله فيها، فالعباد شغلتهم حلاوة العبادة عن حلاوة شهود المعبود، والزهاد شغلهم حلاوة الزهد بالدنيا عن حلاوة شهود الحق فيها، أما العارفين بالله فلا يشغلهم شيء عن الحق تعالى، لا تشغلهم العبادة عن المعبود، ولا يشغلهم الوجود عن شهود الموجود الحق تبارك وتعالى، فهم لا يفرون من الدنيا بل يشهدون الحق تعالى فيها، فلا يستوحشون من شيء بل يأنسون بكل شيء، لانشغالهم مع الله في كل شيء، لأن الخلق مظاهر القدرة الإلهية والتي ظهرت في ثوب الحكمة الإلهية أي في الأسباب والوسائط، فالكل تجلياته، والكل مشير إليه ومعبر عنه سبحانه وتعالى، سواء في تجليات الجمال المتعلقة بصفات الجمال، أو في تجليات الجلال المتعلقة بصفات الجمال، فما ثم إلا الجميل الجليل الحق تبارك وتعالى، قال العارف بالله:

فدهشت بين جماله وجلاله وغدا لسان الحال عني مخبرا

الدرة [116]: أمرك في هذه الدار النظر إلى مكوناته، وسيكشف لك في تلك الدار عن كمال ذاته

الشرح: الله سبحانه وتعالى تجلى في ظهوره في هذه الحياة الدنيا بالوسائط، أي بتجليات صفات الحق تعالى على المكونات وليس ظهورا ذاتيا، وإنما هو انعكاس تجليات الذات المقدسة وذلك لغيرة الحق تعالى على حقيقة ذاته في عظمتها وجبروتها ودقائق أسرار معانيها أن تدركها بصائر من ليس أهلا لها، ولذلك كما قال سيدي ابن

عجيبة رضي الله عنه: (لا بد للحسناء من نقاب وللشمس من سحاب ولو ظهر من غير رداء الكبرياء لوقع الإدراك ولم يبق حينئذ ترقي، فالترقي في أسرار الذات إنما هو بالنظر إلى أنوار الصفات، وهو لا ينقطع أبداً في الدارين)، وسبحان من تجلى في هذه الدار بظهور حكمته وخفاء قدرته، فظهر الحس وخفي المعنى إلا على العارفين الذين شاهدوا الحق في الخلق، ولم تحجبهم الخليقة عن رؤية الحقيقة، وهذا في الدنيا، وسيكرمهم الحق تعالى في الآخرة عندما ينقلب الحس إلى معنى، وتصبح الوسائط لطائف نورانية بعد أن كانت وسائط حسية، فلا حجاب ظاهر حينئذ إلا لأهل الحجاب في الدنيا الذين قال الحق تعالى عنهم "**كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**". بينما قال عن أهله وأحبابه العارفين، "**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ. إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**". وانظر كيف اقترن الشهود بالبصائر في الحياة الآخرة، بعد أن كان في الحياة الدنيا بالبصيرة، اللهم ارزقنا لذة النظر إلى وجهك الكريم يا رب العالمين.

الدرة [117]: علم أنك لا تصبر عنه فأشهدك ما برز منه

الشرح: لما تشوقت الروح إلى أصل عالمها وهو عالم الجبروت، وتعطشت إلى محبة سيدها بعد أن سجنت بقفصها وهو عالم الجسد، علم الله تعالى من العارفين والعاشقين أن لا صبر لهم عن رؤية سيدهم ومعشوقهم تبارك وتعالى، فسلاهم بما بطن في الأواني وهي ظواهر المكونات من معاني، أي من أسرار معاني الربوبية الباطنة فيها إلى يوم يلقونه وقد أصبحت ظواهرهم لطائف نورانية كما هو حال باطنهم، حتى

يهيم تمام النظر إلى ذاته الكريمة المقدسة، بتجلياتها العظيمة، وأسرارها الكريمة، ولهذا قال الشيخ أبو مدين الغوث رضي الله عنه:

فلولا معانيكم تراها قلوبنا   إذا نحن أيقاظ وفي النوم إن غبنا

لمتنا أسى من بعدكم وصبابة ولكن في المعنى من معانيكم معنى

إشارة إلى استئناس العارفين بمشاهدة المعاني اللطيفة، والتي لولاها لاستوحشوا من مظاهر المخلوقات المحسوسة الكثيفة، ولماتوا حزنا وأسا من غير شهود وجود محبوبهم.

الدرة [118]: لما علم الحق منك وجود الملل لون لك الطاعات. وعلم ما فيك من وجود الشر ه فحجرها عنك في بعض الأوقات ليكون همك إقامة الصلاة لا وجود الصلاة

الشرح: الله سبحانه وتعالى عندما خلق النفس البشرية جبلها على الشهوات وحب الميل إلى الراحات، ناهيك عن النفس الأمارة بالسوء والتي تميل بطبيعتها وتركن إلى البطالة، فلما علم الحق تعالى منهم ذلك لون لهم الطاعات بتعديد أجناسها من صلاة وصيام وزكاة وحج ونوافل مختلفة وهكذا حتى لا يملوا، وحتى يتوجه العقلاء منهم كلما فرغوا من عبادة إن يتوجهوا لعبادة أخرى كما قال تعالى "**فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ، وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب**". وإن الله تعالى يغار على أوليائه أن يتوجهوا لمخلوق سواه فأوجد لهم لكل وقت شغلا، وقد تصدق الغاية عند العارف تماما، فيكثر من العبادة إلى درجة يكاد أن يهلك نفسه حبا في المحبوب، ووقوفا له على مراده، فتتداركه العناية الإلهية بأن تبتليه بالمرض مثلا فيجد نفسه عاجزا، وتقتصر عليه صلاته، ولكنه يدرك

حينها أن المطلوب هو المظهر الباطني للصـلاة من الصـدق والإخلاص وتمام التوجه بالنفحات، لا بكثرة الركعات والحركات.

الدرة [119]: الصلاة مطهره للقلوب من أدناس الذنوب واستفتاح لباب الغيوب

الشـرح: الصـلاة مطهرة للقلوب من المسـاوئ والعيوب لما فيها من الخضـوع والانكسـار، والذل والافتقار والاضـطرار، فإذا خضـع القلب هيبة للجليل، وخضـعت لأثر ذلك الجوارح عملا بأحكام التنزيل، وتخلص العبد من العلل، وشـفي من الأمراض القلبية والمساوئ النفسية، هب نسيم الخواطر الملكية والفتوحات الربانية، وأشرقت شـمس المحبوب معلنه حصـول المطلوب، ولسـان حال العارف بالله تعالى: اللهم أنت مقصـودي ورضـاك مطلوبي، وقوله: "**وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَـى**". ولهذا ما سـميت الصلاة صلاة إلا لأنها صلة بين العبد وربه، وهي معراج المحبين بقدر رتبهم، فمنهم من تصـل روحه إلى عالم الملكوت، ومنهم من تصـل روحه إلى عالم الجبروت، ومنهم من تصل روحه إلى العرش، وهم العرشيون، كما كان حال كثير من السلف الصالح عليهم الرضـوان، وقد أثر عن سـيدنا حارثة رضـي الله عنه أنه مر به النبي صـلى الله عليه وسلم، فقال له: (**كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ ؟ قَالَ : أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا، قَالَ : " انْظُرْ مَا تَقُولُ فَإِنَّ لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيقَةً " . قَالَ : يَا رَسُـولَ اللَّهِ، عَزَفَتْ نَفْسِـي عَنِ الدُّنْيَا، فَأَسْـهَرْتُ لَيْلِي وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي، وَكَأَنِّي بِعَرْشِ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ بَارِزًا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِيَتَعَاوَوْنَ فِيهَا . قَالَ : " أَبْصَـرْتَ فَالْزَمْ، عَبْدٌ نَوَّرَ اللَّهُ الْإِيمَانَ فِي قَلْبِهِ**).ومن العارفين من يسـمع قلبه أذان العرش قبل أن يسـمعه من المؤذن في الدنيا، كل بقدر صـفاء قلبه وسـعة روحه للعروج إلى الملأ الأعلى جعلنا الله منه.

الدرة [120]: الصلاة محل المناجاة ومعدن المصافاة، تتسع فيها ميادين الأسرار وتشرق منها شوارق الأنوار، علم وجود الضعف منك فقلل أعدادها، وعلم احتياجك إلى فضله فكثر إمدادها

الشرح: قيل الصلاة عرش المحبين، هيأها الله تعالى لعبادة الموحدين، رحمة من الله بهم في كل يوم خمس مرات، حتى لا يبقى عليهم دنس من الأغيار، فإذا تطهر الظاهر بالطهارة الحسية، والباطن بالطهارة المعنوية، استحق العبد الدخول إلى الحضرة القدسية، فيتمتع بمناجاة الربوبية، ولذيذ الخطاب، وفي الحديث القدسي قال تعالى: (**المصلي يناجي ربه**) والمناجاة أنما تكون بتلاوة القرآن وذكر الله تعالى، واذا أراد الله تعالى أن يناجي عبده فتح قلبه، ورفع بينه وبينه ستره، فيذوق حلاوة القرب والأنس به تبارك وتعالى، بركعات قل عددها وزاد فيضها ومددها، وكل ذلك من رحمة الرحيم الكريم تبارك وتعالى، والذي قال أيضا في الحديث القدسي: (**أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي**) فالفرائض من باب التسهيل وتبقى النوافل زاد أهل الحضرة لدوام الوصال،

الدرة [121]: متى طلبت عوضاً على عمل طولبت بوجود الصدق فيه، ويكفي من المريب وجدان السلامة

الشرح: الأصل في العمل تحقق العبد بالإخلاص فيه. قال تعالى: "**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** " على المعنى الأكمل من الإخلاص عند العارفين: وهو الخلاص من رؤية النفس وحظوظها، وتبرؤها من كل ما يشوب حضورها مع الله تعالى من الوساوس والخواطر والهواجس. ثم تبرؤها من كل حول وقوة إلا من حول الله وقوته. فإذا ما تحقق الإخلاص وفني العبد عن رؤية الأجناس.

وتطهر القلب من الأدناس والأرجاس صح له أن يطلب ما رتب الحق تعالى فيه على العمل من أجر أو جزاء. ولكن لا أحد يسلم بالكلية، فكل له حظ من الأغيار، فالأولى بالعبد أن يفتش عن الصدق في كل حال مع الله تعالى ولا يأمن من مكر الله، فخطورة الحجاب أولى أن يفكر بها بدل أن يفكر في الجزاء. ولهذا قال رضي الله عنه: ويكفي من المريب وجدان السلامة. أي يكفي المتهم وجدان السلامة من العقاب قبل أن يفكر في أي شيء أخر. والعارف الكامل لا يفكر بشيء إلا أن يكون الحق تعالى راض عنه. اللهم أنت مقصودي ورضاك مطلوبي، اللهم اكشف الحجب عن قلوبنا حتى نلقاك على كمال الرضي، يا رب العالمين.

الدرة [122]: لا نهاية لمذامك إن أرجعك إليك، ولا تفرغ لمدائحك إن أظهر جوده عليك

الشرح: ليس أجمل من الاعتماد على الله والتوكل عليه والاستعانة به وتفويض الأمر إليه وحسن الظن به تبارك وتعالى، وإلا فالمحروم من وكله الله إلى نفسه وهواها، وماذا ستفعل له نفسه إلا أن تلقيه في مهاوي الردى والسقطات والغفلات، فيهجم الناس في مذامهم عليه، والأنكى منه سقوطه من عين الله، والعياذ بالله تعالى قال القائل رحمه الله: (من ترك نفسه وهواها، سعى لها في رداها) ولهذا خير ما يسأل به العبد ربه: **(اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك)** كما ورد في دعائه المأثور صلى الله عليه وسلم، ولهذا إذا أراد الله إعزاز عبد وعنايته، أظهر عليه جوده وكرمه، فتولاه وحفظه، ولم يتركه مع نفسه وهواه طرفة عين ولا أقل من ذلك، ومن أظهر الله فضله عليه، حباه من النعم الظاهرة والباطنة بما لا يعد ولا يحصى، ولكن ما على العبد أن ينشغل بغير الله تعالى، فلو أثنى الخلق كلهم عليه لا يلتفت إلى المدح

والثناء، إلا إن كان أهلا لشـــهود الثناء عليه من الله تعالى، والذي أجراه على الســـنة الخلق، فيشكر الجميل بقلبه، والحمد الله رب العالمين.

الدرة [123]: لا تطلب عوضا على عمل لست له فاعلا يكفي من الجزاء على العمل أن كان له قابلا

الشـــرح: الشـــيخ يرفع همـة العبـد عن النظر إلى المجـازاة على الأعمـال الصالحات فهذا ليس من شأن العبيد، شأن العبد فقط أن يرضي عنه سيده، شأن العبد فقط أن يترجى مولاه بالقبول، وإلا كيف يطلب من ســيده المتفضـــل عليه، ولا يرتاب مرتاب في أن الذي وفق العبد لطاعته وهداه للسير إليه وسلوك الطريق له هو الله تعالى، ولذا فإنه ينبغي أن لا يطلب العبد أجرا على عبادة أجراها عليه وأهداها له، وخير ما يرجو ويتأمل هو القبول، إذ لولا تفضل الله تعالى على عباده بالعفو والحلم ما قبل عملا قط، أي لولا جميل الســـتر الإلهي ما كان عمل أهلا للقبول، والله هو الذي يتكرم علينا ويكرمنا بكشـف الحجاب والجمع مع الأحباب، اللهم أكرما بلذة النظر إلى وجهك الكريم يا رب العالمين.

الدرة [124]: إذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق ونسب إليك

الشـــرح: من كرم الحق على عباده أنه يهبهم أعمالا يقدرها عليهم ويرزقهم القدرة على القيام بها، ثم ينسبها إليهم، فهذا من عظيم الفضل والمنة على عبادة تبارك وتعالى، كما في قول الحق جل شـــأنه: "**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ**

فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا". (وليس فقط ينسبها لهم بل ويثيبهم عليها كذلك إكراما وتفضلا، فهو الحنان المنان جل جلال الله تعالى، وقال سيدي سهل التستري رضي الله عنه:(إذا عمل العبد حسنة وقال يا رب بفضلك استعملت وأنت أعنت وأنت سهلت، شكر الله ذلك له وقال يا عبدي بل أنت أطعت وأنت تقربت، وإذا نظر إلى نفسه وقال أنا عملت وأنا أطعت وأنا تقربت أعرض الله عنه وقال له يا عبدي: أنا وفقت وأنا أعنت وأنا سهلت، وإذا عمل سيئة وقال يا رب أنت قدرت وأنت قضيت وأنت...، غضب المولى جلت قدرته وقال يا عبدي: بل أنت أسات وأنت جهلت وأنت عصيت، وإذا قال يا رب أنا ظلمت وأنا أسأت وأنا جهلت أقبل المولى جلت قدرته عليه وقال: يا عبدي أنا قضيت وأنا قدرت وقد غفرت، وقد حلمت وقد سترت)، فهو الحنان المنان جل جلال الله تعالى.

الدرة [125]: كن بأوصاف ربوبيته متعلقا، وبأوصاف عبوديته متحققا

الشرح: ما هي أوصاف العبودية: الفقر والاضطرار، التذلل والانكسار، فالمربوب ليس له إلا الرب، والمخلوق ليس له إلا الخالق، والمرزوق ليس له إلا الرزاق، والعبد ليس له إلا الله ولهذا قال (كن بأوصاف ربوبيته متعلقا، وبأوصاف عبوديتك متحققا) ولهذا قالوا: من عرف نفسه عرف ربه: اعرف نفسك بالعدمية تعرف الله بالوجودية، أعرف نفسك بالفقر تعرف ربك بالغنى، اعرف نفسك بالفقر والعجز والمرض تعرف ربك بالكمال، أو الصفات الكاملة المنزهة عن كل نقص، وكن حرا بالله بالاستغناء عما سواه، فإذا نظرت إلى عزه وكبريائه وعظمته تعززت به، وصغر في عينك دونه كل شيء، وإذا نظرت إلى غناه تعلق قلبك بغناه واستغنيت عما سواه، ولم تفتقر إلى شيء دونه واستغنيت به عن سواه، وإذا نظرت إلى وصفه بالقوة والقدرة، لم تلتجئ في حال عجزك وضعفك إلا إلى قدرته وقوته، واستضعفت كل شيء، وإذا نظرت

إلى ســعة علمه وإحاطته اكتفيت بعلمه واســتغنيت عن طلبه، وقلت بلســان الحال: علمه بحالي يغني عن سؤالي، وهكذا في جميع الأسماء والصفات.

الدرة [126]: منعك أن تدعي ما ليس لك مما هو للمخلوقين أيبيح لك أن تدعي وصفه وهو رب العالمين

الشــرح: الله ســبحانه وتعالى يغار على أوصــاف ربوبيته أن يدعيها عبد أو يشـاركه في خصـوصـيته، فلا يرضـي لعبده أن يكون ظاهرة متحققا إلا بالعبودية، فلا كبر ولاتيه ولا غرور، وإلا أوقعه ذلك في الوهم والغرور، وكيف يدعي العبد ما ليس له وهو عبد ومولاه هو رب العالمين، فمن ادعى ما ليس له سلبه ما ملكه، ورده إلى ضعفه وإلى عجز مادته وهي الطين ولهذا كل من أظهر الربوبية قصـمته الربوبية، قال تعالى في الحديث القدسي: (**العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني في واحد منهما قصمته ولا أبالي**) ومن أظهر العبودية رفعته الربوبية، فمن كان مقامه العبدية في الظاهر أكرم بمقام العندية في الباطن، وإذا كان الله تعالى قد منع الإنســان أن يدعي ما ليس له مما هو لأخيه الإنســان، أفيســمح له أن يدعي ما لله رب العالمين، من أوصــاف العزة والكبرياء، والعظمة والبهاء.

الدرة [127]: كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد

الشـرح: إنما يمنع العباد من السـبق إلى الله وحقائق الغيوب جواذب التعلق بغير الله تعالى وكثرة العيوب، فكلما همت قلوبهم أن ترحل إلى الله جذبها ذلك التعلق إلى ما به تعلقت، فكرت راجحة إلى حظ نفســها وما مالت إليه من عادات وطبائع أي من عادات حسية مذمومة من غفلة وعجز وكسل، أومن طبائع معنوية مذمومة أيضا

كالقسوة والفظاظة والكبر، ولهذا قال الشيخ أبو المواهب الشاذلي رضي الله عنه:**(من ادعى شـــهود الجمال قبل تأدبه بالجلال فارفض قوله فإنه بطال)**، ولا جلال أعظم على النفس من خرق عوائدها، كتبديل العز بالذل، والغنى بالفقر، والجاه بالخمول، وإلا كانت حضرة الحق محرمة عليه، حتى يكون همه وميله إلى الله أكبر من همه وميله إلى هواه.

الدرة [128]: ما الشأن وجود الطلب، وإنما الشأن حسن الأدب

الشرح: الأصل في المريد الصادق أن يراعي الأدب مع الله تعالى في كل شيء، ومن ذلك أدبه عند الطلب: فليس الشـأن وجود صـورة الطلب فإن الطلب مرفوع في العادة من الصـغير إلى الكبير، ومن الفقير إلى الغني ومن الضـعيف إلى القوي، وإنما الشأن نوع الطلب ووجود حسن الأدب ولهذا عليه أن يحرم على نفسه أن تطلب من الله شأنا من شؤون الدنيا ليس فيه إذن من الله أو لا يمت بصلة إلى طاعة الله، وإذا طلبه طلبه على التفويض أي باستخارة الله فيه دون أن يعلق قلبه به وإلا فما هي العلائق، وما هي حظوظ النفس. وما هو شهود السوي والخلائق، ولهذا فطالب الحق تعالى لا يعنيه مطلب وقد تحقق له المطلوب الأكبر وهو معرفة الله والغيبة عما سواه، إلا إن اعتقد وجود رضى الله فيه من وصل وشوق ومعرفة وكشف حجاب، فما ثم وقتئذ من مانع، والله المستعان.

الدرة [129]: ما طلب لك شيء مثل الاضطرار ولا أسرع بالمواهب إليك مثل الذلة والاحتقار

الشــرح: طريق أهل الله هو طريق الفقراء إلى الله، ولهذا تجد كثيرا من أهل الله من يحب تسـمية مريديه بهذا الوصـف ليذكرهم بضـرورة التذلل والانكسـار فباب الحضرة الإلهية لا يدخله إلا المنكسرة قلوبهم من الذين أداموا قرع الباب حتى أكرمهم الحق تعالى برفع الحجاب وشـــهود الأحباب، متمتعين بلذيذ الخطاب، في رياض الأنس وهم هائمين في حضـرة القدس، ولهذا ليس بعد الاضـطرار سـبيلا إلى الوصـول، وليس بعد الافتقار سبب في حصول المأمول، ألا ترى الموشكين على الغرق يتوجهون بكلياتهم إلى الله بكامل المسـكنة والافتقار، ألا ترى كيف يسـرع الله تعالى بانتشـالهم، قال تعالى: "**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْـطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِـفُ السُّـوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ**". وقوله تعالى "**وَلَقَدْ نَصَـرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ**". وهذا ما أشـار إليه صـلى الله عليه وسـلم بقوله:(**واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً**).

الدرة [130]: لو أنك لا تصل إليه إلا بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لم تصل إليه، لم تصل إليه أبدا، ولكن إذا أراد أن يوصلك إليه غطى وصفك بوصفه ونعتك بنعته فوصلك إليه بما منه إليك لا بما منك إليه

الشـرح: لا يصـل السـالك إلى الله تعالى إلا بالإكثار من ذكره حتى يتحقق له الفنـاء، ومراقبـة حضـــوره حتى يتحقق لـه البقـاء، وإيثـار محبتـه حتى يتحقق لـه الاصـــطفـاء، وحفظ الحـدود، والوفـاء بـالعهود، وبـذل الطـاقـة والمجهود، قـال تعـالى: "**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُـــبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِـــنِينَ**" أي سـبل معرفتنا ومحبتنا، وإلا فمن أراد أن يصـل بنفسـه لا يصـل أبدا، كيف يصـل ونفسـه مكبلة بالذنوب، وقلبه رهين بالمســاوئ والعيوب، ولو انفكت عنه الذنوب والعيوب فليس له

الوصـــول إلا بـإذنـه لـه وهو علام الغيوب، فـإذا مـا تحقق الإذن لعبـده هيـأه لتقبـل تجليات أوصــافه، وأشــغله عن نفســه بالفناء بربه وشــهوده ومكالمته، وإلا فالأعمى لا يشــهد المبصــرات، والأصــم لا يســمع المنادمات، ومن ســبقت له العناية تحققت له الرعاية، أي العناية الإلهية الأزلية، كقول الحق تعالى لســيدنا موســى عليه الســلام: "**وَلِتُصْـنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي**". والرعاية على يد شـيخ التربية، وهو المربي المرشـد الناصح الذي ينوب عن النبي صــلى الله عليـه وســـلم في مقـام التربيـة والتزكيـة والتعليم. حتى يطهر نفســـه ويصـــله بجناب ربه، ولهذا قال القوم رضـــي الله عنهم: (من أراد الله تعالى أن يوصـــله إليه وصـــله بولي من أوليائه فانتهج نهج المحبين، وطرق طرائق العارفين، ولزم الأدب الكامل مع المتأدبين حتى يخلع أوصـاف البشـرية، ويتحقق بتجليات الربوبية، إذ أنه ما زال يسـير حتى يزجه في حضـرة ربه قائلا له: ها أنت وربك). اللهم أكرمنا بصحبة الوراث المحمديين.

الدرة [131]: لو لا جميل ستره لم يكن عمل أهلا للقبول

الشرح: اللطف الإلهي والستر الخفي على عبده هو أصل الأصول في موضوع القبول، وإلا فلو عامل الكامل عباده على الكمال لم يقبل منهم شـيئا ولكن الحمد الله المتكبر المتعال، فمن غيرته على كمالات ذاته رضي منهم النقص، أي النقص النسـبي لا النقص الكلي لأن النقص الكلي عنـده مرفوض تمـامـا كمن غلـب على عملـه الريـاء والعجب ورؤية النفس وهكذا، وقال تعالى: "**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّـــيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**" وقال أيضـــا: "**وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ**". وهذه هي أخلاق الحق تعالى والتي يعني الســالكون بالتخلق بها، والأصـل في وجود النقص في الأعمال هو انجبال طينة الآدمي على التعلق بالمحســوســات، والميل إليها هوى وشــهوة، وروي عن رسـول الله صلى الله عليه وسـلم أنه قال:(**الْهَوَى وَالْبَلاءُ وَالشَّـهْوَةُ مَعْجُونَةٌ بِطِينِ آدَمَ**) وقيل هو معنى قوله تعالى "**إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَـــانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَـــاجٍ نَّبْتَلِيهِ**" أي أخلاط

مركبة من الأهواء والشـهوات، ولا يتم الخلاص إلا بصـدق الروحانية، بزاد من ذكر الله، وذهاب عن البشرية بالغيبة عما سواه.

الدرة [132]: أنت إلى حلمه إذا أطعته أحوج منك إلى حلمه إذا عصيته

الشـرح: أحوج ما يحتاج السـالك إلى الله ألا يأمن من مكر الله تعالى بالاغترار بطاعته ورؤية نفسه عملت وصلت و زكت، فلولا حلم الله علينا لم يقبل لنا عمل فمن الكبر رؤية العمل، ومن تكبر على الله تكبر الله عليه، أي لم يقبل له عمل، ومن لاحظ عيون الخلق سـقط من عين الحق أي إذا صـار ذلك قصـدا له، وثناؤهم عليه غاية، ولهذا قال رضـي الله عنه: (أنت إلى حلمه إذا أطعته أحوج منك إلى حلمه إذا عصـيته) ولأن حلمه على عبده العاصـي أقرب من حلمه على عبده الطائع، لأن العاصـي متلبس بثوب التضرع والفقر والاضطرار، وهذا هو الأصل وحقيقة ما يحبه الله، وأما في حالة الطاعة فقد يلتبس شأنها بحظ من حظوظ النفس، كالعجب والرياء، ولهذا كان صلى الله عليه وسـلم يعلمنا أن نشـهد التقصـير من أنفسـنا عند الطاعة، فكان صـلى الله عليه وسـلم إذا صـلى اسـتغفر ثلاثا وقال احدهم:(اسـتغفارنا يحتاج إلى اسـتغفار)، اللهم لا ترنا صالح أعمالنا وارنا فضلك علينا يا رب العالمين.

الدرة [133]: الستر على قسمين: ستر عن المعصية، وستر فيها، فالعامة يطلبون من الله الستر فيها خشية سقوط مرتبتهم عن الخلق، والخاصة يطلبون من الله الستر عنها خشية سقوطهم عن نظر الملك الحق

الشـرح: الله سـبحانه وتعالى من أسـمائه السـتار، ويحب السـتر على عبده المؤمن وخاصـة أحبابه وجميع خواصـه تبارك وتعالى، وهناك سـتر أهل الظاهر أوسـتر

العوام، وهناك ستر أهل الباطن أو ستر الخواص، فستر العوام من المعاصي والذنوب يطلبون الحق تعالى أن يسترهم وقد فعلوا خوف اطلاع الناس عليهم، قال تعالى "**يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ**"[73]، وأما الخواص فيطلبون من الحق تعالى أن يجعل بينهم وبين المعاصي حجابا وألا تخطر ببالهم خشية سقوطهم من نظر الله لهم، أي نظر الرحمة والعناية، فيبدلها لا سمح الله بنظر الغضب والسلب، اللهم استرنا وارحمنا وأكرمنا بترك المعاصي أبدا ما أبقيتنا،

الدرة [134]: من أكرمك إنما أكرم فيك جميل ستره فالحمد لمن سترك ليس الحمد لمن أكرمك وشكرك

الشرح: كلنا عيوب ولولا تدارك لطفه فينا وتكرمه علينا بجميل الستر لكنا حديث الناس صغيرهم وكبيرهم، كما قال أحدهم (لو خلا عبده من ستره لأبغضه أحب الناس إليه، ولأذاه إشفاق الخلق عليه)وقال أحدهم: (لو كان للذنوب ريح لما قدر أحد أن يجلس إلى) وليعلم أن الخطأ والزلل يوجد في جميع بني آدم، كما قال صلى الله عليه وسلم: (**كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**) ولكن بنسب متفاوتة، وخطأ العوام من الكبائر، وخطأ الخواص من الصغائر والذنوب، وخطأ خواص الخواص من العيوب أو مما سوى المحبوب، اللهم جملنا بالستر والعافية، اللهم لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

الدرة [135]: ما صحبك إلا من صحبك وهو بعيبك، عليم وليس ذلك إلا مولاك الكريم، خير من تصحب من يطلبك لك لا لشيء يعود منك إليه

الشـــرح: الصـــحبة من الرفقة والمعية، وكلما ازدادت الرفقة والمعية كلما ازدادت وعظمت الصـحبة، والله سـبحانه وتعالى قال عن نفســه "**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ**"[74]. فهو خير صـــاحب، كيف لا وهو محركنا والمتجلي فينا، كيف لا وهو العالم بخفايانا والمطلع على ســـرنا وعلانيتنا، أن اعتذرنا إليه قبل عذرنا، وهو ولينا ونصـــيرنا وناصـحنا، إن قصـــرنا معه ســـترنا بلطفه وتولانا بتربيته، وان أطعناه أكرمنا بشـــهوده وأنســـه، فهو يحبنا ويطلبنا دائما إلى حضـــرته ويضـــيفنا دائما بمعرفته ودوام ذكره، لا يطلب منا منفعة ولا ينتظر منا مصـلحة، قيل:(خير صـاحب من لزمك وهو عنك غني، وأكرمك تحببا إليه لتكون له محبا) قال تعالى: "**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**" وأهل الله قوم تخلقوا بأخلاق مولاهم، نصحبهم وحالهم ينهضـنا، ونسـتمع إليهم فإذا بمقالهم على الله يدلنا، وقد تقرر أن صـــحبة أولياء الله ما هي في الحقيقة إلا رغبة ومحبة في الله، كما قال ســيدي أبن عجيبة رضــي الله عنه: (والحاصــل أن محبة من يوصــل إلى الله ما هي إلا محبة لله، إذ ما تم ســـواه والنظر إلى العارف بالله فإنما هو نظر إلى الله إذ لم يبق فيه بقية لغير الله، فصار نورا مهيأ من نور الله) و قال عليه الصلاة والسلام: (**إن لله رجالا من نظر إليهم ســعد ســعادة لا يشــقى بعدها ابدأ**) وهم موجودون لا ينقطعون أبدا ظاهرون ظهور الشمس لا يخفون إلا على من أراد الله له طردا وبعدا، والعياذ بالله من السلب بعد العطاء، ومن سوء القضاء وشماتة الأعداء.

الدرة [136]: لو أشرق لك نور اليقين، لرأيت الآخرة أقرب إليك من أن ترحل إليها، ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها

الشرح: من أشرق على قلبه نور الإيقان، وهو العلم الذي لا يزاحمه وهم ولا يخالطه شك، وشرح الله به صدره، لرأى ما كان آجلا عاجلا، وما كان آتيا واصلا، وقد جاء في الحديث عن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم أنه قال: (**إن النور إذا دخل القلب انشرح له الصدرو انفسخ، قيل يا رسول الله هل لذلك من علامة يعرف بها؟ قال: نعم، التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله**) فهم من ذلك أن من فاض نور الإيقان على قلبه غطى على وجود الأكوان، وأدرك فناءها وبقاء الملك الديان تبارك وتعالى، إذ لولا إظهار الحق لها لما وقعت عليها أبصار الخلق، إذ لولا نور الحق غطى وجودها لظهرت ظلمتها، واستوحش الخلق منها كما يستوحش منها العارفين الذين استوى عندهم وجودها وعدمها، واشتغلوا بالذي يبقى وهي الدار الآخرة عن الذي يفنى وهي الحياة الدنيا.

الدرة [137]: ما حجبك عن الله وجود موجود معه ولكن حجبك عنه توهم موجود معه

الشرح: لا موجود بحق إلا الله، وما حال بيننا وبين شهود الله إلا توهم وجود أنفسنا، ولهذا قال أحد العارفين رضوان الله عليهم:

توهمت قدما أن ليلى تبرقعت وأن حجابا دونها يمنع اللثما

فلاحت فما أن ثم والله حاجب سوى أن طرفي كان من حسنها أعمى

ولهذا لله سـبحانه وتعالى أجل من أن يحجبه شـيء وإنما الخلق هم من أنحجب عنه بسبب رؤية نفوسهم وانشغالهم بصفات ظنوها لهم وهي في الحقيقة ما هي إلا صورة الوهم، كمن يتوهم صورة القمر في الماء، لوسما بشهوده إلى أعلى لأدرك الحقيقة جالية واضـحة، ولزال من ذهنه وفكرة الوهم، ولهذا فليس شـيء موجود يحجب الحق تعالى وحاشـاه بل أحتجب الحق تعالى بشـيء ليس بموجود ألا وهو الوهم، فالله موجود والوهم مفقود، ولهذا قال العارفين رضوان الله عليهم:(الكون كله مجموع، والغير عندنا ممنوع).

الدرة [138]: لولا ظهوره في المكونات ما وقع عليها وجود الإبصار، لو ظهرت صفاته لاضمحلت مكوناته

الشـرح: الحق ظاهر ونوره للبصائر باهر، ومن شـهد الحق نفى وجود شيء معه، قال تعالى: "**أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**"[75]. لأنه لا شيء معه، ومن فهم هذا أدرك أن الأكوان لا وجود لها من ذاتها، ولولا ظهور الحق فيها ما ظهرت ولا وقع عليها أبصار الخلق، كما قال القائل:

من لا وجود لذاته من ذاته   فوجوده لولاه عين محال

ومن حكمة الله تعالى أنه أبطن أوصافه وتجلياته بالأسباب والوسائط، ولو ظهر بالأوصاف التي كان عليها في الأزل بلا واسطة، لتلاشت الكائنات واضمحلت كما ينكمش الطين إذا عرض لشـمس الحقيقة الظاهرة يعود ترابا متفرقا غير مجموع، ولهذا فمن أراد جمع قلبه على الله فليستعد لانطوائه تحت رحمة غيث الله وتجلياته،

الدرة [138]: أظهر كل شيء لأنه الباطن، وطوي وجود كل شيء لأنه الظاهر

الشـرح: الله سـبحانه وتعالى من مسـمياته الظاهر والباطن والظاهر أي الظاهر في المظاهر بتجليات صـفاته الظاهرة فيها، والباطن أي الباطن سـره في بواطن الأشياء، كما قالوا: يضع سره في أضعف خلقه، ولهذا فالعارفون بالله تعالى يسمون الأسـرار التي قامت بها الأكوان معاني، ويسـمون الأكوان أواني حاملة للمعاني، ومن وقف مع حس الأواني حجب عن أسـرار المعاني، إذ أن الكون ما هو في الحقيقة إلا كثلجة، فمن توقف عند ظاهرها أنكر الذي في باطنها وكان جاهلا بحقيقتها، ومن نفذ إلى باطنها عرف أصلها وهو الماء وعرف ما يؤول إليه أمرها، إذ لو ذابت لم يبق لها أثر، ولهذا فالأصـل للعارف بالله تعالى أن يعبر من ظواهر الأشـياء إلى بواطنها، كما قال الإمام التستري رضي الله عنه:

لا تنظر إلى الأواني، وخض بحر المعاني، علك تراني

الدرة [140]: أباح لك أن تنظر ما في المكونات، وما أذن لك أن تقف مع ذوات المكونات (قل أنظروا ماذا في السموات) فتح لك باب الإفهام، ولم يقل انظر السماوات لئلا يدلك على وجود الأجرام

الشـرح: معرفة العبد بربه لا تقف عند ذوات الأشياء، بل العارف بالله تعالى ينظر إلى مخلوقات الله تعالى ببصـره ويعبر بهذا البصـر إلى بصـيرته ليشـهد معنى أو يدرك حقيقة أو سـرا طواه الحق تعالى، أي أخفاه في ظاهر خلقه، ولا يصـل إليه إلا أهله الذين فتح الله على قلوبهم بالشـهود واليقين، ولهذا قال رضـي الله عنه: ما قال تعالى: قل انظروا السـماوات بل:(انظروا ماذا في السـماوات) أي ما فيها من عظمته، ومعاني أسرار ذاته التي بطنت في المخلوقات، لكي لا تنحجب أيها العبد بظاهرها وزينتها

عن حقيقة المعنى الباطن فيها، حتى تعرفه في كل شيء، وتفهم عنه في كل شيء، ولهذا فالعارف بالله يشهد الحق في الخلق، لأن الخلق مظاهر ومرايا صفات الحق تعالى وتجلياته الكريمة.

الدرة [141]: الأكوان ثابتة بإثباته وممحوة بأحدية ذاته

الشرح: لولا إثبات الحق تعالى وجود المخلوقات لنفى وجودها العارفون، لأن الله تعالى عندما أثبتها في كتابه قرنها بأوصافه، فمثلا قال تعالى: "**إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا**"[76]. فلولا تجلي الله تعالى على الإنسان بالسمع والبصر والقدرة والحياة والكلام، وغيرها، لما كان له وجود، ولهذا فالأكوان كلها حقيقة لا وجود لها بنفسها، وإنما بتخليق الحق تعالى لها في جميع أطوارها، وتجليه فيها بأسمائه العلية وأوصافه الجلية، ويضاف أيضا أن الله سبحانه وتعالى عندما خلق المخلوقات أظهر عليها سمة وصفة الواحدية المشيرة إلى الواحد الأحد تبارك وتعالى، فالإنسان مثلا واحد من عدة ملايين من البشر كلهم يأخذون صفة هذا الواحد، ولكن لو اختزلنا صفات البشر جميعا لرجعت إلى حقيقة هذه الأسماء الحسنى والصفات العلى القائمة في ذات الله تعالى، وقال الشيخ القطب سيدي عبد السلام بن بشيش رضي الله عنه مخاطبا وارثه الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه في وصيته له: (حدد بصر الإيمان تجد الله في كل شيء وعند كل شيء ومع كل شيء وقبل كل شيء وبعد كل شيء وفوق كل شيء وتحت كل شيء وقريباً من كل شيء ومحيطاً بكل شيء بقرب هو وصفه وبحيطة هي نعته وعد عن الظرفية والحدود وعن الأماكن والجهات وعن الصحبة والقرب بالمسافات وعن الدور بالمخلوقات وأمحق الكل بوصفه الأول والآخر والظاهر والباطن وهو هو هو كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان) و قال سيدي ابن عجيبة رضي الله

عنه:(والحق أن الحق تعالى تجلى بمظاهر الجمع في قوالب الفرق، وظهر بعظمة الربوبية في إظهار قوالب العبودية، فلا شيء معه، حقق لا ترى إلا الله).

الدرة [142]: الناس يمدحونك لما يظنونه فيك، فكن أنت ذاما لنفسك لما تعلمه منها

الشرح: من طبيعة الناس أن يحكموا على الأشياء من ظاهرها، فقد يمدحون شخصا ويوبخون آخر حسبما يرونه من ظاهر أمرهما، وإياك أيها العبد أن تصدق الناس فيما يعتقدوه فيك بأنك الكامل، وأنت على علم ويقين بنقصانك، فهم قد حكموا على ظاهرك وأنت أعلم بما في باطنك من عيوب ومساوئ، فلا تلتفت لكلام الناس والتفت إلى إصلاح نفسك ومداواة عيوبك، قال تعالى "**بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ، وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ**"[77]، وقد قيل:(من فرح بكلام الناس فقد مكن الشيطان أن يدخل قلبه) وقد ذم الله قوما يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فقال تعالى "**فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ**"[78]. والعارف الكامل لا يسمع من الناس، وإنما يسمع من الحق تعالى، فإذا سمع كلاما دون مرتبته علم أن هذا تنبيه من الحق تعالى الذي أنطق كل شيء، حتى ينتبه من غفلته، ويرتفع عن نقصانه، ويزداد إقبالا على الله تعالى وتوجها إليه. سمع سيدنا أبا حنيفة رضي الله عنه قوما يمدحونه بقيام الليل كله، وكان لا يقوم إلا نصفه، فصار يقوم الليل كله، اللهم اجعلنا من أهل الزلفى لديك يا رب العالمين.

الدرة [143]: المؤمن إذا مدح استحيا من الله أن يثني عليه بوصف لا يشهده من نفسه

الشـرح: من جملة حياء العارف خوفه من الله أن يسـمع وصـفا أو ثناء من الحق تعالى على عباده المؤمنين وهو ليس أهل لذلك، أو قد يكون كذلك ولكنه يعلم أن المتصـرف فيهم بحق هو الله رب العالمين، وهو صـاحب الفضـل والعطية عليه، فيسـتحي منه بسـبب قصـوره عن الذي ينسـب إليه، فيراجع نفسـه حتى يزداد إقبالا عليه، ويحقق الزلفى بين يديه، حتى يتسـنى له التخلق الكامل بصـفات العبدية في العلاقتين علاقة العبد مع ربه أوعلاقة العبد مع العباد، ومن لم يكن عنده هذا الشعور فليراجع نفسه، وليفتش عن إيمانه، لأن الحياء شعبة من شعب الإيمان.

الدرة [144]: أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس

الشـرح: ليس بعد الجهل أن يدور المرء مع الناس حيثما داروا ويصـدقهم في كل ما قالوا وخاصـة أن تحدثوا أو أثنوا عليه بما ليس أهله، فهذا من رعونات النفس، والأصعب منه من يتقصد الظهور على الناس حتى يتوجهوا إليه بالمدح والثناء، فيفرح ويقنع نفسـه بذلك، أفيفرح بعلم الخلق ويرضـى، ويتجاهل بمقت الحق فيشـقى، وكيف أن رضاه عن نفسـه أشـغله عن إصلاحها أو تطهير عيوبها ومساويها، ولهذا قال سـيدي ابن عجيبة رضي الله عنه:(ينبغي للفقير أن يخفي محاسـنه وأعماله التي يمدح عليها، ويظهر ما يسـقط في أعينهم مما هو مباح).لأن الرضـى عن النفس فيه الهلكة، والعياذ بالله تعالى.

الدرة [145]: إذا أطلق الثناء عليك ولست بأهل فأثن عليه بما هو أهله

الشـــرح: العارف الكامل متي ما ســـمع من الخلق مدحا أو ثناء أجراه الحق تعالى على ألسنتهم يبادر بالثناء على الله تعالى، وكيف أنه ستر عنه المساوئ وأظهر لهم المحاســن، مع أنه لولا الســتر الخفي واللطف الإلهي الجاري لكان حديثهم عنه بما لا يليق، ومن أجمل ما يكون الثناء المتبادل بين العبد وربه، وخاصة إن كان العبد أهلا لما يثنى الحق تعالى عليه فيرتفع عن شـهود وصـف وصـفه إياه ربه، بتوجيه الثناء إلى الله تعالى المكرم الفاعل جل شأنه، فلا تكون النتيجة إلا مزيد لطف من الله وإكرام، ثم ولا يقف عند هذا الحد بل يبدل الوصف الذي لا يرضاه من باطنه بوصف يرضاه تعالى له. وهو الله الذي خلق فسوى وقدر فهدى، فكان كل امرئ مهيأ لما خلق له، جل جلال الله تعالى.

الدرة [146]: الزهاد إذا مدحوا انقبضوا لشهودهم الثناء من الخلق، والعارفون إذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق

الشـرح: الزهاد هم الذي غلب عليهم ترك الدنيا من أيديهم ويفرون منها ومن أهلها لغيبتهم عن الله فيها، ولو عرفوا الله في كل شــيء ما اســتوحشــوا من كل شــيء، ولأنســوا بكل شــيء، وتأدبوا مع كل شــيء، كما هو حال العارفين الذين يشـــهدون التجليات الإلهية في كل شـيء، فلا يحجبهم الخلق عن الحق، بل يفهمون عن الله تعالى حكمته في خلق الأشـياء، وتعلقها بأفعال وصــفات وتجليات الله تعالى، ولله تجليات في الأزمنة والأمكنة والأشـخاص، فإذا أحب الله تعالى عبدا اســمعه، وبشــره على لســان خلقه، فالعارف أذا سمع البشارة من الخلق سمعها من الله لأن الله هو الذي انطق كل شيء، وأما الزاهد فلغيبته عن الله ينكرها خوفا من تأثيرها على قلبه.

الدرة [147]: متى كنت إذا أعطيت يبسطك العطاء وإذا منعت قبضك المنع فاستدل بذلك على ثبوت طفوليتك وعدم صدقك في عبوديتك

الشـــرح: كن جميلا ترى الوجود جميلا، عش مع المتجلي الحق تبارك وتعالى ولا تحجب بشهود تجلياته عن ذاته جل وعلا، فالأدب الكامل في شهود الحكمة الإلهية في كل شيء، وأعلى مقام مقام شهود الحكمة، صاحبه لا يرى من حبيبه إلا خيرا، حاله التســليم والتفويض المطلق والرضــي عن الله في كل شــيء، فكل ما هو من المحبوب محبوب، ولهذا فالعارف بالله اســتوى عنده البســط والقبض، العطاء والمنع، لأنه لا يقف عند المقام بل عند صــاحب المقام، ولهذا لا تؤثر عليه نفســه بالجزع عند المنع، ولا بالاستيحاش عند القبض، لأنه قد خرج عن حظوظ نفسه وعاداتها وطبائعها، ولم يشــهد إلا الربوبية في تجلياتها، وهذا هو الصــدق في العبودية، وهذا هو مقام الرضــى عن الله تعالى.

الدرة [148]: إذا وقع منك ذنب فلا يكن سببا ليأسك من حصول الاستقامة مع ربك فقد يكون ذلك آخر ذنب قدره عليك

الشــرح: العبد الصــادق إذا أذنب ذنبا لم يمنعه الذنب عن العود إلى طرق باب المعبود، لأن من داوم على قرع الباب لا شــك ســيفتح له، بدل أن يحجبه الذنب فيكون ســببا في اليأس والقنوط، أو مانعا من تحقيق الاســتقامة كما يريد، فلا يجره ذلك إلا وبالا على وبال، بل المؤمن كلما ســقط نهض وقام فجدد العهد مع الله تعالى، لأن المقصــود أمامه، فلا يلتفت إلى قاطع يقطعه عن الله تعالى، بل يبادر يثابر إلى ما يحبه الله ويرضــى، وهو يحب التوابين ويحب المتطهرين، أي يحب الطهارة الحســية والباطنية، الحسية من الذنوب والباطنية من العيوب أو لتعلق بسوى المحبوب، فإذا تهيأ العبد بالطهارة، وعالج نفســه الأمارة وصــدق في اضــطراره إلى الله تعالى، وافتقاره

وتذلله بين يديه، فقد ينظر إليه نظرة تتحقق فيها السعادة الأبدية، والاصطفاء الإلهي الكامل، والله على كل شيء قدير، وهو الذي يفعل ما يريد، وإذا أراد حصل المراد، المهم هو الصدق، وتحقق الإذن الإلهي بعد التوبة النصوح.

الدرة [149]: إذا أردت أن يفتح الله لك باب الرجاء فاشهد ما منه إليك، وإذا أردت أن يفتح لك باب الخوف فأشهد ما منك إليه

الشـــرح: الحمد الله الكرم يأتي من الله تعالى، أما الإســـاءة فتأتي من العبد نفســه، والســالك معرض دائما للغفلة والتقصير وفتور الهمة، فإذا أصابه شيء من ذلك فدواؤه الخوف من الله، وعندما يرجع إلى الله يتذكر تقصيره وما كسبت نفسه الخاطئة المذنبة، فيعود يرجو الله لذنبه، وليعلم أنه إن حاسب نفسه على الذنب حاسبه ربه بالعفو، وإن حاسب نفسه على الإساءة حاسبه ربه بالمثابة، وهكذا حاله دائما بين الخوف والرجاء لكل حالة يشـــعر فيها بالبعد عن الله، وأعلى من ذلك هو لغيبة عن الرجاء والخوف بشـــهود الجميل الجليل تبارك وتعالى، أو شـــهود تجليات الحكمة في الجمال والجلال، وهذا هو مقام أهل الشـــهود، أهل الاســـتواء والاعتدال، الذين اســـتوى ظاهرهم مع باطنهم، واســـتوى عندهم كل شـــيء، لأنهم لا يعيشـــون مع الأشـــياء بل يعيشـــون مع صاحب المشـيئة الإلهية والقدرة المحيرة ولله در قائلهم (زدني بفرط الحب فيك تحيرا).

الدرة [150]: ربما أفادك في ليل القبض ما لم تستمده في إشراق نهار البسط

الشـرح: من شـأن القبض أن يقبض النفس عن حظوظها ويجرها إلى الوحشة من الخلق، ومن شأنه أيضا السكون كسكون الليل، ولكن السكون كله أدب، وهو سـمة العارفين وبيئة المعرفة بالله تعالى، ولهذا قال رضـي الله عنه:(أفادك في ليل القبض ما لم تستمده في إشـراق نهار البسـط)، لأنهم مثلوا السـالك في حالة البسـط والقوة كقدر غلا وفار، فإن تركه يغلي طفح إناؤه خارج القدر ولا يزال متقلبا في حالة الغليان، وإن كفه أي أخمد ناره بقي زاده كما كان، وتمكن نوره، وبقي قلبه مجموعا على الله تعالى. ولهذا فالأصـل أن يتحلى السـالك في مقام البسـط بالطمأنينة والوقار، ويستغله بتحصيل العلوم ومجالسـة الأخيار، وهو لا يدري أي المقامين أقرب له نفعا، اللهم انفعنا بكل حال وبكل مقام يا رب العالمين،

الدرة [151]: مطالع الأنوار، القلوب والأسرار

الشـرح: كلما صـفت القلوب أوصـفت، أي صـارت مهيأة للمشـاهدة بنور البصـيرة بعد زوال الأغيار والتعلق بالله الواحد القهار، ونور البصـيرة كما عرفت هي قوة للقلب منورة بنور القدس، ترى بها حقائق الأشـياء وبواطنها، كقوة البصـر للنفس الذي ترى به صـور الأشـياء وظواهرها، وصـاحبها يسـمى عارفا، وكلما صـفت تجليات الأنوار انقلبت المعاني إلى أسرار، والسر مرتبة من مراتب القلب، وهو أول مطالع أنوار المشـاهدة، وسـر السـر هو أول مطالع أنوار المعاينة والمكالمة، والنور حله القلب، لأن النفوس والعقول ليسـتا مهيأتان لتكونان محلا لمطالع الأنوار بسـبب اشـتغالهما بالمحسـوس، ولكن بالجملة النفس أول أمرها قليل نورها حتى تتيقظ عن غفلتها

ويتنور قلبها بصـــدق توجهها إلى الله تعالى، ســـواء بالدليل والبرهان، أو بالمشـــاهدة والعيان، حتى تسكن وتطمئن بعد رفع الحجاب ومشاهدة الأحباب.

الدرة [152]: نور مستودع في القلوب مدده من النور الوارد في خزائن الغيوب

الشـرح: الله سـبحانه وتعالى اسـتودع القلوب أسـرارا بالغة الأهمية عظيمة القدر، مصـــدرها من عالم الغيب لا من عالم الشـــهادة، لأن عالم الشـــهادة علاقته بالعقل وما يجري فيه من فكر ونظر واســـتدلال، وأصـحابه هم أولو الأبصـــار، وأما عالم الغيب فعلاقته وما يجري فيه من معارف وأذواق ومشـــاهدات بعالم القلب، وأصحابه هم أولوا الألباب، الذين يؤمنون بالغيب إيمانا يقينيا لا شبهة فيه، لوصولهم إلى مقام الإحســان مقام الشـهود والعيان، والذي فيه العبادة عبودة أي عبادة مقترنه بالمعارف والشهود، والتي أمدادها من خزائن علام الغيوب تبارك وتعالى، قال جل ذكره "**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا, إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ**". والرســـول هنا بالمعنى اللغوي في مقام الإحســـان لا في مقام الإســـلام، لأن مقام الإســـلام إمداداته من أحكام القرآن والســـنة المطهرة، وأما مقام الإحســـان فإمداداته قلبية وإســـراره غيبية لدنية، اللهم أتحفنا بالأسرار والأنوار، ولا تقطعنا بالأغيار عنك يا عزيز يا جبار.

الدرة [153]: نور يكشف لك به عن آثاره ونور يكشف لك به عن أوصافه

الشـــرح: نور الكشـــف هو النور الـذي تنكشـــف بـه الحقـائق والمغيبـات، والأســرار والمشـاهدات، وهو قسـمان: قسـم متعلق بالظاهر وتجليات اسـمه الظاهر وقسـم متعلق بالباطن وتجليات اسـمه الباطن، فالأول لأولى الإيمان أصحاب العقول

والبصائر الذي يستخدمون منطق العقل في الوصول إلى الحق بما أرشدهم إليه الحق في ظاهر كتابه من آيات عظمته المبثوثة في الكون وما فيه من أسـرار تنطق بالعظمة الإلهية المحيرة، كخلق الكون على نظام بديع متقن الصـنع، لا تجد فيه عوجا ولا أمتا كما قال تعالى "**إِنَّا كُلَّ شَـيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**"[79]، وأما نور الإحسـان فهو النور الذي يكشـف لك به حقيقة ذاته فلا ترى شـيئا إلا رأيت صـانعه فيه، وهو نور السـماوات والأرض، أي منورها على غير مثال سـابق، وهو قيوم السـماوات والأرض القائم فيها، أي في خلقها وتدبيرها، فما ثم إلا نور ذاته تبارك وتعالى، وسـوى ذلك هو الوهم والخيال، كما قال سيدي ابن عربي رضي الله عنه:

رأيت خيال الظل أعظم عبره   لمن هو في عين الحقيقة راقي

شخوص وأشباح تمر وتنتهي   الكل يفنى والمحرك باقي

الدرة [154]: ربما وقفت القلوب مع الأنوار كما حجبت النفوس بكثائف الأغيار

الشرح: ينبغي أن لا تقف همة سالك عند مشاهدة ما فمن كان مقام شهوده الأفعال عليه أن يترقى إلى مقام شهود الصفات، ومن كان مقامه شهود الصفات عليه أن يترقى إلى مقام شـهود الذات، وما وقفت همة سـالك عند مقام ألا ونادته هواتف الحقيقة الذي تطلب أمامك، وكل مقام بالنسـبة لما بعده حجاب، فقد يحجب العبد في مقام شـهود الأفعال بحلاوة الأعمال، وقد يحجب العبد في مقام شـهود الصـفات بحلاوة الذكر والأحوال، وقد يحجب العبد في مقام شـهود الذات بحلاوة الفكرة والنظرة عن الوصـلة والمكالمة، وهكذا، والمتوقف راجع، وما الترقي انتهاء، والملتفت لا يصل، لأن الغاية أسمى مما يعرض للسالك في الطريق ولهذا فإن خطورة الوقوف مع

الأنوار كخطورة الوقوف مع أغيار الدنيا والآثار من حيث ترقي العبد في ســيرة إلى الله تعالى،

الدرة [155]: ستر أنوار السرائر بكثائف الظواهر إجلالا لها أن تبتذل بوجود الإظهار، وأن ينادى عليها بلسان الاستشهار

الشــرح: الله سـبحانه وتعالى من غيرته على أسـرار ربوبيته ومعانيها في خلقه، جعل الكثائف أي المخلوقات الحســية الظاهرة مســتودعا للطائف أي التجليات والحقائق، أو فلتقل جعل الأواني مســتودعا للمعاني، ولم يجعل المعاني حقائق معراة لأنه كلما خفي سر الشيء جل قدره، ولو علمت حقيقته فأصبح معلوما لصار مبذولا، ولو كان مشــهورا لقلت قيمته، وحصــل ابتذاله، ولما تطرقت أذهان الناس إليه، أو جالت أبصـارهم فيه والحقيقة كالعورة لو كشـفت فضحت وابتذلت، وإذا تكشـفت الثمار خربت، وقيمتها سـقطت ولهذا من أعز شـيئا سـتره، كما سـترت العرب أسـماء الحرائر من النساء غيرة عليهن وصونا لهن، ولله المثل الأعلى.

الدرة [156]: سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه، ولم يوصل أليهم إلا من أراد أن يوصله إليه

الشــرح: كما أن الله تعالى جعل لكل شــيئا ســببا فقد جعل وجود الأنبياء والأولياء وســائط في التبليغ والتربية والتزكية والهداية ونقول الأولياء وهم كمل العلماء العـاملين، لأن العلمـاء ورثـة الأنبيـاء، وهنـالـك العـالم بعلم ظاهر من غير حـال بـاطن، وهناك العالم بعلم ظاهر وباطن مع حال باطن، فالأول لا قدرة له على التربية والتزكية والأخذ بيد المريدين والدلالة على الله، أي الإرشــاد إلى المعرفة بالله تعالى، وإنما قدرته

على الإرشـــاد إلى الإســـلام من غير تربية وتزكية ومعرفة بالله تعالى، ولهذا قال القوم رضـوان الله عليهم: ما لا يتم الواجب ألا به فهو واجب، فإذا لم يتيسـر للنفس التزكية والتربية إلا بصـحبة الأصـفياء الصـادقين، وهم الذين اكتملت معرفتهم بالله تعالى، واكتملت نفوســهم فأصـبحت كاملة، واكتملت أرواحهم بالمحبة، واكتملت عقولهم بمعرفة العلوم الشـرعية، وجب على كل مسـلم الصـحبة والمجاورة، أي مجالسـة الصـالحين وملازمتهم، لأنه ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وإذا كان التداوي عن المرض الحسي مستحبا، فالتداوي عن المرض النفسي واجبا، لأنه من لم يكن له شيخ يقوده طريق الهدى قاده الشـيطان لا محالة إلى طريق الردى، فمن وصـل إلى الشـيخ العارف بالله، المأذون من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فقد وصل إلى الله، أي إلى معرفته، تحقيقا لقوله صلى الله عليه وسلم: (**خياركم من ذكركم بالله رؤيته، وزاد في علمكم منطقه، ورغبكم في الآخرة عمله**)، ولكن المهم أن لا ينحجب السـالك ببشـريتهم عن روحانيتهم، وهم القوم لا يشـقى بهم جليسـهم، بل يسـعد سـعادة أبدية بالشهود والعيان ومعرفة الله تعالى. جزاهم الله عنا خير الجزاء.

الدرة [157]: ربما أطلعك على غيب ملكوته وحجب عنك الاستشراف على أسرار العباد

الشـرح: السـالكين إلى الله تعالى مراتب، ومنهم من يكرمه الله تعالى بخفايا عالم الملكوت، أي بأسـرار الذات القائمة بأنوار الصـفات، ويكرم بعضـهم بأسـرار الجبروت، وهي أسـرار الذات الأزلية قبل النشـأة التكوينية، ولكن يمنعهم من الاطلاع على أسـرار العباد، والتي هي من عالم الملك حتى لا ينشـغلوا بها عن العالمين: عالم الملكوت وعالم الجبروت، أو حتى لا يفضح بعضهم بعضا، وحتى لو كشف الأسرار لبعضهم فجمعوا بين الكشف الحسي وما أكرموا به من كشف معنوي، إلا أن آدابهم العالية وأخلاقهم السامية تمنعهم من ذلك، لا انشغالهم بما هو أعلى، ولخوف الفتنة

على قلوبهم، وكم من الصحابة رضوان الله عليهم وهم خواص العارفين المنورين حجب الله تعالى عنهم أحوال المنافقين، و اختص رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدا منهم بعلم ذلك هو سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، كاتم سر رسول الله حتى جاءه سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه خائفا على نفسه أن يكون واحدا منهم فقال له: لست منهم يا عمر، يفهم من ذلك أن الاطلاع على عالم الملكوت أفضل من الاطلاع على أسرار العباد.

الدرة [158]: من اطلع على أسرار العباد ولم يتخلق بالرحمة الإلهية كان اطلاعه فتنه عليه وسببا لجر الوبال عليه

الشرح: لكل مقام آدابه، ولكل مرتبة أخلاقها، فمن أكرم بالكشف وأصبح من العارفين المتوسمين، ينبغي له التخلق بأخلاق الله عز وجل إذا ما وجدوا من عباد الله خللا في الآداب الظاهرة والباطنة، من غفلة أو فتور أو حسد وغرور وغير ذلك، فمن أخلاق الله وصفاته الحليم الستار، الذي لا يأخذ عبده بكل ذنب ارتكبه، بل يرحم ويحلم ويمهل عسى أن يعود ويرجع إلى أصل فطرته ونقاء سريرته، وقالوا الشيخ الكامل يصبر على مريده القائم على تربيته أربعين سنة لعل العناية الإلهية تتداركه ويصبح من خلص عباده المقربين، وينبه رضي الله عنه صاحب الكشف لعدم الاغترار، وألا يتجاوز حدود ه، لأنه لو كان ضعيفا، أي ليس من أهل التمكن، أي في تخلقه بأوصاف الحق تعالى، ومنها صفة الستر التي ذكرنا، فهذا نفسه حية يخشى عليه أن ترى نفسه المزية على الناس، فيقع في الكبر والعجب والغرور، فيكون ذلك سببا في الطرد والبعد وحصول الحجاب والعياذ بالله تعالى، اللهم ارزقنا الأدب الكامل يا رب العالمين.

الدرة [159]: حظ النفس في المعصية ظاهر جلي وحظها في الطاعة باطن خفي، ومداواة ما يخفي صعب علاجه

الشــرح: حظوظ النفس نوعان: حظ حســي ظاهر، وحظ باطني خفي، وأما حظ النفس الحسـي فهو من الشـهوات كلذة الأكل والشـرب والنكاح وسـماع المغنيات وأما حظها الباطني فحظهما من الكرامات وخوارق العـادات والاطلاع على المغيبات، والأول سـهل علاجه بقطع أسـبابه، أو تنظيمه بالقدر الذي أحله الله تعالى، مع مراعاة عدم تعلقه بالقلب وأما الثاني فيحتاج في دوائه إلى خبير في علل القلوب وأدوائها، عالم بخفايا النفس وأمزاجها وأحوال القلب وعلله وعلومه، لأن النفس في طبيعتها مخلوق معقد في ميوله ورغباته وشــهواته والبواعث على الطاعة والمعصــية فيه، فتحتاج إلى من يســايســها، كيف لا والنفس في بـدايتهـا بيئتها بيئـة لســوء كمـا قـال تعـالى "**إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ**"[80]. ثم أن الشـهوة الظاهرة يعلم صـاحبها منها أنها حرام، أما الشــهوة الباطنية فخفية في اغلب أحيانها، لأن الســالك قد يطلب بطاعته شــهوة خفية من رؤية نفس ومزية، أو يميل بطبعه إلى الاستئناس بالناس، وقد يلجأ إلى طاعة تميل فيها نفســه عن طاعـة تنفر منها، وهـذا من النقص والهوى، وقـد ســئل احـد العـارفين متى يصــير داء النفس دواها فقـال:(إذا خـالفـت النفس هواهـا صــار داؤهـا دواها) وخير ســبيل إلى ذلك هو اختيار الأثقل على النفس، لأنه كما قال رضــي الله عنه:(إذا التبس عليك أمران انظر أثقلهما على النفس فـإنه لا يثقل عليها إلا ما كان حقا) اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه.

الدرة [160]: ربما دخل الرياء عليك من حيث لا ينظر الخلق إليك

الشــرح: الرياء من أعظم الآفات، وخطورته تكمن في تلبســه بالطاعة، وقد يدخل الرياء على نفس المؤمن من باب قد ألفه في الطاعة، كقوة الصــبر في الذكر،

والهمة في العبادة، وسعة العلم، فيدخل عليه الرياء من مظنة الطاعة، أي من شهود النفس في الطاعة، أومن مظنة الوصول إلى الله تعالى بسبب عمل من الأعمال، فينسب العمل لنفسه وينسى أن كل توفيقه على العمل هذا من الله، ولولا توفيق الله له لما استطاع إن يتحرك حركة واحدة، والأصعب منه أن يكون قصد بعمله الخلق، ولولاهم لم يعمل، ودونه من يعمل العمل لله ولكن رجاء ثواب أو دفع عقاب، وهذا أقل مرتبة من سابقيه، إلا أنه مقبول من وجه، معلول من وجه آخر، مقبول من حيث وجود الإخلاص، معلول من حيث وجود الحظوظ، ولكن ليست الحظوظ الدنيوية، بل الحظوظ الأخروية. وقف أحدهم عند قوله تعالى: "مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ " فقال: أين من يريد الله؟ ولهذا فالإخلاص الكامل في نظر العارفين، هو أن يعمل العمل لا يريد به حظا دنيويا ولا أخرويا، وإنما يريد به وجه الله تعالى، قال تعالى: " ئا ئا ئه " قيل: هو العمل السالم من الرياء ظاهرا وباطنا، والله المستعان.

الدرة [161]: استشرافك أن يعلم الخلق بخصوصيتك دليل على عدم صدقك في عبوديتك

الشرح: مما هو داخل في موضوع الرياء الخفي ميل السالك أو رغبته أن يراه الناس من أهل الخصوص مثلا، أو يظنوا فيه أنه صار وليا، وهذا وهم وطعن في صدق حاله مع الله تعالى، لأن العبد الصادق في عبوديته لا يشهد مرتبة، بل يشهد الله صاحب المراتب الحقيقية كلها، فلا يهمه أن علم الناس بحقيقته أم لم يعلموا، فهو لا ينظر إلى ظهور ولا إلى خفاء، فلا هو عبد الظهور، ولا هو عبد الخفاء، ومن أحب الظهور فهو عبد الظهور، ومن لم يرد غير ما أراد الله به فهو عبد الله حقا، وقد قيل لأحد العارفين من الشيوخ أما تخشى من الرياء فيقول:(ويحكم هل رأيتم من يرائي بفعل غيره)، فهو لا ينسب فعلا لنفسه، بل يشهد كل فعل أجراه الله عليه من فعل الله تعالى ومن هنا يجوز لمن فني عن نفسه وتحقق بشهود ربه أن يظهر بعض محاسن

أحواله إما شحذا لهمة غيره، أو من باب "**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**".اللهم لا ترنا صالح أعمالنا وأرنا فضلك علينا يا رب العالمين.

الدرة [162]: غيب نظر الخلق إليك بنظر الله إليك وغب عن إقبالهم عليك بشهود إقباله عليك

الشـرح: يشـير رضـي الله عنه إلى السـبيل الأسـلم للخلاص من رؤية الأغيار والانشـغال بالناس، وذلك باسـتحضـار شـهود الوجود الحق تبارك وتعالى في كل الأنفاس، وأن سـواه مفقود، لأن الخلق في التحقيق إنما هم كما وصـفهم سـيدي ابن عجيبة رضـي الله عنه: كالماء في الهواء، أو كظلال الأشـخاص إن فتشـتهم لم تجدهم شيئا، فغب عن إقبالهم عليك بشهود إقبال الكريم وسوابق فضله عليك، واستحضر تجليات صـفاته في كل شـأن من الشـؤون، بهذا تخرج من الفتون، لأن من عرف الحق وجه على الخلق قوله تعالى "**وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**"[81]. وقوله تعالى: "**وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ**"[82]. لأن أثبات وجود السـوى يعطي ويمنع، يخفض ويرفع، يعز ويذل، هذا عين البطلان، واصـدق ما في هذا المقام قول السيدة رابعة العدوية رضي الله عنها:

وليتك تحلو والحياة مريرة   وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر   وبيني وبين العالمين خراب

وليت شرابي من ودادك صافيا وشربي من ماء المعين سراب

إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

الدرة [163]: من عرف الحق شهده في كل شيء، ومن فني به غاب عن كل شيء، ومن أحبه لم يؤثر عليه شيئا

الشرح: من أحب الله تعالى جاد بنفسه وجاهدها وسعى إلى خلاصها من رتق الدنيا وشهواتها. وصبر في ذلك على تربيتها وتهذيبها وتطهيرها، لأن رغبته أصبحت في الله. وعين طريق السادة الصوفية ومطلبهم ومقصدهم هو الله. قال تعالى: "**وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ**"[83]. ومن أحب الله أذاقه حلاوة معرفته، فأفناه عن نفسه، وعن الخلائق، ثم أبقاه به تبارك وتعالى. أي نقله من طور الفناء إلى البقاء، حتى شهده في كل شيء، ونظر إلى عظمته فأنسته كل شيء، وغاب بشهود وحدانيته عن كل شيء، فهو الواحد الذي ليس كمثله شيء، وليس معه شيء، ودخل في مضمار حبه، فأذهبه عن نفسه، وأذاقه شراب وده وانسه، قيل: (المتمكن في حب الله لا يؤثر عليه شيئا من حظوظه وهوى نفسه، ولو كان فيه حتف أنفه).اللهم رقنا إلى البقاء بك من بعد الفناء، والفرق بين الفناء والبقاء: أن الفاني لا يثبت شيئا سوى الله، ولا يرى إلا الحق، وأما العارف الكامل في طور البقاء: فيثبت الأشياء بالله، ويرى الحق في الخلق، وحقيقة حاله يقول: ما رأيت شيئا إلا رأيت الله فيه. فهذا الفرق بين العارف الباقي بالله والفاني المجذوب إلى الله، والحمد لله طريق السادة الشاذلية رضي الله عنهم كلها كمال، وندر عندنا المجاذيب. أي من كان مجذوبا جذبا باطنيا من دون صحو، أما بالنسبة للجذب الباطني فكلنا مجذوب إلى الله باختياره وافتقاره واضطراره.

الدرة [164]: إنما حجبك الحق عنك شدة قربة منك، وإنما احتجب لشدة ظهوره وخفي عن الأبصار لعظم نوره

الشرح: الله سبحانه وتعالى حاضر لا يغيب، قال تعالى: "وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ "، فهو ظاهر في كل شيء وباطن كذلك في كل شيء، قال تعالى: "**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ**

وَالْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ "[84]. وإنما حجبه شدة قربه كما في قوله تعالى: "وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ"[85]. ومثلوا على شدة قربه تعالى بمن يشم رائحة المسك فلا يزال يدنو، وكلما دنا منها تزايد ريحها، فلما دخل البيت الذي فيه المسك انقطعت رائحته عنه.. وحجبه عظيم نوره كما في حديث مسلم في قصة الإسراء: قلنا يا رسول الله هل رأيت ربك، قال: نور أنى أراه؟ بلفظ الاستفهام، أي غلبني النور فكيف أراه، وفي رواية: رأيت نورا، فيحمل على أنه صلى الله عليه وسلم أول مرة رأى نورا، ثم لم يطق مشاهدته بالبصر مع تحقق شهوده بالبصيرة، ومثلوا على عظيم نوره بالبرق الخاطف فإن البصر لا يطيق رؤيته، قال تعالى "**لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ". أي لا تحيط بنوره الأبصار وهو نور السماوات والأرض، وإنما تدركه البصائر أي بصائر العارفين. .. وحجبه شدة ظهوره. قال صاحب الهمزية: (ومن شدة الظهور الخفاء) ومثلوا على شدة ظهوره تعالى بالقرب من الشمس حين يعظم شعاعها ويتقوى إشراقه، فإن الأبصار الضعيفة لا تقوى على مشاهدتها مع شدة الظهور، فصار شدة الظهور موجب للخفاء.

الدرة [165]: إنما احتجب لشدة ظهوره، وخفي عن الأبصار لعظم نوره

الشرح: يشار بشدة الظهور إلى بروز تجليات صفات الحق تعالى على الخلائق، حتى تلبست معانيها بذوات الأشياء، وظهر الوهم بصورة الحقيقة مع أن الأصل هي الحقيقة، حتى قالوا:

قد بالغ في الظهور والكتمان حتى حار به أول العرفان

والسر على التحقيق كالإعلان قد أودعه في هذه الأكوان

ولهذا فإنما وجدت الأشياء بأوصافه، وظهرت بنوره في نوره سبحانه وتعالى، مع العلم أن الله تعالى هو الظاهر قبل وجود كل شيء، فكل ما ظهر فمنه وإليه، والذي كان في أزله ظاهر بنفسه ثم تجلى لنفسه بنفسه، فهو الغني بذاته عن أن يظهر بغيره، أو يحتاج إلى من يعرفه غيره. ولهذا فالله سبحانه وتعالى أحتجب عن

الخلائق لكن بغير حجاب، لأنه أحتجب عنهم بشيء ليس بموجود إلا وهو الوهم، والوهم أمر عادي مفقود، ولهذا قالوا: الكون كله مجموع، والغير عندنا ممنوع، ثم قال رضي الله عنه: (وخفي عن الأبصار لعظيم نوره) وهذا النور فسره بعضهم فقال سيدي ابن عجيبة رضي الله عنه: بأنه النور الأصلي الذي خاض من بحر الجبروت فهو نور عظيم، إلا أنه تستر بالحكمة والعزة والقهرية، أي تستر بالوسائط والأسباب المحسوسة الظاهرة، وبطنت معانيه وصفاته وأسماؤه فيها، ولهذا فالعارف بالله تعالى يشهد الحق في الخلق أي يعبر من الظاهر إلى الباطن ليدرك أسرار الذات القائمة في المعاني والصفات، والله تعالى أعلم.

الدرة [166]: لا يكن طلبك تسببا إلى العطاء منه فيقل فهمك عنه وليكن طلبك لإظهار العبودية وقياما بحقوق الربوبية

الشرح: لا عيب في الطلب ولكن أن يقوم على سلامة المقصد والأدب، فإذا قصد السالك شيئا فإنما يقصده ليكون سببا في القيام بحقوق العبودية، كأن يطلب العبد من ربه أن يرزقه الهمة العالية والمعرفة الواسعة للقيام بكمال العبودية، والتعرف على أسمائه وصفاته وكمالات ذاته العلية، فهذا مطلوب وسبيل للتحقق بالغاية التي خلقنا لأجلها وهي معرفة الله وشهوده، أما أن يكون الطلب علة لاستجلاب الكرامات، أو الحصول على خوارق العادات، أو استذواق الحلاوات، فهذا من الآفات، والدليل على حصول الزلات، لأن الطلب إن لم يكن مجردا عن الحظوظ والأهواء، كان طعنا في صدق غاية السالك في سيرة إلى الله، أما أن كان لإظهار الفاقة بين يدي الله وحصول التضرع والاضطرار فهذا هو الأصل، وهذه هي الفائدة من الدعاء.

الدرة [167]: كيف يكون طلبك اللاحق سببا في عطائه السابق، جل حكم الأزل إن يضاف إلى العلل

الشـرح: من العجب أن ينسـى سـالك طريق الحق عز وجل القسـمة الأزلية الثابتة، حين يطلب ما هو دون الغاية التي عرفها ولا ينوبه في المحصلة إلا آفة الالتفات، ولو اشـتغل بالمقصـود الأعظم لكان أولى، لأن كل ما هو آت آت، وليس في الإمكان أبدع مما كان، وحكم الأزل قديم وقاهر على المسـببات الحادثة التي أحدثتها القدرة والمشـينة وفق العلم والإرادة، ولهذا فمحرم على من اجتبته العناية الأزلية أن يلتفت إلى أرض الحدوث والعدم، فالملتفت لا يصـل، والواقف راجع. وطريق السـادة الصـوفية منزه عن العلل، ومن تعجل الشـيء قبل أوانه عوقب بحرمانه، فليكن مقصودنا الله لا شيء سواه، ومن وحد همه كفاه كل ما أهمه وأغمه،

الدرة [168]: عنايته فيك لا لشيء فيك، وأين كنت حين واجهتك عنايته وقابلتك رعايته؟ لم يكن في أزله إخلاص إعمال ولا وجود أحوال بل لم يكن هناك إلا محض الأفضال وعظم النوال

الشـرح: مما يشـوب الإخلاص والصـدق مظنة السـالك أن الله تعالى أكرمه بهذا الطريق لما انطوت عليه نفسـه من طهارة ونقاء، أو تحقيق أهلية وصـفاء فأين قيمة هذا العبد عندما كان في طور الفناء والعدم، لولا أن من الله تعالى بالإيجاد والإمداد، من بعد إن لم يكن ثمة خلق ولا أعمال ولا أحوال، وإنما تخصـيصـات المشيئة الإلهية من محض الأفضال والإكرام، إذن فلا سعادة ولا شقاء إلا وقد سبق بهما القدر، والسعيد سعيد الأزل، والشقي شقي الأزل، وما كان سيكون حسبما أراد إله الكون، وهو الذي لا يسـأل عما يفعل وهم يسـألون، ولهذا قال الإمام الواسـطي

رحمـه الله:(أقســـام قســـمت ونعوت أجريـت، كيف تســـتجلب بحركات، أو تنـال بمعاملات).

الدرة [169]: علم أن العباد يتشوفون إلى ظهور سر العناية وعلم انه لو خلاهم وذلك لتركو العمل اعتمادا على الأزل

الشـرح: إن في سـر العناية الإلهية لشـرف عظيم أدعاه العباد جميعا وظن كل أحد أنه المجتبى، فأخبرهم الحق تعالى أن هذا السـر إنما هو اختصـاص حسـب مشـيئته تبارك وتعالى، وهو القائل: (يختص برحمته من يشـاء) ولم يكشـف هذا السر لهم حتى لا يتركوا العمل ويعتمدوا على حكم الأزل، بل أخبر أن لهذا السـر علامات فقال تعالى: "**إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ**"[86]. أي الذين أحسـنوا عبادة ربهم، وأحسـنوا إلى عبيده، وهذا ضـرب في وجوه الذين يدعون ولا يعملون، ولذلك قال سـيدي ابن عجيبة رضـي الله عنه: (من اسـتند إلى الحكم السـابق، وترك العمل فهو مغرور أو مطرود، لإبطال الحكمة، أي قيام الكون بالأسـباب والوسـائط، ومن اسـتند إلى العمل دون النظر للقدرة والمشـيئة السـابقة، فهو جاهل بعيد عن الحضـرة غافل) لأن الأصـل والمدار إنما هو على السـابقة، ومن جمع بين سـر الخصـوصـية، والعمل بأحكام العبودية، فهذا محقق كامل، وهو إن شاء الله واصل.

الدرة [170]: إلى المشيئة يستند كل شيء وليست تستند هي إلى شيء

الشـرح: قال تعالى: "**إِنَّا كُلَّ شَـيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** "[87]. فكل شـيء راجع إلى المشيئة الإلهية المستندة إلى القدرة، والقدرة المستندة إلى الإرادة، والإرادة المستندة إلى العلم، كما قال صـلى الله عليه وسـلم:(إن الله تعالى كتب المقادير قبل أن يخلق

السـماوات والأرض بخمسـين ألف سـنة) أي كتبها بعلمه الأزلي السـابق، قبل وجودها على الحال الذي سـتوجد عليه بكل حركاتها وسـكناتها، وهيئاتها وكيفياتها، وأعراضـها وجواهرهـا، حسـب المشـيئـة المتحكمـة بكليـاتهـا وجزئيـاتهـا، قـال تعـالى: " **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** "[88]. وهذه المشـيئة الإلهية هي الأصـل والكل لها تبع، قال تعالى: "**وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**"[89]. فجعل مشـيئة العبد دائرة صـغيرة خاضـعة للدائرة الكلية، دائرة المشـيئة الإلهية، فتبين أن مشـيئة العبد ما هي في الحقيقة إلا وهم، ولله تعالى المشـيئة الحقيقية، وهو الله الذي له الحكم والأمر، وإليه ترجعون، أي رجوعا دائما متواصـلا مسـتندا إلى أمره وتجلياته وهو الله الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

الدرة [171]: ربما دلهم الأدب على ترك الطلب اعتمادا على قسمته، واشتغالا بذكره عن مسألته

الشرح: المشغول بالله لا يشغله عنه شيء، يعيش بالله، لله، من الله، في الله، وعلى الله، وإلى الله، به يسـتعين، وإليه يسـتكين، والله المسـتعان، وعلى الله التكلان فنـاؤه بـالله، وبقـاءه مـع الله، لله القـرار، وإلى الله الفـرار، قـال تـعـالى: "**وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** "[90]. قال سـيدي ابن عجيبة رضـي الله عنه: (الغالب على العارفين وأهل الفناء السـكوت والسـكون تحت مجاري الأقدار، فصـدور الطلب منهم قليل، لأن العارف فان عن نفسـه غائب عن حسـه، ليس له عن نفسـه أخبار، ولا مع غير الله قرار) قد علم أن القسـمة ثابتة، وأنه لا يقع في أرض الله إلا ما قدره الله، وهو التقدير المحكم الكامل الدقيق البديع الصـادر من العليم الحكيم تبارك وتعالى، فيسلم له أمره بلا اعتراض ظاهري أو باطني، أي بلا جزع ولا خوف ولا اضطراب)، قال تعالى "**بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** "[91]. فكان مقام الآية التسليم، وقال سيدنا الإمام الغزالي رضي الله عنه: (لو

نظرتم إلى القدر لاخترتم الواقع) فهذا هو حال العارف الكامل لا يرغب إلا فيما رغب به مولاه، ومن حاله أيضا انشغال وقته بعبادة ربه بكليته، حتى صار ظاهر العبد من حال باطنه، وباطنه من حال ظاهره، كما هو حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كسيدنا إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم، لما جاءه سيدنا جبريل عليه الصلاة والسلام سائلا لو كان له طلب من ربه، فقال عليه الصلاة والسلام: (علمه بحالي يغني عن سؤالي).

الدرة [172]: إنما يذكر من يجوز عليه الإغفال، وإنما ينبه من يمكن منه الإهمال

الشرح: الله سبحانه وتعالى هو الحي القيوم، القائم بشؤون خلقه، وتدبير أمورهم وفق مشيئته الأزلية التي وافقتا إرادته واتفقت مع علمه، وأظهرتها قدرته، فبدت كمالا على كمال، لا يشوبها نقص، ولا يعتريها نسيان، ولهذا فالله تعالى لا يحتاج إلى تذكير، ولا يفتقر إلى تنبيه، لأنه الرب الكامل سبحانه وتعالى، وإنما المطلوب من السالك أن يقف مع الأدب الكامل، وإن طلب من الحق شيئا فلا يطلب حظا، وإنما وقفته مع الله تعالى إنما هي إظهارا للعبودية، وقياما بحقوق الربوبية، ومن غلب عليه شهود القسمة قد يترك المسألة لاعتماده عليها وانشغاله بذكر ربه، وفي الحديث **(من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين)** إلا إذا وجد في قلبه إشارة إلى الدعاء دعا، أما إذا وجد في قلبه قبض فالسكوت أولى، وقال بعضهم:(ما سألت الله تعالى بلساني شيئا منذ خمسين سنة، ولا أريد أن أدعو ولا أن يدعى لي)وهذا حال خاص في مقام خاص.

الدرة [173]: ورود الفاقات أعياد المريدين

الشـرح: أجمل لحظات السـالك إلى الله، عندما يسـتحضـر فقره إلى الله وإلى رضـاه، تلك هي الصـلة الواجبة بين العبد ومولاه، قرة عين المؤمن الصـادق وربيع قلبه الصــلاة، عندما يســتحضـــر قرب الله تعالى منه، يدعوه ويناجيه، بالذل والانكســار والمداومة على قرع الباب حتى يرفع عنه الحجاب، ويذوق حلاوة القرب منه والأنس به تبارك وتعالى، وكذا الصــوم، عندما تصــوم النفس عن الأغيار وتعتكف في محراب القدس خلوة مع الحبيب في الليل والنهار، وهناك يناجي العبد مولاه، وقد تحققت له المصـافاة، بعيدا عن غش الحس، وتشـويشـات النفس، ولسـان حاله يقول: وعجلت إليك رب لترضى، اللهم أنت مقصودي ورضاك مطلوبي.

الدرة [174]: ربما وجدت المزيد في الفاقات مالا تجده في الصوم والصلاة

الشـرح: لما كان الافتقار إلى الله من أعمال القلوب، وكان الصوم والصلاة من أعمال الجوارح إلا فيما إذا تطهرت القلوب من العيوب، كان الافتقار هو المقام الأول لحصــول القرب والمزيد الذي يهب على القلوب من نســيم التوحيد، ومن كرامات المواهب الربانية والعلوم اللدنية، والذي متى ما تحقق به العبد باطنا صــار حرا بالله قويا عزيزا مستغنيا عما سواه، وهذا هو أعظم عيد لمن شأنه المزيد، وقال سيدي ابن عجيبة رضـي الله عنه (العارف بالله إذا نزلت به فاقه أو شــدة لم يســأل الله رفعها بل يفرح بها ويجعلها موسما وعيدا، لما يجد فيها من صفاء للقلب، وذهاب النفس، والأنس بالرب في حضـرة القدس ولما فتح على بعضـهم شيء من الدنيا قال: هذه عقوبة لم ادر ما سـببها، وإذا هجم عليهم الفقر قالوا: مرحبا بشـعار الصـالحين، وفي الحكمة: حيثما

وقعت الذلة وقعت معها النصـــرة، قال الله تعالى: "**وَلَقَدْ نَصَــرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ**"[92]. وقال العارفون: وبالضعف نلنا جميع القوى.

الدرة [175]: الفاقات بسط المواهب، وإذا أردت ورود المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك

الشـــرح: ليس مثل الافتقار إلى الله ســـبب في الدخول على الله، والأمر ليس بكثرة صيام وصلاة، وإنما الأمر بكثرة تذلل العبد إلى الله وانكسـاره بين يدي الله وهذا سر من أسرار القبول، ومفتاح من مفاتيح الوصول، قال سيدي ابن عجيبة رضي الله عنه: (لما كانت الطاعة فيها شـعور العبد بالرفعة والعزة، مع ما للنفس فيها من شـــهوة ومتعة خشـــي على العبد فيها من الرد والرفض، إلا إذ لبس العبد جلابيب الذل والانكســـار، كان ذلك الســـبيل الأمثل للدخول على الكبير المتعال) وفي الحزب الكبير يقول سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه:(أسالك الفقر مما سواك، والغني بك حتى لا نشـــهد إلا إياك) وفهم من هذا أن من أراد أن يمده الله بالغنى به عما ســـواه فليتحقق بالفقر مما سواه، ومن أراد العز الذي لا يفني فليتحقق بالذل لله والتواضع بين خلق الله، فمن تواضـــع دون قدره رفعه الله، ولهذا فأهل الله تعالى متفاوتون في العطايا والمواهب والقرب من الله بقدر تفاوتهم في التذلل والانكسار إليه، وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: (أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي) وعندية الحق تعالى ليس كمثله شيء، وإذا ما استضيف أحدهم إلى ملك الدنيا كان إكرامه له بما لا يحلم فيه، فكيف بملك الملوك تبارك وتعالى، وليس أحلى من الشهود ومن التملق إلى الملك المعبود تبارك وتعالى.

الدرة [176]: تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه تحقق بذلك يمدك بعزته، وتحقق بعجزك يمدك بقدرته، تحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته

الشرح: من دخل على الله تعالى بأوصاف العبودية أمده بأوصاف الربوبية، وكما قال سيدي أبن عجيبة رضي الله عنه: أوصاف العبودية أربعة يقابلها من أوصاف الربوبية أربعة:

(الأول) من العبد الفقر ومن الله الغنى.

(الثاني) من العبد الذل ومن الله العز.

(الثالث) من العبد العجز ومن الله القدرة.

(الرابع) من العبد الضعف ومن الله القوة.

ومعنى التحقق بالوصف، أي الاتصاف به قلبا وقالبا، فمن تعزز بالله ذل له كل شيء، ومن استعان بالله أعانه على كل شيء، وقل مثلها في باقي الأوصاف، وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: (تصحيح العبودية بملازمة الفقر والضعف والذل لله تعالى، وأضدادها أوصاف الربوبية، فما لك ولها، فلازم أوصافك، وتعلق بأوصافه، وقل من بساط الفقر الحقيقي: يا غني من للفقير سواك، ومن بساط الضعف الحقيقي: يا قوي من للضعيف سواك، ومن بساط الذل الحقيقي: يا عزيز من للذليل سواك، تجد الإجابة كأنها طوع يدك، واستعينوا بالله واصبروا إن الله مع الصابرين).

الدرة [177]: ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة

الشرح: الكرامة الحسية ليست من أصول الطريق ولا شرطا من شروطه، بل الاستقامة هي أساس الطريق وركنها الركين، ولهذا قال القوم رضوان الله عليهم:

الاستقامة عين الكرامة، وقد يرزق الله تعالى عبدا بالكرامة الحسية، أي كالمشي على الماء، والطيران في الهواء، وجلب الطعام، والاطلاع على المغيبات، وغير ذلك من خوارق العادات مكرا واستدراجا، وهو المحروم من الخير في الآخرة، أو من الكرامة المعنوية في الدنيا والآخرة، قال الحارث المحاسبي رحمه الله:(من تعجل بإخلاصه لحصول كرامة من مال وجاه وحسب ونسب فتح الله عليه أبوابها ولقي الله يوم القيامة صفر اليدين)، أي خاليا من الأجر والثواب، ليقول الله تعالى له وقتئذ: لقد أخذت حظك في الدنيا، خذوه يا ملائكتي فأدخلوه النار) ولهذا قال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه:(ليس الشأن من تطوى له الأرض فإذا هو بمكة أو بغيرها من البلدان، إنما الشأن من تطوى له صفات نفسه، فإذا هو عند ربه)، اللهم اجعل كرامتنا عندك،

الدرة [178]: من علامة إقامة الحق لك في الشيء إدامته إياك مع حصول النتائج

الشرح: من الآداب الكاملة، ومن تمام رضي السالك عن الله تعالى هو التسليم له فيما يقيم، فإذا أقامه في مقام فلا يتمنى الخروج منه حتى تأتيه إشارة صريحة من الشيخ، أو إلهام من الله تعالى، فمثلا من أقامه في الأسباب كالاشتغال بالدنيا وأسبابها، وأعطى حقوق ذلك المقام من تأدية زكاة وشكر ونحوها، فلا يجوز له الخروج بنفسه إلا إذا تحصل له الإذن الإلهي بالخروج، ومن أقامه في التجريد فليزم الباب ويتحلى بالآداب حتى يحظى بالجواب، والخلاصة لكل مقام حقوق وآداب فلا يتمنى المريد الخروج منه حتى يستوفي حقوقه، ولا يخرج منه بنفسه، إنما يخرج منه بالله، كما قال تعالى: "**وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا** "[93].

الدرة [179]: من عبر من بساط إحسانه أصمته الإساءة، ومن عبر من بساط إحسان الله إليه لم يصمت إذا أساء

الشـرح: لا شـك أن هناك فرقا بين من يرى الإحسـان من نفسـه، أي يرى أن ما ظهر عليه من أحوال وجواذب وفتوح وكرامات، أنها كانت لأجل جهده في الخدمة والعبادة مثلا، أو لأنه أهل لذلك ولدية الاسـتعداد، فهذا جاهل بالله تعالى، وعنده حجاب، وتسكته الإساءة عند حصولها، وأما من تحدث عن نعمه الله الواردة إليه من باب "**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**". فهذا لا بأس فيه للصادق الذي كل ما يراه فضلا من الله وإحسانا، كيف لا وهو لا يشـهد الإحسـان إلا من الله، فلا إحسـان حقيقة إلا من الله، ولا خير حقيقة إلا من الله، قال تعالى "**مَّا أَصَـابَكَ مِنْ حَسَـنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ**"[94]. ويعبر عن النعمة لمقصد سام، كأن يرفع في همة إخوانه مثلا ويوجههم إلى الله، فمثله يوكل أمره إلى الله. وإن جرت منه إسـاءة ظاهرا، لأن أولياء الله تعالى إن عرضـت لهم أي معصـية لا تكون إلا قهرا عليهم، وليس أسـرع منهم في العودة والرجوع إلى الله، وهم أشـد الناس حياء من الله وخوفا من أن يكونوا من الذين يأمرون بما لا يفعلون. قيل لأبي يزيد البسـطامي رضـي الله عنه: هل يعصي الولي: قال: "**وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا**".

الدرة [180]: تسبق أنوار الحكماء أقوالهم فحيثما صار التنوير وصل التعبير

الشـرح: الحكماء هنا هم العارفون الذين امتلأت قلوبهم خشـية لله تعالى: فصاروا حكماء علماء بالله: كما قال تعالى: "**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**". وقال رسـوله المصـطفى صـلى الله عليه وسـلم (**رأس الحكمة مخافة الله**) حتى كان أعرف الناس بالله أشدهم له خشية وهؤلاء العارفون ما بسطت لهم المعارف والعلوم إلا من

فيض النور الوهبي الذي تدفق على قلوبهم قبل أن ينطلقوا بأي كلمة، ومن العارفين من يشرق النور في سويداء قلبه، ومنهم من يشرق على ظاهره، ومنهم من يشرق على طرفه، قال سيدي أبن عجيبة رضي الله عنه (فمن وصل النور إلى سويداء قلبه نهض من ساعته إلى ربه ومن وصل ظاهر قلبه خشع وتواضع وعزم على البر والتقوى، ومن وصل إلى طرف قلبه عرف الحق وصدق فحيث ما صار التنوير وصل التعبير)، و إنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا، فاللسان هو المعبر عن عقيدة الإنسان وحاله وسريرته، كما قال صلى الله عليه وسلم (من أسر سريرة أظهرها الله عليه) فالكلمة إن خرجت من قلب صادق مخلص خرجت منورة ومؤثرة، خرجت وآثار الصدق والإخلاص عليها، حتى توجهت لها القلوب، وأما إن كانت خارجه من اللسان مجبولة ببرودة الرياء، خرجت بلا عاطفة، وبالتالي لا تؤثر ولا تشحن القلوب، بل تظهر جامدة كجمود صاحبها أو قسوة قلبه.

الدرة [181]: من أذن له في التعبير فهمت في مسامع الخلق عبارته وجليت إليهم إشارته

الشرح: قالوا المأذون مأمون، ومن أذن له بالإذن الخاص في الدعوة إلى الله تعالى، ورأى فيه الشيخ الأهلية للتذكير، أذن له في التعبير، فيصير تعبيره آخذا بمجامع القلوب، ويصير لسانه فائضا بأسرار الغيوب، إذ يجعل الله له سلطانا في الحديث، أي حكمة ونورا وقوة برهان، وفصاحة لسان، فيفهم كلامه جميع الخلق على تعدد أجناسهم وتفاوت مستوياتهم، وحتى إن تحدث عن الأسرار الربانية والإشارات العرفانية كانت لأهلها مفهومة، ودقائقها معلومة، وتصل القلوب باريها، وسبحان الله من أول ما يأخذ المريد البيعة من الشيخ يصبح قادرا على فهم عبارات

القوم من أول وهلة، بعد أن كانت في الســابق أجنبية عنه، ولو من قبل ســاعة، ولله الحمد والمنة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

الدرة [182]: ربما برزت الحقائق مكسوفة الأنوار إذا لم يؤذن لك فيها بالإظهار

الشرح: من علامات التوفيق في نصح الناس وتقريب مداركهم وبيان المسالك لهم، هو الإذن لمن أذن له من شيخه إلى شيخ شيخه وهكذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى، فكان ممن قال عنهم تبارك وتعالى على لسان رسوله صلى الله علية وسلم، بواسطة الوحي جبريل عليه السلام قوله: (إنما أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعن) لأنه فرق بين يتكلم بالموعظة وقد اســتجلى حقائقها وخبر بها وشــاهدها ذوقا وعيانا فظهرت منورة وكأنها من مشــكاة النبوة، وبين من تكلم بها هكذا من مجرد الحفظ والســماع، أو يتكلم بها فصــيحة بليغة ولكنها مكســوفة الأنوار، مطموســة الأســرار، ليس فيها حلاوة، ولا عليها طلاوة، ســبب ذلك عدم الإذن فيها، فالأول متأثر مؤثر، والثاني لا متأثر ولا مؤثر، وإن تأثر فتأثره متأثر بحسب حاله وصدقه ومعرفته بالله تعالى، وهناك داع في مقام الإســلام، وداع في مقام الإحســان، وأهل الله تعالى لا يأذنون بالدعوة إلى مقام الإحســان لكل شــخص، ما لم يكن ظاهرة من باطنه وباطنه من ظاهره في الصدق والإخلاص واليقين والشهود.

الدرة [183]: عباراتهم إما لفيضان وجد أو بقصد هداية مريد، فالأول حال السالكين والثاني حالة أرباب المكنة والتحقيق

الشـــرح: من غلب عليه الوجد عذر في الإشـــارة ودقة العبارة، وإلا فلو كتم لاحترق، وهذا الحال يســـرى على الســـالكين المبتدئين، وأما العارفين الكاملين أهل الرسوخ والتمكين، فهم كالجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب، أي أن قلوبهم تتدفق بفيض المعرفة وتلتهب بالشـــجون وإن لم تظهر بادية عليهم، لأن حالهم حال السكون، أي السيطرة الكاملة على أحوالهم وأنوارهم، ولا يتكلمون بالكلمة أو الإشارة، ولا يكشـــفون ســـتر حالهم إلا على أهلهم، أي إخوانهم في الســـير ومريديهم، من باب التربية أو الاقتداء، ولذلك قالوا:(قلوب الأحرار قبور الأسرار).

الدرة [184]: العبارات قوت لعائلة المستمعين وليس لك إلا ما أنت له آكل

الشـــرح: يشـــبه رضـــي الله عنه كلام القوم بالطعام، كل يأكل على قدر استعداده، فكذا كلام القوم كل يقدم له حسب استعداده وما يليق بحاله، وكما أنه لا يجوز للصغير أن يتناول اللحم حتى يكبر وإلا هلك، فكذا الحال للمبتدئ لا يجوز له الوقوف على أســـرار كبار القوم من غير أن يصـــير له دقة الفهم، وإلا وقع له الإنكار، والإنكار نار، أو يلوكها بلسانه دون ذوق أو تحقق، ثم هنالك القسمة الأزلية في التلقي، فما قســـم لك من حكمة تأخذها، تفهمها وتحفظها، وما لم يقســـم لك لا تأخذ، وإذا ترقى الفهم ودق صار المريد يسمع كل شيء بالله لصفاء روحه، ولكن أيضا بحسب مقامه، وقد ذكر أن رجلا كان يسعى بالصفا فصاح على صاحبه: يا سعترا بري، وكان اسـمه ذلك، فسـمعه ثلاثة من أهل الله، فكل واحد تعلق بذهنه ما يليق بحاله، الأول سمع العبارة: الساعة ترى بري، والثاني سمعها: اسع تر بري، والثالث سمعها: ما أوسع

بري، فالأول كان مستشرفا، والثاني مبتدئا، والثالث كان واصلا، اللهم اجعلنا من أهل الاستعداد لتلقي العلوم والفهوم والمعارف يا رب العالمين.

الدرة [185]: ربما عبر عن المقام من استشرف عليه وربما عبر عنه من وصل إليه وذلك ملتبس إلا على صاحب بصيرة

الشرح: شتان بين من يعبر عن مقام شم رائحته، وبين من يعبر عن مقام تحقق به ووصل إليه، كحال من استجلى طريقا ليراه سالكا أم وعرا، فيحكم عليه من بضعة أقدام يخطوها، لن يكون بخبرة رجل اجتاز الطريق كله بكل ما فيه، فعرف أخطاره وكل ما يتصل به، فالأول مثاله مثال السالك، والثاني مثاله مثال الشيخ الواصل الذي عرف الطريق ثم عاد، ليخبر القوم بما استفاد، وقال بعضهم:(ربما يعرف المستشرف بطول التعبير، والواصل باختصاره، فالمستشرف يطيل العبارة ويكررها، والواصل ليس كلامه مجرد حقائق روحانية، بل أسرار ربانية ومعارف توحيدية) وكل حسبما ارتقى إليه مقامه.

الدرة [186]: لا ينبغي للسالك أن يعبر عن وارداته فإن ذلك يقلل عملها في قلبه ويمنعه من وجود الصدق مع ربه

الشرح: إن الانشغال برؤية الإحسان والعرفان ظاهرا، يحجب العبد أو يقلل من حصول بركتهما باطنا، كأن يملي على القوم كلاما حتى يقال أنه عالم، أو مدرك، أو محقق، لأنه انشغال بالإحسان عن المحسن الحق تبارك وتعالى، من جراء علم بلا تحقق، أي دون أن يشهد الصدق من نفسه، وما يتخلل ذلك من عجب أو رياء، فيقلل من صفاء قلبه لرؤية العرفان وشهوده بالصورة المطلوبة شرعا وحقيقة،

وهذا ما ينعكس سلبا على صدق العبد مع ربه وإخلاصه له بطبيعة الحال، قال سيدي ابن عجيبة رضي الله عنه:(الأحوال تأتي من حضرة قهار فتنزعج القلوب خوفا وتقلقها شـوقا، فإذا أفشـى ذلك كان تبريدا لها وإطفاء لنورها، كمن غلى إناؤه، ثم صـب فيه الماء البارد، يطول غليانه، ولو قلل ناره وحركه لاستفاد من ذلك).

الدرة [187]: ربما استحيا العارف أن يرفع حاجته إلى مولاه لا كتفائه بمشيئة، فكيف لا يستحيي أن يرفعها إلى خليقته

الشرح: العارف ذو الأدب الكامل يجري حسب مشيئة الأقدار، ويدور حيث ما دار التيار الإلهي في المنع والعطاء، في القبض والبسـط، لا يرغب لشـيء لم تهيأ له أسـبابه من الله تعالى، وكذا بالضـرورة اسـتحياؤه من الخالق يمنعه بنفس الوقت أن يطلب من الخلق عطاء، قال التسـتري رحمه الله:(ما من وقت إلا والله تعالى مطلع فيه على قلوب عباده، فأي قلب رأى فيه حاجة إلى سـواه سـلط عليه الشـيطان وحجبه عنه)، وقيل للواسـطي:(لم لا تسـأل الله شيئا فقال: أخشى أن يقال لي إن سـألتنا الذي لك عندنا فقد أتهمتنا، وأن سـألتنا ما ليس لك عندنا فقد أسـأت الأدب معنا، وأن سـلمت الأمر لنا ونظرت بنظرنا، أجرينا لك الأمور على مقتضـى الموافقة) وهذا كان حاله صلى الله عليه وسلم الظاهر من قوله: (علمه بحالي يغني عن سؤالي) ويدخل فيه استحياء العارف من باب أولى أن يسـأل أحدا سـواه متحرزا أن يقع في ظنه إثبات غيره معه يخفض ويرفع ويعز ويذل ويعطي ويمنع وما ثم فاعل بحق إلا الله، ومن حد همه عند رب العالمين، أعطاه أفضل ما يعطي السائلين.

الدرة [188]: لا تمدن يدك إلى الأخذ من الخلائق إلا أن ترى أن المعطي فيهم مولاك، فإن كنت كذلك فخذ ما وافقك العلم

الشـــرح: طلب العطاء من الخلق مذلة وحرمان، والنفس العزيزة لا ترغب بمال الناس، والمؤمن الصادق لا يمد يده لمخلوق عاجز مثله، إلا إن شهد العطية من الله بإلهام يقذفه الحق في قلبه من ربه، أي بإلهام أن هذا رزق مسخر إليك من فلان، فخذه عطية من الله تعالى، لأن العارف بالله ذو البصيرة يشهد في الخلق تجليات الله الكريمة، وهو المعطي بحق تبارك وتعالى، ثم لا يأخذ إلا بما أرشده إليه ذلك إلا لهام، فعند ذلك لا بأس، وعليه أن يعلم أن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن، يقلبها كيف يشاء، فالله تعالى إذا هيأ لك أحدا ليقوم بخدمتك فاعلم أنه ما أعطاك ذلك إلا كرما وتحببا، ومن باب التعاون على البر والتقوى، لأنه رآك متفرغا إلى العلم، أو خدمة الفقراء إلى الله.

الدرة [189]: إذا التبس عليك أمران فانظر أثقلهما على النفس فاتبعه فإنه لا يثقل عليها إلا ما كان حقا

الشـــرح: الله سبحانه وتعالى بني دينه العظيم على العزائم، وما جعل الرخصة إلا لأهل الضرورة مع أنه أخبرهم الأخذ بالعزيمة أولى إن أمكن، كما قال تعالى: "**وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**" ولكن من طبيعة النفس الأمارة بالسوء الميل إلى الراحات، والتشبث بالأمر الأسهل، ولهذا فالسالك الصادق يبحث عن الأمر الأصعب على النفس فيفعله حتى يكون اقرب إلى رجائه رحمة ربه وإحسانه، كما قال تعالى: "**إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ**" أي المجيدين أعمالهم، المتقنين لها، المجلليها بأعلى مراتب الإخلاص والحق اليقين، وقد سئل سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عن سبب وصوله إلى هذه المرتبة العالية، فقال:(ما عرضت علي

نفسي شيئا مالت إليه إلا وخالفتها عليه) والحق أن كل ما يثقل على النفس وتنفر منه فهو حق واجب على المريد اتباعه، وكل ما يخف عليها فهو باطل، وفيه حظها واجب عليه اجتنابه، وهذا أمر لا يستقيم على حال، بحسب تعدد الأحوال، فمن المريدين من يثقل عليهم العزلة، ومنهم العكس، ومن المريدين من يثقل عليهم الصمت ومنهم العكس، فالأولى مخالفة الهوى، وفي هذا قال الإمام البوصيري رحمه الله:

والنفس والشيطان فاعصهما   وإن هما محضاك النصح فاتهم

الدرة [190]: من علامات اتباع الهوى المسارعة إلى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بالواجبات

الشرح: العبد الموفق لا ينشغل بالمهم مع وجود الأهم منه، وأيا هو الأهم النافلة أم الفريضة، السنة أم الواجب ولهذا فتقديم المهم على الأهم هذا من رعونات النفس وتكاسلها وميلها إلى ما تجد فيه السهولة والراحة، إيثارا لهواها ومرادها على مراد الله وفي بعض أخبار سيدنا داود عليه السلام، قال:(يا رب أين أجدك، فقال له: أترك نفسك وتعال) فالأصل هو غياب السالك عن نفسه وجنسه، وبقائه بالله تعالى، هذا هو أصل النوافل كلها ألا تبقى له بقية، أن تعزف نفسه عن الدنيا، فمتى ما تتحقق له ذلك، فقد جمع الفرائض كلها.

الدرة [191]: قيد الطاعات بأعيان الأوقات كي لا يمنعك عنها وجود التسويف ووسع عليك الوقت كي تبقى لك حصة الاختيار

الشرح: الله سبحانه وتعالى جعل لكل وقت شغلا مرتبطا بمناسبة زمنية أو مكانية، كالصلاة في أوقاتها الخمس، وكالصيام في شهر رمضان المبارك وكالحج إلى بيت

الله الحرام في أشـــهر الحج، وهكذا جعل كل عبادة مقترنة بوقت مخصـــوص أو زمن مخصـــوص ليقطع عليه رغبة النفس وجموحها إلى التســـويف، لأن من طبيعة النفس الميل إلى الفتور والانجذاب إلى الهوى والتكاســـل عن الطاعات، فقطع عليها ميولها الســـلبي هذا بما فرض، وأبقى الباب مفتوحا لمن أراد المزيد، فقال تعالى في الحديث القدسي: (ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضه عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن طلبني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه).

الدرة [192]: علم قلة نهوض العباد إلى معاملته فأوجب عليهم وجود طاعته، فساقهم إليه بسلاسل الإيجاب

الشـــرح: اقتضـــت حكمة الله تعالى وســـنته التي أجراها في خلقه أن يشـــكر العباد النعم التي أنعمها عليهم بمزيد الإقبال والطاعة، وهو الذي وسع عليهم أرزاقهم وأمدهم بالإمدادات الحسية والمعنوية، والإكرامات الظاهرة والباطنة، وحذرهم إن لم يتوجهوا إليه شـــاكرين له ســـبحانه وتعالى أن يفتح عليهم البلايا ويقيدهم بســـلاســـل الامتحـان المختلفـة، من الخوف والجوع ونقص في الأموال والأنفس و الثمرات حتى يرجعوا ويحتسـبوا ويتضـرعوا، وإلا انقلبت النعمة عليهم نقمة والعياذ بالله تعالى، لأن أغلب العباد انشـــغلوا بالراحات عن الموافقات، ولم يســـلم من الفتنة إلا القليل من عباد الله، كما قال تعالى: "**وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَالشَّـــكُورُ** "[95]. إذ ندر من يقبل على الله تعالى طواعية من غير ابتلاء، وهم الذين انشـغلوا بربهم فأفناهم عن أنفسـهم بل وعن الوجود بأسـره وأبقاهم به تبارك وتعالى، وإلا فكما قال صـلى الله عليه وسـلم:(عجب ربك من قوم يجرون إلى الجنة بالسلاسل) وهؤلاء ممن كتبت لهم السابقة الأزلية أيضا ولكنه هيأهم لدخول الجنة بما أجراه عليهم من ألوان الابتلاءات والمحن، والتي ما إن

يرجعوا إليه تبارك وتعالى إلا ويتمنوا لو أنهم قرضـــوا في الدنيا بمقاريض، لعظيم ما أعده الله تعالى لأهل الابتلاء من نعم وجزاء في الآخرة، وأعلاها لذة النظر إلى وجهه الكريم في الجنة، اللهم ارزقنا لذة النظر إلى وجهك الكريم يا رب العالمين.

الدرة [193]: أوجب عليك وجود خدمته، وما أوجب عليك إلا دخول جنته

الشـــرح: ما المطلوب مني ومنك يا عبد الله إلا عبادة الله وبره ذكره وحمده، تسبيحه وشكره، غائبين عن الحظوظ والعلات، وهذا هو الفرق بين العباد والعارفين، العباد أطاعوا الله تعالى خوفا من عذابه ورجاء في ثوابه، ولولا ذاك ما عبدوه، وأما العارفين فأطاعوه حبا وشـــكرا، وإظهارا للعبودية وقياما بحقوق الربوبية، وهم الذين استوى عندهم كل شيء لانشـغالهم مع الله تعالى عن كل شيء، فهم يعيشـون مع الله تعالى بالأنفاس، سواء بوجود العبادة أو عدمها، حتى ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:(**نوم العالم عبادة**) وقال أيضـا:(**رجال يدخلون الجنة على الفرش الممهدة، قيل من هم يا رســـول الله، قال الذاكرون الله كثيرا**) صـــدق رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم، اللهم لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

الدرة [194]: من استغرب أن ينقذه الله من شهواته وأن يخرجه من وجود غفلته، فقد استعجز القدرة الإلهية

الشـرح: الله سـبحانه وتعالى لا يعجزه شـيء في الأرض ولا في السـماء، بل هو الذي بيده مقاليد السـموات والأرض، يخفض ويرفع، يعفو ويغفر، يبلي ويعافي، فمن اســـتكبر على الله أن يرفع غفلاته، ويصـــرفه عن شـــهواته، ويلهمه ذكره، ويشـــهده الحضـــور معه، فذلك هو القاصـــر النظر، البعيد عن حقيقة المعرفة بالله تعالى، لأن

الله تعالى قال: "**حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ**"[96]. فمن هو المقتدر على ذلك غير الله تعالى، ولهذا فعلى المريد أن يحسن الظن بربه تبارك وتعالى، وكما في الحديث:(لو أذنبتم حتى تبلغ خطاياكم عنان السماء، ثم تبتم لتاب الله عليكم) وكم من الأولياء كان ظاهره في درك الشقاء ثم من الله تعالى عليه فصار من كبار العارفين، والحمد لله رب العالمين.

الدرة [195]: ربما وردت الظلم عليك ليعرفك قدر ما من به عليك

الشرح: العبد لا يعرف النور حتى يمر على الظلمة، كما لا يعرف النهار حتى يمر على الليل، لا يقدر الأشياء حق قدرها حتى يجرب أضدادها، ولا يذوق حلاوتها حتى يذوق مرارة غيرها، ولذلك قال ابن عجيبة رضي الله عنه: (إن نيل الشيء بعد الطلب ألذ من المشاق بغير تعب، والمحبة بعد القطيعة أحلى من المحبة بلا قطيعة والصفاء بعد الجفاء أصفى من الصفاء بلا جفاء) وعلى سبيل المثال إذا ضيع السالك صلاة التهجد في يوم من الأيام أو تأخر عن صلاة الفجر مثلا فإنه يشعر أن يومه ذلك كله ظلام، لأن المباحات أو التقصير في العبادة يولد الحجاب، ويحرم من الشهود بقدر ذلك وعندها يشعر السالك بألم الحجاب، يقول كما قال أحدهم:

وما عذابي إلا حجابي   وما نعيمي إلا وصالي

حقيقة السالك يحصل معه شيء من الغفلة عن الشهود كما قال صلى الله عليه وسلم: (وإني ليغان على قلبي حتى أني استغفر الله في اليوم سبعين مرة) ولكن عليه الصلاة والسلام كانت غينه غين أنوار، واستغفاره استغفار ترقي في مراتب المحبة.

الدرة [196]: من لم يعرف قدر النعم بوجدانها عرفها بوجود فقدانها

الشــرح: من عرف قدر النعم عرف قدر المنعم بحق وهو الله تبارك وتعالى، وقد يقصــر العبد بحق هذه المعرفة وقدر هذا الشــهود فيبتلى، وقيل: إن الله تعالى يقول لجبريل عليه الســلام: (يا جبريل انســخ حلاوة محبتي من قلب عبدي اختبره، فينسخ جبريل عليه السلام حلاوة المحبة من قلب ذلك العبد فإذا هو اضطرب وتضرع والتجأ وبكى يقول الله تعالى لجبريل عليه الســلام رد عليه حلاوة محبتي فقد وجدته صادقا، وإذا نسخ حلاوة المحبة من قلب العبد فلم يبتهل ولم يتضرع لم يرد إليه شيئا، وسلبه تلك الحلاوة والعياذ بالله من السلب بعد العطاء ومن الحور بعد الكور.

الدرة [197]: لا تدهشك واردات النعم عن القيام بحقوق شكرك فإن ذلك مما يحط من وجود قدرك

الشــرح: قد ينعم الله تعالى على العبد من النعم الحســية والمعنوية ما لا يحصــيها بصــره فيدهش بها، فينســيه الاندهاش شــكر الذي أنعم عليه بهذا الاختصاص، وذلك مما يقلل قدره عند الله، إذ أن العبد الموفق كلما زادت عليه نوافل الواردات والكرامات، كلما ازدادت عنده نوافل الذكر من التســبيح والشــكر، ونوافل الموافقات من الطاعات والعبادات (وهل جزاء الإحســان إلا الإحســان) ولم يكلفنا ربنا من أمرنا الكثير، فأقل ما هنالك شكر اللسان أن يقول العبد الحمد الله رب العالمين، وإذا كان أهل الجنة دعواهم فيها ســبحانك الله وتحيتهم فيها ســلام وآخر دعواهم أن الحمد الله رب العالمين، فيكفي ذلك من العبد حتى لا يكون من الجاحدين، وأكثر ما يساعد العبد على الشكر هو التفكر، فمن رزق الهداية يفكر بحاله قبلها فيشكر الله تعالى على الهدى من بعد الضــلال، ومن رزق الغنى من بعد الفقر تفكر بحاله قبله فشــكر الله على الغنى من بعد الفقر، ومن رزق الشــهود من بعد الحجاب تفكر بحاله

قبله فيشــكر الله تعالى على البصــيرة من بعد الحجاب، وهكذا، والشــكر ثلاثة أنواع شــكر باللســان بتســبيح المولى وحمده، وشــكر بالجوارح أو الأركان بالقيام بوظائف عبادته، وشكر بالقلب بوجود الشهود والعيان، نسأل الله تعالى أن نكون من أهله.

الدرة [198]: تمكن حلاوة الهوى من القلب هو الداء العضال

الشــرح: قال صــلى اله عليه وســلم: (**أعظم إله عبد من دون الهوى**) وقد يتوب العبد ولا تزال آثار الهوى في قلبه فترده عن السعي إلى الله تعالى كلما أراد الإقبال عليه، فكثير من عيوب النفس وأمراضــها كان من أســباب بقائها هو تشــبت النفس بالدواعي إليها، كما في الحسد إذا لم يزل داعي الطمع من قلب العبد، والذي هو الداعي إلى الحسـد، فعسـير زوال السـبب مع بقاء المسـبب، وخاصـة للشـهوات القلبية، إذ أن الشـهوات الحسـية أو الجسـمانية، كحلاوة المأكل والمشـرب والملابس والمركب والمنافع والمســاكن يمكن علاجها بالفرار من محال تواجدها أو أوطانها، وأما الشــهوات القلبية أو المعنوية كحب الجاه والرياسة والعزو المدح والكرامات والخصوصية، فداء يصعب علاجه حتى تنقطع جذورها من القلب وذلك في أغلب الأوقات لا يكون إلا بوارد إلهي يقذفه الحق تعالى في قلب عبده، يبصــره بحقيقة الدنيا ويهيؤه للرجوع إلى الله، وهذا هو وارد المشــاهدة والذي يتوارد على قلب العبد حتى لا تبقى له بقية من أدران نفســه وعيوب قلبه، فيتجلى الله تعالى عليه بالخصــوصــية، ويتجلى عليه بتجليات أســمائه الحسنى.

الدرة [199]: لا يخرج الشهوة من القلب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق

الشــرح: الشــهوة غريزة ولا يقطعها إلا العقل المتجرد أي المنزه عن الحظوظ والآفات، وذلك صــعب أو مســتحيل في أغلب الحالات لوجود العبد في الدنيا التي اختلطت فيها الشــهوات بالعادات، إلا بوجود ســر الإخلاص في القلب، وذلك من خصـوصـية العناية الإلهية الأزلية، كما قال تعالى في الحديث القدسـي:(الإخلاص سـر من أســراري اســتودعته قلب من أحب من عبادي) وأعظم ســبيل إلى ذلك هو تذكر هادم اللذات وهو الموت، أو أهوال البعث أو القيامة، أو تذكر الله تعالى بصــفات جلاله، كما تذكره بأفعاله السـابقة، فيتذكر الجبار المنتقم الحسـيب الرقيب على كل حركة وسكنه، أو يفر من خلقه إليه فرارا من ضيق المحسوسات إلى سعة المشاهدات وعشــق المتجلي فيها وهو الله تبارك وتعالى، عشــقا يكابده بالليل والنهار، يشــغله عن الأغيار، ويملأ قلبه بالأنوار، فإذا امتلأ القلب بالنور زالت الظلمة، وأشــرقت شــمس الحقيقة على قلب العبد بالتداني.

الدرة [200]: كما لا يحب العمل المشترك كذلك لا يحب القلب المشترك، القلب المشترك لا يقبله، والقلب المشترك لا يقبل عليه

الشــرح: قلب واحد يســع إلا واحد، إما حق وإما خلق، ولذلك لا ينبغي للســالك أن يتعلق قلبه بغير الله تعالى، لأن الله لا يقبل إلا القلب السـليم الخالص من شـوائب الأغيار، وخاصة من العجب ومحبة رؤية الثناء عليه، قال بعض السلف:(لإن أبيت نائما أحب إلي من أن أبيت قائما وأصبح معجبا)، ومثل ذلك الحظوظ النفسانية دنيوية كانت أو أخروية، وكذا من الميل إلى الدنيا وتعلقاتها، من مال وبنين ونحوه،

فيفرغ قلبه من ذلك، ويتوجه صــادقا إلى الله تعالى وحده، وبقدر هذا التوجه يكون إقبال الله عليه، اللهم زدنا إقبالا وتوجها إليك يا أرحم الراحمين.

الدرة [201]: أنوار أذن لها في الوصول وأنوار أذن لها في الدخول

الشــرح: أتســاع أنوار الحق تعالى في قلب العبد وإشــراقها حســب الصــفاء والنقاء، فهي ليست بمنزلة واحدة، بل تتفاوت تجلياتها بين السالكين حسب استعداد الواحد منهم وتهيئتهم لها فمنهم من يســتقبلها كاملة ويتشــرب أذواقها بصــورة تامة بسبب نقاء قلبه وصفائه وصقالة مرآته،، وهذا صاحب النور التام الذي دخل النور إلى ســويداء قلبه، فلم يبق له بقية من حظ نفســه، كما قال صــلى الله عليه وسلم:(النور إذا دخل القلب انفسح وانشرح، قيل فهل له من علامة يا رسول الله، قال نعم، التجافي عن دار الغرور، والتزود لســكنى القبور، والتأهب ليوم النشــور، ومن السالكين من لم يكتمل نوره، أو أن نوره لم يصل إلى ظاهر قلبه، وفي هذا قال بعض الحكماء: إن الإيمان إذا كان في ظاهر العبد، كان العبد محبا لآخرته ودنياه، فيكون صــاحبه تارة مع ربه، وتارة مع نفســه، وبقدر تمكن النور في القلب ودخوله إليه يكون بغض العبد للدنيا وتركه لهواه، وهذا حاله كحال الواقف على باب الحضــرة الإلهية، ينتظر الإذن بالدخول، والأول داخل إليها يرتع في مراتعها، وتؤنســه تجلياتها، تجليات القرب والمحبة، تجليات الأنس والهيبة، تجليات الجمال والجلال، تجليات الشــرب والوصال. اللهم أكرمنا بذلك يا رب العالمين.

الدرة [202]: ربما وردت عليك الأنوار فوجدت القلب محشوا بصور الآثار فارتحلت من حيث أتت

الشرح: يفسر رضي الله عنه سبب عدم استفادة بعض السالكين من الأنوار التي تعرض عليهم، وأن ذلك نتيجة انطباع صــور آثار المكونات على مرآة القلب، مما يؤدي إلى تشويشه أو تكدير صفوة وتقليل صقالته، فلا ينتفع السالك في هذه الحالة من الأنوار لارتحالها من حيث أتت، وهذه هي أنوار المعاني التي أرادت إخراج القلب من سـجن الأواني، ولكن وجدت القلب مملوء بغيرها فارتحلت، لأن ظلمة الملك ونور الملكوت لا يجتمعان، وكذا إذا كان العبد واقفا مع أنوار الملكوت مكتفيا بها واقفا معها غير قاصد الرقي من حيث لا يستحضر عالم الجبروت،، وقال سيدي ابن عجيبة رضـي الله عنه:(القناعة من الله حرمان، الذي تطلب أمامك، ولو كان العلم ينتهي إلى حد محدود لم يقل الله تعالى لسـيد العارفين عليه الصلاة والسلام:(وقل رب زدني علما)فعلى السالك أن يعلي همته، ويأتي بصدق السير والسلوك وصدق الرابطة مع الشـيخ، وحضـور القلب، فعندئذ يأتي الوارد الذي سـيرقي حالة ويهيأه للدخول على الحضرات، اللهم اجعلنا من أهل الاستعداد، لذلك يا رب العالمين.

الدرة [203]: فرغ قلبك من الأغيار تملأه بالمعارف والأسرار

الشـرح: عندما يخرج السالك ظلمة الغفلة من قلبه، ويجلي مرآته ويصفيها مما علق بها من صور الآثار، ويقطع ميله عن ذوات الآثار، أي الأغيار ويصرفه إلى الإله الواحد القهار، عندئذ يحيى قلبه، ويحظى بمشـاهدة ربه تبارك وتعالى، وهكذا يصـبح القلب محلا لتجلي الواردات الإلهية عليه، والتي هي عبارة عن نور إلهي يقذفه الله في قلب من أحب من عباده، وإلا فحق وخلق لا يجتمعان في قلب العبد إما حق، وأما خلق، والله تعالى يغار أن يرى في قلب عبده سواه، وقيل:(إن الأغيار التي تحجب القلب

عن شـهود القهار، هي ناشـئة بحكمة الله تعالى من الدنيا والنفس والشـيطان والهوى، فمن زهـد في الـدنيـا وغـاب عن نفســـه وأطلق يـده منهـا، وذكر الله تعـالى حتى أحرق الشـيطان وذاب، دخل مع الأحباب، وفتح له من علم الغيوب الباب)اللهم هيأنا لذلك يا رب العالمين..

الدرة [204]: لا تستبطئ منه النوال، ولكن استبطئ من نفسك وجود الإقبال

الشـــرح: إن الله قـــريـــب، كـــيـــف لا وهـــو الـــقـــائـــل: "**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**"[97]. ولكن العبد هو البعيد عنه، ولهذا فمن لم يجد مشاهدة ولا يقينا، فليستبطئ من نفسه ضعف الإقبال على الله، لأن الله تعالى وعد المتقرب إليه بمزيد القرب، كما في قوله تعالى في الحديث القدسـي (من تقرب إلي شـبرا تقربت إليه ذراعا، ومن تقرب إلى ذراعا تقربت منه باعا، ومن أتاني يمشـي أتيته هرولة) إذن فكلما أقبل العبد إلى الله أقبل الله عليه، والتقصير منك أيها المريد، فلتكن ذو همة عالية، ومعلوم أن من أراد أن يفتح محطة للمشـاهدة أحسـن التوجيه مع بعض المجاهدة، فإذا أردت يا عبد الله أن ينكشـف الحجاب عن قلبك، فكن ذو عزم وحزم، ولا تتردد، ولا يكن عندك شـك في رفع الحجاب عن قلبك، إن صـدقت في الآداب، فمن أدام قرع الباب يوشك أن يفتح له.

الدرة [205]: حقوق في الأوقات يمكن قضاؤها وحقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها، إذ ما من وقت يرد إلا ولله عليك فيه حق جديد وأمر أكيد، فكيف تقضي فيه حق غيره، وأنت لم تقض حق الله فيه

الشـــرح: يشـــير رضـــي الله عنه، إلى الانتباه إلى حقوق الأوقات ما بين أداء طاعة، وما بين وجود محاســبة لإصــلاح الخلل والزلل، وما بين وجود مراقبة حتى لا يتجرأ في الوقوع في مخالفة، وباقي الوقت تفرغ في مشـــاهدة، إما في مشـــاهدة أفعال القدرة فيما يجري فيه التدبير، وكيف تقلب الأحكام آ ناء الليل وأطراف النهار، وإما مشــاهدة الأســماء والصــفات بشــهود الفاعل في الفعل والصــانع في الصــنعة، والمؤثر بالأثر، وإما مشـــاهدة الذات بأن لا ينشـــغل بالصـــفة عن الموصـــوف بل ينظر على الصــفات بأنها مجموعة متعلقة بذات واحدة، وهي حضــرة الحق تبارك وتعالى، ولهذا فليحذر العبد من تفريغ الوقت كله في حقوق العباد وواجباتهم ونســيان حقوق الله تعالى وما أوجب عليه في هذه الأوقات، فإنها أنفاس معدودة في أوقات محدودة، والصـــوفي ابن وقته ليس له إلا اللحظة التي يعيش فيها. .وقال الشـــيخ أبو العباس المرســي رضــي الله عنه:(أوقات العبد أربعة لا خامس لها: نعمة أو بلية، طاعة أو معصــية، وله على عبده في كل وقت منها حق: ففي النعمة الشــكر، وفي البلية الصــبر، وفي الطاعة شــهود المنة، وفي المعصــية الرجاء والإنابة وطلب الإقالة)، وفي هذا المعنى قال عليه الصــلاة والســلام:**(من أعطى فشــكر، و ابتلي فصــبر، وظلم فغفر، وأذنب فاستغفر، وسكت عليه السلام، فقالوا: ما له يا رسول الله، قال:(أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)**.اللهم اجعلنا منهم يا رب العالمين.

الدرة [206]: ما فات من عمرك لا عوض له وما حصل لك منه لا قيمة له

الشرح: كل نفس من أنفاسنا محسوب علينا وكما قال صلى الله عليه وسلم: (**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع، وذكر منها: وعن عمره فيما أمضاه**) هل كان في مرضاة الله أم في معصيته، هل كان في ذكر وشهود، أم في غفلة وتعلق بسوى المعبود، وحقيقة لا يستطيع أحد أن يقضي وقت الله، لأن كل نفس فيه حق لله، فكيف تعوض الأنفاس، أم كيف تسترجع الأوقات، وما نسبة ما قدم المرء بالنسبة لما فقد من بركات الأوقات من أجر ونور ومدد، ولهذا فالسالك إلى الله أغلى ما عنده هي هذه الأنفاس التي يتنفسها لأن كل نفس يتنفسه محسوب عليه، فإذا كان في طاعة الله فهو من السعداء، وان كان في معصيته فهو من الأشقياء، وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم:(لا تأتي على العبد ساعة لا يذكر الله فيها، إلا كانت عليه حسرة يوم القيامة)، وقال الإمام الجنيد رضي الله عنه:(الوقت إذا فات لا يستدرك، وليس أعز من الوقت)، اللهم أجعل كل نفس من أنفاسنا في طاعتك يا رب العالمين،

الدرة [207]: ما أحببت شيئا إلا كنت له عبدا، وهو لا يحب أن تكون لغيره عبدا

الشرح: يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (أعظم إله عبد من دون الله الهوى) وما هو مفهوم الهوى هو الميل القلبي إلى الشيء ثم التعلق به ومحبته، ومن هوى شيئا توله به، ومن توله بشيء انقاد له وخضع، وكان له عبدا على طمع أو غير طمع، وحقيقة العبودية الخضوع والطاعة، وليس للإنسان إلا قلب واحد، قال تعالى:(ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) وقال سيدي ابن عجيبة رضي الله عنه:(وإذا كان للقلب وجهة واحدة، فهما أقبل بها على مولاه أعرض عما سواه، وكان عبدا له حقيقة، وإذا أقبل على هواه أعرض قطعا عن مولاه وكان عبدا لسواه، والحق لا يرضى عبدا

لغيره، قال تعالى "**أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا** "[98]. لهذا فالسالك بالله لا علاقة له بغير الله تعالى، إلا أن يحب المخلوق لا لذاته، وإنما حبا في الخالق وشهودا له ومن أجله، وهناك يكون هذا الحب جزءا من حب الله وتبعا له، وإن اضطر إلى حب شيء فليحذر أن يغلب حبه على حب الله تعالى أو هوى نفسه على مراد الله تعالى، قال تعالى في وصف الذين آمنوا: "**وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ** ". وما قال: والذين آمنوا لا يحبون إلا الله، رحمة بنا وإنما لا يطغى حب شيء على حب الله، فحب الله عندهم في المقام الأول، وهنا يتفاوت أهل الله في هذا الحب كل على حسب درجته وشهوده، وأعلاهم درجة هم الذين لا يشهدون إلا الله في تجلياته وأفعاله وأسمائه وكمالات ذاته تبارك وتعالى، وهم الذين قال الله تبارك و تعالى عنهم: (يحبهم ويحبونه).اللهم اجعلنا منهم يا رب العالمين.

الدرة [208]: لا تنفعه طاعتك ولا تضره معصيتك إنما أمرك بهذه ونهاك عن هذه لما يعود عليك، ولا يزيد من عزه إقبال من أقبل عليه، ولا ينقص من عزه إدبار من أدبر عنه

الشرح: الله سبحانه وتعالى هو الغني عن كل شيء، وكل شيء مفتقر إليه، وهو الصمد الذي لا يحتاج إلى شيء، وكل الخلق محتاجون إليه تبارك وتعالى، وكما في الحديث القدسي قول الحق تبارك وتعالى مخاطبا عباده (يا عبادي إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني، ولن تبلغوا ضري فتضروني) في إشارة إلى أنه تبارك لا يحتاج إعزاز من الخلق، ولا يزيد في عزه كثرة الإقبال عليه من خلقه بالطاعات والقربات، كما لا ينقص من عزه إدبارهم عنه واجتراؤهم عليه، فإنما طاعتهم لأنفسهم، ومعصيتهم على أنفسهم كما قال تعالى: "**مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا**". اللهم اجعلنا هداة مهديين، غير ضالين ولا مضلين يا رب العالمين.

الدرة [209]: وصولك إلى الله وصولك إلى العلم به، وإلا جل ربنا أن يتصل به شيء، أو أن يتصل هو بشيء

الشرح: الوصول إلى الله وصول معنوي لا حسي وإلا فجل ربنا تبارك وتعالى أن تشبه ذاته ذوات المخلوقين، فالوصول إلى الله حاله كحال القرب منه كما قال صلى ا لله عليه وسلم: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد) وقال تعالى: "**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ** "[99]. فسبحان الله العظيم الذي تنزه عن صفات المخلوقين، وهو القائل (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ولهذا فالوصول: تحقيق العلم بأن الله تعالى موجود وسواه مفقود، بمعنى أن وصول العبد إليه هو تحققه بمعرفته، ومعرفة الله هي الفناء بأفعاله و أسمائه وصفاته، وهذا لعامة السالكين ثم معرفة الذات والفناء بالذات وهذا لم يصل إليه إلا النوادر كالأنبياء وخواص الأولياء الصالحين وحقيقة مهما عرف العبد ربه لم يعرفه، لم يعرف الله بحق إلا الله وسبحان الله العظيم.

الدرة [210]: قربك منه أن تكون مشاهدا لقربه، وإلا فمن أين أنت ووجود قربه

الشرح: الله سبحانه وتعالى عندما يشير إلى صفة قربه من المخلوقات، فهو يشير إلى وجود تجلياته فيها، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: (إن لله تجليات في الأزمنة والأمكنة والأشخاص) تجليات تختلف بحسب قداسة المكان والزمان وحسب قداسة القلب وهو محل تجلي الرب تبارك وتعالى، فكلما كان طاهرا من الأغيار كلما كان أقرب للتجلي وأقرب الشهود والعيان، وإلا فتنزه الله تعالى عن النسبة، أي أن تنسب له جهة، من محل أو مكان، وإنما القرب بالأرواح والقلوب، قرب بالإحاطة، أي بإحاطة علم الله تعالى بنا، وإحاطة قدرته وإرادته وعموم تصرفاته، كما في قوله تعالى:

"**وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ**"[100]. وقوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا**"[101]. فمن اعتقد هذا وتحقق به فهو مشاهد بعين البصيرة، لفناء حسه وتحققه بوجود ربه، ومن أنكر هذا فهو بعيد من حيث يظن القرب، اللهم اجعلنا من أهل الاستعداد لقربك وشهودك يا رب العالمين.

الدرة [211]: الحقائق ترد في حال التجلي مجملة وبعد الوعي يكون البيان

الشرح: العارف بالله تعالى في كل لحظة يرى لأنوار الحق تعالى وتجلياته من معارف وعلوم أذواقا جديدة، فهي فيض تجلي، والتجليات لا تعرف بلون واحد، وإنما كل يوم هو في شأن، أي في سبعين ألف تجلي، وأول ما ترد الحقائق على قلب العارف بالله تعالى ترد مجملة، يحفظها ثم يتفكر بها ويتدبرها فيجليها بوعيه، متدبرا إياها مكتشفا دقائقها وخفاياها، ولا بد في هذا الأمر من الكتابة، لأن الحكمة نور، فإذا لم تقيد يختفي شعاعها، وأول ما تنزل على قلب العبد تكون جليلة، ثم تضمر شيئا فشيئا حتى وكأنها لم تخطر على قلبه أبدا، ولذلك قالوا:(العلم صيد والكتابة قيد، قيد علومك بالحبال الواثقة) واعلم أن تجليات الحق تعالى لا تقبل التكرار، وكلما أقبل الذاكر بوعي وتدبر لفهم كلام الله تعالى وكلام أهل الله تعالى، كلما وقف بتذوقه وشربه على مناهل عذبه لا تنضب، وأسرار عميقة لا تزول وإنما تتجدد، وقد يقف المريد على حقيقة من وحي الإلهام لا يفهمها ابتداء، ويزول اللبس عنها عند انكشاف أنوارها له بعد حين.

الدرة [212]: متى وردت الواردات الإلهية عليك هدمت العوائد عليك

الشـــرح: الواردات الإلهية قاهرة الحس لأنها اشـــتملت على حكم ومواعظ للعقول والقلوب، وهي تعطي لكل شيء قدرا، فيتطلع السـالك مثلا على حقيقة الدنيا بمتاعها القليل وظلها الزائل فينهدم بنيانها من قلبه، والنبي صلى الله عليه وسلم وورائه الكرام عليهم الرضوان – أي العلماء العاملين – جاؤوا لخراب الدنيا وعمار الآخرة، أي خرابها من القلوب والتوجه للحياة الآخرة، والســـالك الحقيقي لا تبقى عنده بقية من مظاهر التعلق بالحياة الدنيا، كالعادات السيئة التي كانت تعودت عليها النفس الأمارة بالســـوء من العجز والكســـل والاهتمام، إلا ما جاء عرضـــا دون تكلف، كما كان حال النبي عليه الصلاة والسلام يأكل ويشرب ويلبس ما تيسر.

الدرة [213]: الوارد يأتي من حضرة قهار، لأجل ذلك لا يصادفه شيء إلا دمغه

الشـرح: علامة الوارد الصحيح انه يأتي كضوء الشمس، يزيل الظلمة تماما ولا يمنعه حجاب ولا يعترضـــه ســحاب، بل يســـتغرق في قلب الذاكر ويجذبه إلى الله بكليته، فلا يبقى فيه حظ لنفس ويطهره من كل عيب، حتى يطرد عنه دواعي الغفلات والزلات، ثم يجذبه للملأ الأعلى عندما تزول منه محبة الأغيار، فيتعلق بمحبة الله الواحد القهار، ليس له مراد من غيره ولا يميل عنه، بل ولا يطمع إلا في رضـــاه تبارك وتعالى.

الدرة [214]: كيف يحتجب الحق بشيء والذي يحتجب به هو فيه ظاهر وموجود حاضر

الشرح: ذات الحق تعالى جمعت أسماء وصفات وأفعال الحق تبارك وتعالى، وقامت بقدرته وإرادته كل الأعيان من المظاهر والموجودات التي في الكون، ولهذا فتش لا ترى إلا تجليات الله، وهو الواحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، كما قال القائل: ليس للغير إن ظهرت وجود، ولهذا فالله موجود وسواه مفقود، والعارف بالله يشهد الحق في كل شيء، في الطعام والشراب، في الجبال والهضاب، في الرجال والنساء، بل والمظاهر كلها، وآية في القرآن الكريم تعد ألف أية وهي قوله تعالى: "**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** "[102].

الدرة [215]: لا تيأس من قبول عمل لم تجد فيه وجود الحضور فربما قبل من العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلا

الشرح: على السالك إلى الله تعالى ألا يدقق في ثمرات الإعمال، فليس وجود الثمرة دائما علامة القبول، فقد يكون أصل العمل مقبولا وثمرة العمل لم تظهر بعد، والأصل إذا كان صحيحا أنتج فرعا صحيحا ولو بعد حين، ولهذا فما علينا إلا نعبده والثمرة تأتي من تجليات كرمه تبارك وتعالى، المهم الصدق، ولذلك قال سيدي ابن عجيبة رضي الله عنه:(المراد من العمل القيام برسم العبودية، وتعظيم جناب الربوبية، وليس المراد منها طلب الأحوال والمقامات، فإن ذلك قدح في الإخلاص عند أهل التوحيد الخاص، وقد يكون الحال سببا في الحجاب لمن وقف معه واستحلاه)، ولذلك قال بعضهم: اتقوا حلاوة الطاعة فإنها سموم قاتلة، أي لمن وقف معها ولم

ينفذ إلى شـــهود المعبود بها، فعليك أيها المريد ألا تلتفت إلى شــيء، وتوجه إلى الله تعالى وحده.

الدرة [216]: لا تزكين وارد لا تعلم ثمرته، فليس المراد من السحابة الإمطار، وإنما المراد منها وجود الأثمار

الشــرح: ليس العبرة لدى الســالك بحفظ العلم أو تجميع الحقائق عن أهل الله تعالى، وإنما العمل بها وتذوقها وكذلك الواردات التي تأتيه من حضـــرة الحق تعالى فهي في البداية تنوير وتبصير، ومن ثم سلوك وعمل، ولا ينكر أحد أن الواردات تشحن العلم، ولكن العلم يحتاج إلى تصــديق، وتصــديق العلم بالتطبيق، حال العلم في هذا كحال الإيمان في قوله عليه الصــلاة والســلام: (الإيمان ما وقر في القلب وصــدقه العمل)، ولذلك لا تشتغل أيها السـالك إلى الله تعالى بالوارد وإنما اشـتغل بثمرة الوارد، وهو التخلية من الرذائل والتحلية بالفضـائل، حتى يتسـنى لك مجالسـة الحق والأنس به تبارك وتعالى، ولذلك قيل: (من عرف الله فلم تغنه معرفة الله، فذلك الشـــقي،. .ما يصنع العبد بعد الغنى؛ أي الغنى بالله تعالى، وكل العز للمتقي. اللهم لا تحجبنا بالوارد عنك يا أكرم الأكرمين.

الدرة [217]: لا تطلبن بقاء الواردات بعد أن بسطت أنوارها وأودعت أسرارها، فلك في ا لله غنية عن كل شيء وليس يغني عنه شيء

الشرح: العارف بالله ليس في حياته إلا الله، وليس له هم إلا رضاه، فلا يتطلع إلى بقاء حال أو وارد أو مقام، لأنه كما قال سـيدي ابن عجيبة رضـي الله عنه:(تطلعك إلى بقاء حال أو وارد دليل على عدم غناك به، إذ لو وجدته ما طلبت شـيئا ولا افتقرت

إلى شيء أصلا) ولكل وارد سر، وسر الوارد في تثبيت المريد وترقيته وتعميق شهوده بالله عز وجل، فإذا غاب عن السالك شيء مما عرض عليه في الماضي فلا يحزن، فربما يأتيه ما هو أرقى منه وأعلى، كما كان حاله صلى الله عليه وسلم في قوله: (**إني ليغان على قلبي و إني لاستغفر الله تعالى في اليوم سبعين مرة**) إشارة إلى ارتقاء الشهود وارتفاع المقام.

الدرة [218]: تطلعك إلى بقاء غيره دليل على عدم وجدانك له واستيحاشك لفقدان ما سواه دليل على عدم وصلتك به

الشرح: من علامة تعلق العبد بالدنيا تمني دوامها، وتمني نماء ما عنده، فهذا من حظوظ النفس وشهود الأغيار، ولو تعلق قلبه بالقهار لأدرك أن الأغيار نار، فبدلا من أن يشهد الصنعة ويتعلق بها يشهد الصانع ويتعلق به، حتى لا يحجبه شيء عن الله تعالى، ولهذا قيل:

إياك تشهد غيره ودع العنا   لا أنت في هذا الوجود ولا أنا

ولهذا فالعارف بالله تعالى ليس في حياته إلا الله، وليس له هم إلا رضاه، ومن وحد همه كفاه الله كل ما أهمه وأغمه.

الدرة [219]: النعيم وان تنوعت مظاهره فإنما هو بشهوده واقترابه والعذاب وإن تنوعت مظاهره فإنما هو بوجود حجابه فسبب العذاب وجود الحجاب وإتمام النعيم بالنظر لوجه الله الكريم

الشرح: ليس بعد حجاب القلب عذاب، كما قال العارف بالله تعالى:

وما عذابي إلا حجابي   ومـا نعيمي إلا وصالي

وليس فوق نار الأغيار نار، تورث الهم والغم، وتشتت الفكرة عن شهود وتجليات الحضرة الإلهية، وأما النعيم فليس بعد النظر إلى وجه الله الكريم من نعيم، وقال سيدي ابن عجيبة رضي الله عنه:(ولو أن الحق تعالى انحجب عن أهل الجنة لانقلب نعيمهم نقمة وعذابا، ولو أن الحق تعالى تجلى لأهل النار بصفة جماله لأنساهم ذلك اليوم عذابه) ولا ننسى تجلي الله تعالى على الذين يظلهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله، ينسيهم الحق تعالى ما يمر بغيرهم من أهوال يوم القيامة من الحفى والعرى والعطش والعرق،، لأنهم في ظل أرحم الراحمين، ويمر عليهم الموقف من أوله إلى آخره وكأنه صلاة ركعتين، اللهم أجرنا من عذابك يوم تبعث عبادك يا رب العالمين.

الدرة [220]: ما تجده القلوب من الهموم والأحزان فالأصل ما منعت من وجود العيان

الشرح: يفسر رضي الله عنه سبب الهم الذي يصيب العبد، وأنه لأجل الحرمان من الشهود فلا طمأنينة للقلب، ولا سعادة إلا بشهود المحبوب قال تعالى: "**أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**"[103]. أي بشهود الله لأن ثمرة الذكر الشهود، وسعادة الإنسان ألا يغيب الحق عن ناظريه ثانية، بل يعيش معه بالأنفاس، فالسعادة الكبرى بالمشاهدة والقرب، والعذاب الأكبر عذاب البعد والحجاب، ومما أوحى الله تعالى به إلى

سـيدنا داود عليـه السـلام: (يا داود لا تمزج هم غيري بقلبـك فتنقص منـه حلاوة الروحانيين، ومن كنت مصـباح قلبه لم يغتم أبدا. . يا داود إنما مرادي من خلقي أن يكونوا روحانيين).

الدرة [221]: من تمام النعمة أن يرزقك ما يكفيك ويمنعك ما يطغيك

الشـرح: أفضـل ما يحظى به السـالك إلى الله تعالى مع السـعادة الأخروية هو الكفاف، كما ورد في دعاء النبي صـلى الله عليه وسـلم: (**اللهم ارزق آل محمد كفافا**) فقليل يسـتر خير من كثير يطغي ويحجب عن الحق تعالى، ولهذا تفرغ يا عبد الله لما خلقت له يكفيك ما أهمك وأغمك من أمر الدنيا والآخرة، وكان من دعاء النبي صـلى الله عليه وسلم قوله (**اللهم أفردنا لما خلقتنا – أي من الشهود والعيان – ولا تشغلنا بما تكفلت لنا به أي من القوت والرزق**) لأن الدنيا مضـمونه، والله سـبحانه وتعالى خاطب الدنيا في الحديث القدسـي بقوله: (يا دنيا اخدمي من خدمني، واسـتخدمي من خدمك) ولهذا قيل: (غنى النفس ما يكفيك عن سـد خلة، فإن زدت شـيئا عاد ذاك الغنى فقرا) اللهم وجهنا إليك توجيها خالصـا لنكون من القائمين بحقوق العبودية الكاملة بين يديك يا رب العالمين. ولا تشـغلنا بالأغيار عن ذكرك وشـهودك يا حي يا قيوم.

الدرة [222]: ليقل ما تفرح به يقل ما تخزن عليه

الشـرح: إن الله سـبحانه وتعالى لا يحب الفرحين، لأن الفرح حال أهل الدنيا بإقبال الدنيا عليهم، وأما أهل الله تعالى ففرحهم بالله والأنس به وشـهود جماله وجلاله، قال تعالى: "**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**

"[104]. ففضل الله هو أمداده الحسية والمعنوية وعلى رأسها القرآن الكريم، ورحمته أي رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي لولاه لم يخلق الله تعالى سماء ولا أرضا ولا عرشا ولا فرشا، فهو الرحمة المهداة للخلق أجمعين، و من ذلك أن يرزق السالك بالرابطة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع الشيخ الوارث له صلى الله عليه وسلم، فهذا هو الفرح الحقيقي الذي لا يزول، ولهذا فعلى السالك إلى الله تعالى أن يخفف من الدنيا، لأنها دائما مؤهلة للفقدان، فكلما خفف منها كلما قل حزنه على المفقود وزاد تعلقه بالمقصود، اللهم أنت مقصودي ورضاك مطلوبي يا رب العالمين.

الدرة [223]: إن أردت ألا تعزل فلا تتول ولاية لا تدوم لك

الشرح: ليس للسالك إلى الله أن يتعلق بمنزلة ظاهرة أو وصف لا يدوم له، لأنه ليس أصعب من الخفض بعد الرفع، وولاية الدنيا على العموم لا بد فيها من العزل، أما ولاية الآخرة فهي ولاية مستمرة كولاية الأنبياء والأولياء، لذلك يسمى النبي نبي الله، والولي ولي الله، فهذه هي الرتب والأوصاف الحقيقية، التي هي أوسمه من الحق لا تنقطع ففيها العز بالله، والغنى به، والمعرفة به، والغيبة عما سواه، فلا شك أن هذه الولاية المقترنة بالعلم والتقوى والمصحوبة بالعمل هي التي تدوم، وشرفها هو الذي لا ينفذ، وعزها هو الذي لا يبيد، بل ويحمل عزها إلى أهله وذريته، بل وإلى ولد ولده، كما ورد في بعض التفاسير لقوله تعالى "**وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا**"[105]. أنه كان جدهم السابع صالحا، فحفظ الله كنز اليتامى ببركة صلاح الجد والله تعالى أعلم.

الدرة [224]: إن رغبتك البدايات زهدتك النهايات إن دعاك إليها ظاهر نهاك عنها باطن

الشرح: من حكمة الله تعالى في خلق الدنيا أنها لا تستقيم على حال، فما كان أوله حلو كان آخره مر، وما كان أوله غرة كان آخره حسرة، وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم يقول:(الدنيا غرة، أولها خضرة نضرة، وآخرها جيفة قذرة) ومن هنا كما قال سيدي ابن عجيبة رضي الله عنه:(على الذي تولى ولاية لا تدوم له، من عز بمال أو جاه أو عشيرة، أو غير ذلك أن يكون فيها على حذر)، بمعنى أن يصحبها بتقوى الله تعالى، ولا يغتر بحلاوة بدايتها فإن نهايتها مرة، وقال الشيخ أبو علي الثقفي رضي الله عنه):أف لاشتغال الدنيا إذا أقبلت، وأف من حسرتها إذا أدبرت) والعارف بالله يرى أن المكونات ما هي إلا خيالات وأوهام وما ثم إلا المتجلي الحق تبارك وتعالى فيها فيزول من ذهنه الرسم ويبقى في قلبه الرسام تبارك وتعالى، وهكذا لا تفتنه زينة، ولا يحجبه مظهر، بل يرى ظواهر المكونات تنادي عليه قائلة: إنما نحن فتنه فلا تكفر، اللهم لا تحجبنا بالآثار عن الأنوار يا رب العالمين، اللهم أنت مقصودي ورضاك مطلوبي.

الدرة [225]: إنما جعلها محلا للأغيار ومعدنا لوجود الأكدار تزهيدا لك فيها

الشرح: من حكمة الله تعالى في خلق الدنيا أن المؤمن لا يجد فيها موطنا للراحة، حتى يتحقق انه لا راحة لمؤمن إلا بلقاء ربه، وبشهوده والإكثار من ذكره، أي راحة شهود الجنان، لا راحة مجالسة الأعيان، والمتبصر في الدنيا يرى أنها دار ابتلاء وامتحان ومنزل ترح لا منزل فرح، بل كل فرح فيها يعقبه ترح، وكل سرور يعقبه هم وغم، وسئل عليه الصلاة والسلام:(من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فقال: الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها، واهتموا

بآجلها حين اهتم الناس بعاجلها) وشـبهت الدنيا عند العارفين بسـبعة أشـياء: بالماء المالح يغرق ولا يروي، وبالبرق الخاطف في سـرعة الذهاب والاضـطراب، وبسـحاب الصـيف يضـر ولا ينفع، وبزهر الربيع يغر بزهرته ثم يصـفر فتراه هشـيما، وبأحلام النائم يرى السرور في منامه، فإذا استيقظ لم يجد في يده شيئا إلا الحسرة، وبالعسل المشـوب بالسـم الزعاف يغر ويقتل، والحاصـل أن الدنيا تهلك من أجابها، وتترك من أعرض عنها، وكثيرا ما كان سـيدنا علي ابن أبي طالب رضـي الله عنه يخاطب الدنيا ويقول:(يا دنيا غري غيري ـ ويكررها ثلاثا ـ اعلمي أني طلقتك طلاقا بائنا لا رجعة فيه) ولهذا لا راحة في هذه الدنيا إلا بالنفس الذي يكون فيه الحق راض عنا، اللهم ارض عنا رضاء لا سخط بعده أبدا يا رب العالمين.

الدرة [226]: علم أنك لا تقبل النصح المجرد فذوقك من ذواقها ما يسهل عليك وجود فراقها

الشـرح: ربما لا ينتفع للعبد بالنصيحة إلا مع التجربة، ومن حكمة الله تعالى أن جعل السـالك يمر في أطوار النفس المختلفة ومنها النفس الأمارة، فينغمس في الدنيا وأهوائها وشـهواتها لبعض الوقت، حتى يذوق مرارتها ويعرف حقيقتها، ثم يتبرأ منها وذلك بعد انتقاله إلى النفس الراضية المرضية التي قنعت بمراد الله وحده، بعيدا عن الأهواء والحظوظ النفسـية، ولذلك قيل:(من عرف حقيقة الدنيا ذاق مرارتها، ومن ذاق مرارتها لم يرغب إليها أبدا، ومن أحب الله صـغر دونه كل شـيء) وقالوا:(الامتحان بقدر الإمكان، وكل محنة تزيد مكنة، واختبار الباقي يقطع التباقي، وقد تبقى في القلب بقية من حب شـيء من هذا العالم، أو ركون لشـيء من الدنيا، فيسـلط الله تعالى عليه من يشـوش عليه وينغص لديه كل ذلك عناية به، ليرحل من هذا العالم إلى عالم الملكوت، فإذا تحقق رحيله استوى عنده الحلو والمر، العز والذل،

الغنى والفقر، لأنه تحقق أن كلا من عند الله، وما في الوجود ســواه) وهذا هو العلم النافع.

الدرة [227]: العلم النافع الذي ينبسط في الصدر شعاعه وينكشف به القلب قناعة

الشـرح: لا شـيء مثل الحقيقة الناجمة عن شـهود ويقين، والتي مصـدرها الفيض الوهبي من نور الحق تعالى على قلب عبده المؤمن، حتى ينكشـف الحجاب ويزول الران، فتظهر الأشياء على حقيقتها الترابية وتنكشف صورة التجليات الإلهية، فينجذب القلب للحق تعالى، ولنوره الباطن في الوجود، ويتوجه الظاهر لمرادات العبودية قياما بحقوق الربوبية، وإلى كل ما أمر به الحق وأراده كلفا من غير تكلف، وطبعا من غير تطبع، ميولا لا ينفك أبدا، وهذا هو العلم النافع: علم الشـهود الذوقي وحسب، والنبي صلى الله عليه وسلم قال(العلم علمان: علم على ظاهر اللسان، وهو حجة الله تعالى على ابن آدم، وعلم في القلب وهذا هو العلم النافع) وشـعاع العلم النافع الذي ينبسـط في الصـدر، فسـره سـيدي ابن عجيبة رضـي الله عنه بأنه: ثلج اليقين، وبرد الرضى والتسليم، وحلاوة الإيمان، ومواجيد العرفان، وينشأ عنه مخافة الله تعالى وهيبته والحياء منه، والسـكون والطمأنينة، وغير ذلك، وفسـر القناع الذي ينكشـف به عن القلب، أنه الغفلة، وسـببها الرضـى عن النفس، وسـببه حب الدنيا الذي هو أصل كل خطيئة، فمن حب الدنيا نشأ الحسد، والكبر، والحقد، والغضب، والشـح والبخل، وحب الرياسـة والقسـاوة، والفظاظة، وغير ذلك من العيوب فإذا تصفت القلوب من العيوب صارت مهيأة لشهود المحبوب.

الدرة [228]: خير العلم ما كانت الخشية معه

الشـرح: إن لم يقترن العلم بالخشـية كان داع إلى الغفلة وأسـبابها، وحجاب للنفس أيما حجاب، ومن اشـترى الدنيا بالدين زالت الدنيا ومحقت بركة الدين، و يوم القيامة يلقى الله تعالى صـفر اليدين لأنه يصـاحبه الالتفات إلى الدنيا للحصـول على الحظوظ العاجلة، أو يؤدي إلى المباهاة والاستكبار، وإلى العجب والغرور، وطول الأمل ونسـيان الآخرة، أما إذا وجدت الخشـية فقد انقطعت أسـباب الغفلة، وكل مل يشـغل عن القيام بوظائف العبودية وحقوق الربوبية، فتكون عونا للعبد للوصـول إلى معرفة الله، ونيل قربه ورضاه، وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم قال:(ويل للجاهل مرة، وويل للعالم إذا لم يعمل عشر مرات) وجاء في أوراد سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه قال:(الويل لمن يعرفك، بل الويل ثم الويل لمن أقر بوحدانيتك ولم يرض بأحكامك) وإذا أراد العالم أن يستدرك ما فاته من غفلات تزود بالخشية، فإذا اجتمع العلم مع الخشـية هدم الذي فات من عدم الموافقات، ولذلك قالوا:(قد يجبر العالم من الخلل في شهر ما لا يجبره الجاهل في سنة أو أكثر).

الدرة [229]: العلم إن قارنته الخشية فلك وإلا فعليك

الشـرح: يشـير رضـي الله عنه إلى أن العلم إما أن يكون حجة لك أو حجة عليك، حجة لك متى ما أقترن خوف الجليل به فدعا صـاحبه إلى العمل بالأحكام، والاستعداد ليوم الزحام، وإلا كان حجة عليك متى اقترنت به العلل والمصالح الدنيوية العاجلة والمراتب الوهمية الزائلة، لأن الموصـوف بحق هو الله تبارك وتعالى التي قامت بذاته جميع الأوصـاف قياما حقيقيا لا اسـتعاريا، ومن هنا ليس كل من تعلم العلم استفاد من العلم أو فاده العلم، فقد يضره إن خرج على غير مقصده في إصلاح حال صـاحبه أو دعوة الناس إلى الله تعالى وكثير من الناس علمهم علم صحف وجرائد،

وقراءة كتب ومجلات لا يقرؤون على شـيخ يؤدبهم ويربيهم ويعلمهم النافع من الضـار، لأنه من كان شيخه الكتاب فخطؤه أقرب إليه من الصواب.

الدرة [230]: متى آلمك عدم إقبال الناس عليك أو توجههم بالذم إليك فارجع إلى علم الله فيك فإن كان لا يقنعك علمه فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه أشد من مصيبتك بوجود الأذى منهم

الشرح: السالك الضعيف يؤلمه نفور الناس منه، أو وصول أذاهم إليه، ولو فهم عن الله تعالى لأدرك أن الغاية اسـمي من الاشـتغال بالناس، وإن الاسـتئناس بهم من علامة الإفلاس، وإنما الأنس الحقيقي بالله تعالى، والتشـوق إليه، والرغبة في لقائه ووصـاله، وشـتان بين أنس قاصـر زائل مع الناس، وبين أنس دائم كامل بالله تعالى، والعبـد الموفق يرى في إدبار النـاس عنـه راحتـه، وتفريغ قلبـه مع الله تعـالى، خير من القواطع التي تقطع عن الله، أي عن القرب منه ورضاه، اللهم أنت مقصـودي ورضـاك مطلوبي يا رب العالمين.

الدرة [231] إنما أجري الأذى على أيديهم كي لا تكون ساكنا إليهم، وأراد أن يزعجك عن كل شيء حتى لا يشغلك عنه شيء

الشـرح: من محبة الله تعالى لأهله وخواص عباده، أنه يجعلهم مسـتوحشـين من الخلق، حتى لا ينشـغلوا بهم أو يميلوا إليهم، فالله سـبحانه وتعالى لا يريد أن يقبل الناس إليك بسـبب غفلتهم واغترارهم، إلا أن يجعلك الله تعالى في مقام الإرشـاد مربيا وناصـحا لهم، وإلا فخير السـكون هو السـكون إلى الله وحده، ولهذا ترى العاشـقين يزهدون في الدنيا وأهلها، لأن الله تعالى تجلى عليهم بالمحبة فأفناهم عن أن يرغبوا إلى

الناس مثقال حبة، إلا بما كان ناشـئا عن ملاحظة تجلي الحق في الخلق، وقد ورد عن أحد كبار العارفين أنه سـأل أحد مريديه: ماذا يقول الناس في، فقال: يقولون إنك مرائي، فقال الآن طاب العيش، وقال بشـر الحافي رضـي الله عنه حين وصـله كلام التيمي: اكتفي والله بعلم الله، فلم يحب أن يدخل مع علم الله غيره.

الدرة [232]: إذا علمت الشيطان لا يغفل عنك فلا تغفل أنت عمن ناصيتك بيده

الشرح: هذه وصية كريمة من الشيخ رضي الله عنه أن على السالك بحق إلى الله تعالى، أن يتحقق بمقتضـى المراقبة والمشـاهدة، يراقب الله تعالى في كل أنفاسـه، جاعلا نصب عينيه هذه المقولة عن سيدي الشيخ محمد النبهان رضـي الله عنه: (الله ناظري، الله شـاهدي، الله معي) في مقام المراقبة، أو على درجة أعلى: (الله منظوري، الله مشهودي) في مقام المشاهدة، وهذه أفضل وسيلة لدفع الشيطان عن قلبك، يقول الشيخ أحمد زروق رضي الله عنه:(وإنما يندفع الشيطان بالتوكل والإيمان، قال تعالى: "**إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ**" وكمل العارفين لا يعرفون من هو الشيطان، لأنهم مشغولون بالرحمن على صلة دائمة به تبارك وتعالى، منشغلين بذكره وشهوده والقيام بحقوق عبوديته وربوبيته، فذلك الشغل حجبهم عن الشيطان وأوصلهم إلى من بيده مقاليد السموات والأرض، وهو الله تعالى الذي نواصينا بيده، ماض فينا حكمه، عدل فينا قضاؤه، فقد فهموا من قوله تعالى: "**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا**"[106]. أن الشيطان لكم عدو وأنا لكم حبيب، فاشتغلوا بمحبتي أنسيكم عدوكم، كما قال سيدي ذو النون المصـري رضـي الله عنه:(إن كان هو يرانا من حيث لا نراه، فالله يراه من حيث لا يرى الله، فاسـتغن بالله عليه) لأنه كما قيل: (إذا اشـتغلت بعداوة العدو، فاتتك محبة الحبيب، ونال عدوك مراده منك) وقيل: (الشـيطان كالكلب إن اشـتغلت

بمقاومته مزق الإهاب وقطع الثياب، وإن رجعت إلى ربك صـــرفه عنك برفق، ولله در أولئك العارفين.

الدرة [233]: جعله لك عدوا ليوحشك به إليه وحرك عليك النفس ليدوم إقبالك عليه

الشرح: الله سبحانه وتعالى لم يخلق شيئا عبثا، ومن حكمة الله في خلقه، أن خلق للإنسـان قرينه من الجن وهو الشـيطان، ليذيقه من أذاه كلما أعرض عن مولاه، كما قال صـلى الله عليه وسـلم:(الشـيطان واضـع خطمه على قلب ابن آدم، فإذا ذكر الله خنس، وإن سكت التقم قلبه) وعندها يشـعر العبد بالوحشـة من بعد الطمأنينة، فيكون ذلك داع له للفرار إلى الله تعالى، بالتوبة النصـوح، وتجديد العهد مع الله تعالى، وهذا من عظيم النعمة والمنه، ولهذا فمن علم العبد بالله أن الشـيطان للإنسـان عدو مبين حتى لا يأمن جانبه أو يركن إليه، وقال سـيدي ابن عجيبة رضـي الله عنه:(إذا علمت أن الشيطان لا يغفل عنك ساعة لأن له بيتا في صدرك، من جهة شمالك، فإذا غفلت عن ذكر الله وسوس وإذا ذكرت الله خنس، فإذا علمت ذلك، فلا تغفل أنت عن ربك وقد أمرك فقال "**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا**"[107]. اللهم اكفنا إياه بما شئت وكيف شئت.

الدرة [234]: من أثبت لنفسه تواضعا فهو المتكبر حقا إذ ليس التواضع إلا عن رفعة، فمتى أثبت لنفسك تواضعا فأنت المتكبر حقا

الشـــرح: التواضـــع الحقيقي أن ترى الأشـــياء كلها مثلك أو أحســـن منك، والتواضـــع الحقيقي أن لا تعترف بالمزية على أحد من المخلوقات، لأن المتجلي في جميع

المخلوقات واحد وهو الله تبارك وتعالى، قيل لأبي يزيد البسطامي رضي الله عنه (متى يكون الرجل متواضعا فقال: إذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا، ولا يرى أن في الخلق من هو شر منه) هذا هو التواضع الحقيقي الأصل فيه أنه مقام قلبي قبل أن يكون بمشية الهوينا وإطراق الرأس، ولكنها آثاره المهم الإخلاص والخلاص من رؤية شهود النفس، والنفوس نفسان: نفس نفسية، ونفس منفوسة، والنفس النفيسة ما ظهرت نفاستها وعلت مراتبها إلا بشرف تواضعها، كما في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: (من تواضع لله رفعه) أما النفس المنفوسة أي المنفوخة فهي نفس فارغة من الأنوار، بعدية عن المعارف الأسرار، ألم تر إلى الشجرة الباسقة لا ثمرة فيها، وأما الشجرة المتواضعة فقريب منالها، كثيرة أحمالها.

الدرة [235]: ليس المتواضع الذي إذا تواضع رأى أنه فوق ما صنع، ولكن المتواضع الذي إذا تواضع رأى أنه دون ما صنع

الشرح: أساس التواضع هو تحطيم كبرياء النفس، أي الارتفاع عن الكبر الباطن، فهذا هو التواضع الحقيقي، ويستوي عنده كثرة الأعمال وقلتها، فهو في جميع الحالات لا يشهد فعلا من نفسه وإنما يشهد جميع الأفعال على أنها تجليات الحضرة الإلهية، مع الأدب الكامل في نسبة التقصير إلى النفس، ولهذا فأصل التواضع ألا يعتقد وجود نفسه وثبوت حسه الوهمي، وإلا فمن كان غير هذا حاله فلا يشاهد إلا البعد، ولا يزال في عالم الأشباح بعيدا عن عالم الأرواح، ولا يزال في الكثائف بعيدا عن اللطائف. ومن العباد من يظن أن التواضع لا يكون إلا باستحقار العمل، ولكن هذا فيه حظ من شهود صاحبه لنفسه أنه عمل، وأنه لولا جريان التوفيق عليه لما ذكر ولا صلى، فهو بذا يغيب عن شهوده بشهود وجود ربه. وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:(إنما الكرم التقوى، وإنما الشرف التواضع، وإنما الغنى اليقين، والمتواضعون في الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة، إذا تواضع العبد رفعه الله إلى

السماء السابعة، ولا يزيد التواضع للعبد إلا رفعة، فتواضعوا ليرفعكم الله، وإذا رأيتم المتواضعين من أمتي فتواضعوا لهم، وإذا رأيتم المتكبرين من أمتي فتكبروا عليهم، فإن ذلك مذلة لهم وصغار لهم).

الدرة [236] : التواضع الحقيقي هو ما كان ناشئا عن شهود عظمته وتجلى صفته

الشــرح: في الحقيقة ليس التواضـع إلا عن شـهود ورفعة، فمن شـهد المتكبر الحقيقي لم يرفع رأســه أمامه ابدأ، وفي الحديث القدســي (الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري فمن نازعني واحدة منهما قصــمته ولا أبالي) ولهذا فالعارف بالله تعالى تواضــعه حقيقي لأن كبرياء الحق تعالى لا يغيب عن قلبه أبدا، وأما عامة الناس فيتواضــعون لأجل مبدأ تحلوا به، أو لأجل خلق اعتنقوه وأما أهل الله فحين شــهدوا عظمة الحق تعالى خرجت عنهم أوصاف نفوسـهم، إذ لا يخرج عن الوصـف، كما قال سـيدي ابن عجيبة، إلا شـهود الواصـف، وقال ذو النون المصري رضي الله عنه:(من أراد التواضع فليوجه نفســه إلى عظمة الله، فإنها تذوب وتصــغر، ومن نظر إلى ســلطان الله تعالى ذهب عنه ســلطان نفســه، لأن النفوس كلها ذليلة عند هيبته)، ولهذا فعلى العارف بالله تعالى أن يعبده قياما بحقوق الربوبية، وإذا تحقق العبد بوظائف العبودية من غير نفس، شهد آيات الربوبية في حضرة الجناب الأقدس.

الدرة [237]: لا يخرجك عن الوصف إلا شهود الواصف

الشـرح: قد يكرم الله تعالى عبده بالولاية أو القطبية أو الغوثية أو الفردانية وهذه في حقيقتها مواهب، وأصـحابها لا يشــهدون الموهبة بل يشــهدون الواهب الحق

تبارك وتعالى، لا يشــهدون الولاية بل يشــهون الوالي الحق تبارك وتعالى، لا يشــهدون العلم بل يشـهدون العليم بحق تبارك وتعالى، لا يشـهدون الرزق وإنما يشـهدون الرازق الحق تبارك وتعالى، ولا يكمل العارف حتى تســقط عنه جميع العلائق، ولا تســقط العلائق حتى يتحقق أن كل نسبة ورتبه وتعيين وهم ساقط، وأن الإضافات الحقيقية لله تعالى وحده، وهكذا يخلص العبد من شـهود الأغيار، فلا يظهر له فعل ولا وصـف ولا وجود إلا لله.

الدرة [238]: المؤمن يشغله الثناء على الله عن أن يكون لنفسه شاكرا وتشغله حقوق الله عن أن يكون لحظوظه ذاكرا

الشـرح: أعلى مرتبة في الشـكر كانت لرسـول الله صلى الله عليه وسـلم، حامل لواء الحمد يوم القيامة والذي كان لسان حاله وقاله دائما:(اللهم لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفســك) وهكذا على العبد الموفق أن يعلم أنه لو بقي طول دهره ســاجدا لله تعالى، ما وفى حق أدنى نعمة من نعم الله عليه، فكيف يمدح نفســه، أم كيف يشهد لها وجود، وهي التي ما تحقق لها قيومية أصلا إلا بقيومية الإله الحي الذي أقام الخلائق كلها بقدرته، وهدى من هدى بمشــيئته، وهيأ من أراد لطاعته، ولهذا فالعارف بالله تعالى لا يشـهد منعما ولا متفضلا سـوى الله تعالى. وتشـغله مداواة عيوبه عن الالتفات إلى الثناء على نفســه، وعلى رأســها عيوب النفس بتعلقها بالشــهوات الجســمانية كشــهوة البطن والفرج، وعيوب القلب بتعلقه بالشــهوات القلبية كحب الظهور والرئاســة، وعيوب الروح بتعلقها بالحظوظ كطلب الكرامات والمقامات، ولذلك قال الشـيخ أبو الحسـن الشـاذلي رضي الله عنه:(المحب على الحقيقة لا سـلطان على قلبه لغير محبوبه، ولا مشيئة له مع مشيئته).

الدرة [239]: ليس المحب الذي يرجو من محبوبه عوضا أو يطلب منه غرضا، فان المحب من يبذل لك ليس المحب من تبذل له

الشـرح: أصـل المحب أن يكون ذاهبا عن نفسـه، متصـلا بذكره وشـهوده، وهذه صفة من عرف الله تعالى بأسمائه وصفاته، ثم صدق مع الله تعالى في معاملاته، ثم تنقى عن أخلاق الرديئة، وآفات الذميمة، وعلى رأسـها رؤية النفس، أو طلب العوض على ما قدم، لأن لطف الله سابق على كل شيء، وعنايته به منذ الأزل، فيعبده لا لشـيء، ولا لحظ من حظوظ نفسـه، وإنما لأنه أهل لذلك، والمحبة إن قامت على العلات فهي مصانعة، وليست محبة، المحبة الذاتية ترتفع عن النظر إلى أخذ العطاء، أو دفع البلاء، ولذلك قيل:(لولا الغرض في النفس المعلولة لما أحبت) وقال أبي عبد الله القرشـي رضـي الله عنه:(حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت، حتى لا يبقى لك منه شيء)، فالأصل صدق الحال مع الله تعالى، والغيبة عما سوى المتعال، وإطالة الوقوف ببابه، قياما بحقوق ربوبيته، كلفا من غير تكلف، مبعثه على ذلك الشوق إلى المحبوب، والتلهف للقائه، اللهم ارزقنا الأدب الكامل بين يديك يا رب العالمين.

الدرة [240]: لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين

الشـرح: ما قامت طرق التصـوف ولا مدارس السـير والسـلوك إلا لتربية النفوس، وتزكيتها للدخول على حضـرة ملك الملوك تبارك وتعالى، ولولا شـهود وجود النفس وما يصاحبها من علائق تصدها عن الاتصال بفطرة ربها وشـهود وجوده لكان التهيؤ الذاتي موجودا من غير حاجه إلى واسـطة لدى النفس البشـرية، لأنه لو كان القلب سـليما لأشـرق بنور مولاه، ولكن كما قال تعالى "**فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**".[108] وأما الميادين التي يتحقق بها سـير السـائرين إلى الله تعالى، فيقول سيدي ابن عجيبة رضي الله عنه: (أول ما يجاهد المريد في ترك الدنيا

أو التخفيف منها، حتى لا يبقى ما يشغله عن ربه تبارك وتعالى، ثم في ترك الناس والفرار منهم، ويتنكر لمن يعرف، ولا يتعرف لمن يعرف، ثم في إسقاط المنزلة والجاه، حتى يسقط من عين الناس، ويسقط الناس من عينه، ثم في الذل والانكسار قلبا وقالبا، فإذا تحققت بالذل والتواضع، والخمول والفقر، وسكنت في ذلك واستحللته، فقد تمكنت من نفسك وملكتها، ومن ملك نفسه فقد ملك الوجود بأسره، ومن لم يقدر على تغيير شعرة من نفسه فلا سير له ولا وصول) ولهذا قيل:(من ترك الأصول حرم الوصول. اللهم يا واصل المنقطعين أوصلنا إليك، وهب لنا عملا صالحا يقربنا إليك.

الدرة [241]: لا مسافة بينك وبينه حتى تطويها رحلتك ولا قطيعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك

الشرح: لما تحدث رضي الله عنه عن سير السائرين إلى الله تعالى، نبه على أن هذا السير ليس مرتبطا بمسافة حسية أو مكانية، وإنما هو إشارة إلى قطع عوائق النفس والخروج من علائقها، وهي الركون إلى المألوفات، واتباع العادات، و ملازمة الغفلات، ومطارحة الزلات والمخالفات، وإلا فتنزه الله تعالى عن المسافات الحسية والحواجز المادية والمكانية، يقول سيدي ابن عجيبة رضي الله عنه:(وإنما أوصاف النفس حاجبة عن حضرة المولى عز وجل، فإذا تطهرت النفس من الأوصاف المذمومة، وارتفعت عن سلبياتها المذمومة، فقد تحققت بالوصال لانشغالها بالملأ الأعلى، وغيابها وفنائها عن السوى) اللهم لا تقطعنا عنك بقاطع يا رب العالمين.

الدرة [242]: جعلك في العالم المتوسط بين ملكه وملكوته ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته، وأنك جوهرة تنطوي عليك أصداف مكوناته

الشرح: الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان في عالم متوسط، بين البشرية والروحانية، أي مركب من ملك وملكوت وجبروت، ونور وظلمة، وغيب وشهادة، وحس ومعنى، وعالم علوي وسفلي، وقدرة وحكمة، وحس ومعنى، تكريما لمنزلته فهو القطب في هذا الوجود، أي فيه مجموع مكونات عالم الملك والملكوت فهذا من جلالة قدر الإنسان، كما قال تعالى: "**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**"[109]. وقال جل من قائل: "**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**"[110]. والحمد لله العظيم، ويشبه رضي الله عنه الإنسان بجوهره أحاطتها أصداف المكونات، أي ظواهر المخلوقات، وهو لبها وجوهرها، لان فيه القلب، ولان فيه الروح، ولان فيه العقل، وهذه باقي العوالم التي خلق منها الإنسان، ولو نظر الإنسان إلى مركز نفسه بين محيطات الوجود في الأرض التي تقله، والسماء التي تظله، والجهات التي تكتنفه، والحيوانات التي تخدمه وتنفعه، والجمادات التي تدفع عنه الحر والأذى، وهو وسط الجميع، والأفلاك تدور به، والشمس والقمر منيران لما هو فيه، لعلم أن كل الأكوان عبيد مسخرة له، لأنه ما خلق إلا أن يكون عبدا للحضرة الإلهية، وفي بعض الآثار المروية عن الله عز وجل:(يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك، وخلقتك من أجلي، فلا تشتغل بما هو لك عمن أنت له). اللهم أفردنا لما خلقتنا ولا تشغلنا بما تكفلت لنا به يا رب العالمين.

الدرة [243]: إنما وسعك الكون من حيث جثمانيتك ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك

الشرح: الإنسان إذا نظر إلى ظاهر حسه وبشريته يستصغر شأن نفسه، على أنه جزء ضئيل من هذا العالم الكبير، ولكن إذا تعمق شهوده في الحقيقة أدرك

أنه نسـخة من العالم الأكبر، من حيث أن الوجود كله منطو فيه، وهو خليط من كل العوالم، كما قال سـيدنا علي كرم الله وجهه:(وتحسـب أنك جرم صـغير وفيك انطوى العالم الأكبر) ومن هنا إن لم تغلب بشـريته على روحانيته، أو حسـه على معناه، يصير حينئذ ملكوتيا جبروتيا، وكأنه العالم الأكبر.

الدرة [244]: الكائن في الكون ولم تفتح له ميادين الغيوب، مسجون بمحيطاته، محصور في هيكل ذاته

الشـرح: النفس إذا لم تتصفي وتتطهر من كدورات الحس، بقيت محبوسـة في سجن الجسد والمكونات المادية من حولها، ولكن إذا تصفت وتطهرت عرجت الروح إلى عالم الغيب، عالم الملكوت ومن ثم عالم الجبروت، فلم يحجبها عن الله تعالى أرض ولا سـماء ولا فلك ولا عرش ولا كرسـي ولا شـيء، بل يصـير ذلك عندهم كلا شـيء أمام عظمة عالم الجبروت، وهذا أمر مذوق عند العارفين، وهم متفاوتون في إحاطتهم بحقيقة الكون بحسـب اتسـاع نظرتهم في الشـهود، وكمل العارفين نظروا إلى الكون بأسـره وأرجعوه إلى أصـله فذاب ورجع في حقيقته إلى ماء، والماء إلى نقطة، بحيث أن الروح كلما جالت في بحر الجبروت صـغر الكون عندها، ووقت إذ لا تحس به، وفي الحديث القدسـي يقول الله تعالى:(لم تسـعني أرضـي ولا سـمائي و وسـعني قلب عبدي المؤمن) أي العارف الكامل الذي هيأه الله لمعرفته، اللهم أتمم لنا شـهودنا حتى نتحقق بالمعرفة الكاملة يا رب العالمين.

الدرة [245]: أنت مع الأكوان مالم تشهد المكون فإذا شهدته كانت الأكوان معك

الشرح: العبد إن كان حرا بالله، مستغنيا عما سواه، كانت الدنيا طوع أمره، وخادمة له، وإن كان مفتقرا إليها هربت منه وأفنى عمره في الوصــول إليها، وورد في الحديث القدســي قول الحق جل وعلى: (يا دنيا اخدمي من خدمني واســتخدمي من خدمك) فمن أفنى عمره في خدمة الدنيا، وحفظ للأشــياء قيمة في قلبه، ونســي أن القلب بيت الرب ولا يســع لاثنين، إما حق وإما خلق، فجزاؤه أن يصــرفه الحق عنه، ويجعله تائها بين الخلائق، وكما ورد أيضا في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: (من كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وشتت عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما كتبه الله له، ومن كانت الآخرة همه جعل الله الغنى في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة) والقسم الثاني من الحديث لمن كانت الآخرة همه يرى كل الأكوان مسخرة لأجله، فكيف بالذي كل همه الله، وشهود الله تعالى، فلا شك هو سيد هذا الوجود، والقطب المتدرك في زمانه، من حيث أنه خليفة الله في أرضه.

الدرة [246]: لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم البشرية

الشــرح: الإنســان بين كثيف ولطيف أي يعيش بين عالمين متقابلين: بين البشــرية الكثيفة أو عالم الملك، وبين الروحانية اللطيفة أو عالم الملكوت، أو فلتقل بين عالم الناسوت أي عالم الإنسان كانسان وهو في عالم الحس، وبين عالم اللاهوت أو الجبروت أي عالم حضــرة الجبار، وهو الله تبارك وتعالى، والذي يصــطفي أولياءه ويكرمهم بالخصــوصــية، أي بمراتب الولاية والقطبية، كما أكرم أنبياءه بالنبوة والرسالة، ولكن هذه المراتب أو الخصوصية لا تلغي طور البشرية، أي الأوصاف التي اتصف بها البشر من وجود العوارض الملازمة لهم: كالأكل والشرب والملبس والمسكن

والمنكح، كما قال تعالى بحق الرسل: "وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ"[111].
وقوله تعالى بحق الحبيب صلى الله عليه وسلم "قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ"[112].
وكان ذلك لحكمة أرادها الحق تعالى ليختبر الناس من يؤمن برسل الله ممن ينقلب على عقبيه، فمن شهد شيئا من حقيقة سرهم آمن، ومن وقف مع ظاهر بشريتهم كفر، وإن للخصوصية تجليات لا تخفى، وإنما مثل تجليات الربوبية على البشرية كإشراق شمس النهار على الآثار، والتي لولا ظهورها لاختفت أوصاف الآثار باختفائها، أو أظلمت وما عاد لها أنوار أو أسرار، بل ولا حتى وجود.

الدرة [247]: إنما مثل الخصوصية كإشراق شمس النهار ظهرت في الأفق وليس منه، تارة تشرق شموس أوصافه ليل وجودك وتارة يقبض ذلك عنك فيردك إلى حدودك، فالنهار ليس منك وإليك ولكنه وارد عليك

الشرح: يشبه رضي الله عنه الخصوصية، والتي في حقيقتها هي أنوار الربوبية المشرقة على القلوب،، بنور الشمس في إشراقها على الآفاق، من حيث أنها ليست أصلا في الآثار كما أن أنوار الربوبية ليست أصلا في البشرية، وإنما تجليات وانعكاسات، تظهر وتختفي، فإذا ظهرت تنورت بشرية العبد، واختفت صفاته الظلمانية السلبية، كالحسد، والكبر، والبغض، والعجب، والرياء والغضب، والقلق، وخوف الخلق، وخوف الفقر، وهم الرزق والتدبير والاختيار، وإذا اختفى نور الربوبية رجعت هذه الأوصاف حية، ويقول سيدي ابن عجيبة رضي الله عنه:(إذا ظهرت أنوار الربوبية غيبت الإنسان عن نفسه، وقطعته عن حسه، فلا يرى إلا أوصاف ربه، وينكر وجود نفسه من أصله.. .فإذا سكن الوارد رجع إلى شهود نفسه بربه، ورجع إلى ذلك النور إلى باطنه، فيكون باطنه نورا على الدوام، وظاهره تارة يغلب عليه ذلك النور، وتارة تغلب عليه الظلمة) أي ذل العبودية، وأنوار القلوب أصلها من النشأة الأولية،

وهي القبضة النورانية في قوله تعالى "**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** "[113]. قيل: هو نور قلوب العارفين، ولكن ما الذي منع أكثر العباد عن معرفة عالم الملكوت؟ وما الذي تسبب في ظلمة قلوبهم؟ لا شك هو انشغالهم بعالم الملك، كما قال تعالى: "**يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ** "[114]. ولهذا قال سيدي ابن عجيبة رضي الله عنه:(إذا وقف العبد مع ظاهر الملك، لم ينفذ إلى شهود أنوار الملكوت، وانقطع عنه علم ذلك ومعرفة قدره، وكذا من وقف عند أنوار الملكوت، لم ينفذ إلى أنوار الجبروت، وهو النور الأصلي الأزلي، وهو النور الذي لم يدخل عالم التكوين، يبقى العبد محجوبا عن الترقي) وما للترقي انتهاء. اللهم أزل الحجب عن قلوبنا حتى تراك.

الدرة [248]: دل بوجود آثاره على وجود أسمائه، وبوجود أسمائه على ثبوت أوصافه، وبثبوت أوصافه على وجود ذاته، إذ محال أن يقوم الوصف بنفسه

الشرح: هذه الإشارة إلى أن الكون لولا وجود الله تعالى، وتجليه على عبيده وعلى جميع مخلوقاته بالأسماء الحسنى والصفات العلى، لما قامت لهذه الآثار قائمة، كما قيل:(فاقد الشيء لا يعطيه) فلولا صفات الحق تعالى لما تزين العبد ولا الكون بوصف، وهذا تحقيق المعية الواردة في قوله تعالى: "**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ**"[115]. أي بتجليات أسمائه وصفاته، وهي المشيرة إلى ذاته تبارك وتعالى. ومن هنا نفهم الحكمة من ختام جميع الآيات القرآنية بلفظ الجلالة(الله) وهو الاسم الدال على الذات، والجامع لجميع الأسماء الصفات، أو بإحدى هذه الأسماء والصفات.

الدرة [249]: أرباب الجذب يكشف لهم عن كمال ذاته، ثم يردهم إلى شهود صفاته، ثم يرجعهم إلى التعلق بأسمائه، ثم يردهم إلى شهود آثاره، والسالكون على العكس من هذا، فنهاية السالكين بداية المجذوبين، لكن لا بمعنى واحد فربما التقيا في الطريق، هذا في ترقيه وهذا في تدليه

الشرح: أرباب الجذب يشهدون الحق بلا خلق، فهم ينكرون الوسائط من أصلها إلا إذا قاموا لعبادة المولى عز وجل فيلحظون وجود عبد ورب، ولكن الأصل عندهم ابتداء شهودهم من الأعلى إلى الأدنى، إذ يغلبون بادئ أمرهم بشهود الذات وأنوارها بلا طاقة لهم على الاحتمال فيصعقون، أو يجذبون، ثم يردون إلى شهود صفات الحق في الخلق، فيلاحظونها أنوار قد تكثفت وظهرت وما ثم غيرها، ثم يعودون لشهود الآثار عند قيامهم بأحكام العبودية ولكنها رجعة خاطفة لتعلقهم بالشهود الذاتي الأصلي، وأما أهل السلوك فينتقلون من شهود الخلق إلى شهود الحق، مع تدرجهم في الشهود من الأدنى إلى الأعلى، أي من شهود الأفعال الإلهية في الآثار الكونية التي أظهرتها قدرة الحق جل وعلا، إلى شهود الصفات الباطنة فيها والمحركة لها، إلى شهود الذات الإلهية التي قامت بها جميع الأسماء والصفات حتى يتمكنوا بهذا الشهود مع الصحو الكامل، أي في طور الجمع، أو ما يسمى بطور البقاء، ومن هنا يلاحظ اجتماع أهل الجذب في بادئهم مع أهل السلوك في نهايتهم، مع العلم أن المترقي أكمل رتبة ودرجة من المتدلي، لأنه يؤدي حقوق الحق وحقوق الخلق ولكنهم كلهم عبيد الله تعالى، وكلهم مكرمون بشهود المولى عز وجل.

الدرة [250]: لا يعلم قدر أنوار القلوب والأسرار إلا في غيب الملكوت كما لا تظهر أنوار السماء إلا في شهادة الملك

الشـــرح: القلب غيب والرب غيب، ولا يعلم الغيب، ومن ذلك علم القلوب والسـرائر إلا الغيب، وهو الحق تبارك وتعالى، وسـبحان المتجلي بنوره في خلقه، أي في تجليات أسمائه وصفاته تبارك وتعالى.

الدرة [251]: وجدان ثمرات الطاعات عاجلا بشائر العاملين بوجود الجزاء عليها آجلا

الشرح: إن الله سبحانه وتعالى يرزق من يشاء بغير حساب، وهم الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله، والذين أخبر عنهم رســول الله صـلى الله عليه وســلم بقوله: (وأبى الله إلا أن يرزق المؤمن بغير حســـاب) والرزق رزقان: رزق حســي مادي، ورزق معنوي روحاني، فمن وجد ثمرة الطاعات عاجلا فليحمد الله تعالى، كأن يجد نفســـه متقلبا في الأنوار، ومطارحا للأسرار، مرزوقا بالموفقية والهمة العالية، فيبشر مثل هذا القريب من الله تعالى بالوصـــول إن شـــاء الله، وهو زوال الحجب الظلمانية، وظهور الشموس العرفانية بفيض أنوار العلوم الربانية، في جنة المعارف في الدنيا قبل الآخرة، وبنعيم الجنان في الدنيا قبل الحور والقصور والولدان في الآخرة.

الدرة [252]: كيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك أم كيف تطلب الجزاء على صدق هو مهديه إليك

الشــرح: على العبد إن أكرمه الله تعالى بالقيام بوظائف العبودية ألا يعيش إلا بالأدب الكامل مع الله تعالى، فلا يطلب على عمله عوضــا فتكون عبادته كعبادة التجار، ولكن كعبادة الأحرار الذين عبدوه لأنه رب يحب ورب يســتحق أن يعبد، وكيف يطلب العبد الجزاء على عمل هو في حقيقته هدية من الله إليه، إذ لولا كرمه ســبحانه لما هيأه للقيام به ولما أكرمه بالتوجه إليه، ولما تمم عليه النعمة بوجود ثمرة ذلك النور في قلبه، وهو النور الذي إذا أشــرق على قلبه حقا، انمحق باطل النفس، كرؤية شـهود وجود النفس كما قال تعالى: "**وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** "[116]. اللهم لا تشغلنا إلا بك، ولا تقطعنا عنك بقاطع يا رب العالمين.

الدرة [253]: قوم تسبق أنوارهم أذكارهم وقوم تسبق أذكارهم أنوارهم، وقوم تتساوى أذكارهم وأنوارهم، وقوم لا أذكار ولا أنوار نعوذ بالله من ذلك

الشــرح: المختصــون من القدم تســبق أنوارهم أذكارهم، وهؤلاء هم أهل العناية والاصـطفاء، إذ أن أنوار المواجهة لا تفارقهم، فهم ذاكرون لله على الدوام، ولا يحتاجون للتكلف، كما كان حال الأنبياء والأولياء الصــالحين، أما عامة المريدين فيحتاجون للتكلف من الذكر، وقراءة القرآن، والأوراد حتى تأتيهم العناية، فتلحظهم أنوار التوجه والمواجهة، والتي سبق وأسلفنا في الحديث عنها، ولذلك قال سيدي ا بن بشيش رضي الله عنه عن السالكين:(منهم من ملك فسلك، ومنهم من سلك فملك)،

ومن ســـلك فملك، فهذا لعامة الســـالكين، أما من ملك فســـلك فلأهل الاختصـــاص المقربين، الحمد الله الذي جعلنا من أهل عنايته واختصاصه.

الدرة [254]: ذاكر ذكر ليستنير قلبه، وذاكر استنار قلبه فكان ذاكرا

الشـــرح: من الذاكرين قوم غلبت بشـــريتهم على روحانيتهم، وملكوتهم على ملكهم، وظلمتهم على نورهم، فهؤلاء يذكرون الله تعالى لتســـتنير قلوبهم، وتزول دواعي الظلمة والأغيار عنهم، وأما الذين اســـتنارت قلوبهم فكانوا ذاكرين، فهم الذين أفردهم الحق تعالى بذكره وشهوده، فكانوا ذاكرين موصولين مواصلين، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وهؤلاء هم أهل الاختصـــاص الإلهي، أصـحاب الروحانية العالية، والذين يسبحون في ملكوت الله وجبروته العظيم، جعلنا الله منهم، آمين.

الدرة [255]: ما كان ظاهر ذكر إلا عن باطن شهود وفكر

الشرح: لما كان الذكر اندراج اللسان والقلب بذكر المذكور وشهوده، أي بقاء الذاكر مع ربه بقاء شـــهودي باطن وظاهر، أي بتحقق المعرفة المطلوبة من العبد بشـــهود وجود الله تعالى بالباطن، والمداومة على ذكره في الظاهر، علم من هذا أن ما ظهر من ذكر على اللســـان فإنما هو نتيجة وجود ثمرة الشـــهود في الباطن، أو بصـحة وجود التفكر في عظيم قدرته وجلائل صـــنعه، وقالوا:(من أحب شـــيئا أكثر من ذكره) ومن أكثر من ذكر الحق تبارك وتعالى تنور قلبه، وشـــهد وجود ربه على الدوام. اللهم أفردنا لذكرك وشهودك يا ذا الجلال والإكرام.

الدرة [256]: أشهدك من قبل أن يستشهدك فنطقت بألوهيته الظواهر وتحققت بأحديته القلوب والسرائر

الشرح: أصل الشهادة من الشهود، هذه الشهادة والتي هي الركن الأول في الدخول في الإسلام، فما استشهد بها عبد، أي نطق بها لسانه بها، إلا وكان ذلك دلالة على استحضاره شهودا باطنا في قلبه بمبعث فطرته، التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة) وأهل السعادة شهدوا في الأزل لله تعالى بالوحدانية ولنبيه بالرسالة، ولهذا قال: أشهدك من قبل أن يستشهدك، وكذا سائر خلق الله تعالى، فما من ذره إلا لها قلب، وما من ذرة إلا وتشهد له وتسبح بحمده مشيرة له ودالة عليه بظهور تجلياته فيها، ولهذا قال: فنطقت بألوهيته الظواهر، وتحققت بأحديته القلوب والسرائر، وتحققت بها: أي أقرت بها القلوب والسرائر، وإن جحدتها بعض ظواهر الكافرين، ولكن القلوب تعرفها ولا تنكرها، كما قال الله تعالى: "**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**"[117]. أي عنادا واستكبارا. اللهم إنا نشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، وأن محمدا عبدك ورسولك صلى الله عليه وسلم.

الدرة [257]: أكرمك بكرامات ثلاث: جعلك ذاكرا له، ولولا فضله لم تكن أهلا لجريان ذكره عليك وجعلك مذكورا به، إذ حقق نسبته لديك، وجعلك مذكورا عنده فتمم نعمته عليك

الشرح: المؤمنون أهل ذكره سبحانه، ومن كرامة الله تعالى لهم أن هيأهم لذكره، وآنسهم بقربه، وأصل العبادات كلها من صغيرها إلى كبيرها قائمة على الذكر ففي الصلاة مثلا يذكره العبد بكل أسمائه وصفاته عند تلاوة آياته، وفي الصيام يذكره باسمه الصمد الذي لا يحتاج لأحد، والمنزه عن العوارض كلها، صغيرها وكبيرها،

كالجوع والمرض، والمال والأهل والولد، فهذه الكرامة الأولى، والكرامة الثانية أنه يكرمهم بمناجاته، وبما أجراه تعالى على قلوبهم من بشـــارة عندما يســـمعون من الله تعالى ذكره لهم في آياته، وما أعده لهم من جزاء في جنانه، وأما الكرامة الثالثة فلأهل القرب والاختصاص بأن أكرمهم بعنديته، وسجلهم في ديوانه، ما بين ذاكر، وشاكر، وصادق، ومخلص، ومحب، وهكذا، وهذا هو أعظم النعم وتمامها على المرء، والسعيد فينا من لا يغيب عنه مولاه في نفس من أنفاسـه، اللهم أكرمنا بعنديتك الدائمة يا رب العالين. وفي الحديث عنه صـلى الله عليه وسـلم:(ما من يوم إلا ولله فيه نعم ينعم الله بها على عباده، وما أنعم الله على عبد أفضـــل من أن يلهمه ذكره)، وكان يحيى بن معاذ رضي الله عنه يقول: (يا غفول، يا جهول، لو سمعت صرير القلم حين يجري في اللوح المحفوظ بذكرك لمت طربا).

الدرة [258]: رب عمر اتسعت آماده وقلت أمداده، ورب عمر قليلة آمادة كثيرة أمداده

الشـــرح: العبرة في العمر في البركة والتوفيق، وأبرك الأعمار عمر الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، فالله عز وجل أكرمه وأكرم العباد به ما لم يكرم أحدا من خلقه، جزاه الله تعالى عنا خير ما جزا نبيا عن أمته، وكحال الســـلف الصـــالح رضوان الله عليهم، الذين جاهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرات المعارك والغزوات، وأسهموا في الدعوة إلى دين الله تعالى بما لا يخفي على أحد، وكانوا رهبانا في الليل فرسانا بالنهار، فكانت حياتهم كلها جهاد ودعوة وعبادة، مع أن عمر الواحد منهم لم يتجاوز في الغالب الســتين والســبعين، إلا أن الله تعالى بارك لهم في أعمارهم وأوقاتهم، وذلك لسلامة قصدهم و نياتهم، من أمثال الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم وعلى الصحابة أجمعين، وكأمثال العلماء العاملين وعلى رأســهم الأئمة الأربعة المجتهدين في الدين، سيدنا أبي حنيفة، والشافعي، ومالك بن أنس، وأحمد بن حنبل

رضـي الله عنهم، وعن أمثالهم من العلماء الوراث المحمديين، الذين قاموا بخدمة الدين خير قيام، ووضحوا سـبيل الحق للأنام، فجزاهم الله عنا خير الجزاء، ومن هنا يظهر لنا أن العبرة ليسـت بطول الآماد، وإنما بسـعة الأمداد، اللهم طول أعمارنا، وحسن أعمالنا، واختم بالصالحات أعمالنا يا رب العالمين.

الدرة:[259]: من بورك له في عمره أدرك له في يسير من الزمن من منن الله ما لا يدخل تحت دوائر العبادة ولا تلحقه الإشارة

الشـرح: الأصـل النفخة الربانية، ورب نفحه من النفحات أغلى من كل النفحات، ومثال ذلك قيام التهجد ففيه من النفحات ما لا يعلمها إلا الله تعالى، كما قال جل ذكره: "**إِنَّ نَاشِـئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَـدُّ وَطْئًا وَ َقْوَمُ قِيلًا**"[118]. أي إن سـاعات وأوقات الليل أشـد مواطأة بين القلب واللسـان، وأجمع لخواطر التدبر وواردات الشـهود، لسـكون العبد مع ربه، وصـفاء قلبه في ذلك الوقت، ولا يكن العبد من أهل الله تعالى حتى يقوم الليل، ومن بارك الله له في عمره طوى له البعد، وتحصـل له الجذب الكامل، أي الجذب الباطن مع الصـحو الظاهر، كما قيل:(إن أهل الجذب يطوون في ساعة واحدة من مسافة القرب مالا يدركه غيرهم في سنين) وقال صلى الله عليه وسلم:(فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة)وقال الشيخ أبو العباس المرسي رضـي الله عنه:(أوقاتنا كلها ليلة قدر)أي كل وقت عندنا أفضـل من ألف شـهر عند غيرنا. اللهم أكرمنا للقيام بما يرضيك عنا يا رب العالمين.

الدرة [260]: الخذلان كل الخذلان أن تتفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه إليه، وتقل عوائقك ثم لا ترحل إليه

الشرح: المحروم من حرم بركة الوقت، وأصعب ما يكون أن يتفرغ العبد في الوقت ولا يعطي حق وقته لربه، أفطالب هذا أم راغب، ومما ورد عن سيدنا عيسى عليه السلام:(عجبت لمن يعمل للدنيا وهو يرزق فيها بلا عمل، ولا يعمل للآخرة وهو لا يرزق فيها إلا بالعمل) ولذلك قال رضي الله عنه: الخذلان كل الخذلان أن تتفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه إليه، وللأسف كثيرا ما يتذرع العبد بالعمل، والسعي لطلب الرزق، ولقد كان السلف الصالح رضوان الله عليه حريصين على أوقاتهم أكثر من حرصنا نحن على دراهمنا ودنا نيرنا ولله المشتكى، أين الهاربين من الأكوان إلى المكون، أين الفارين إلى الله، حسبنا الله ونعم الوكيل.

الدرة [261]: الفكرة سير القلب في ميادين الأغيار

الشرح: كثيرا ما كانت الأغيار تقسي القلب وتمنع من الفكر والأذكار، ولهذا كان أكثر أهل الله يوصي بالعزلة ويقولون: لا شيء أنفع للقلب من عزلة مصحوبة بفكرة، لأن العزلة كالحمية والفكرة كالدواء، ولا ينفع الدواء من غير حمية كما لا تنفع الحمية من غير دواء، وذلك حتى يتفرغ القلب ويجول في الملكوت ويتمكن من العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والمريد إذا ترقى لم تؤثر فيه الخلطة، لأنه انتقل من مقام الفناء إلى مقام البقاء، ومن مقام الجمع إلى مقام الفرق، أي من مقام شهود الحق بلا خلق إلى مقام شهود الحق في الخلق.

الدرة [262]: الفكر سراج القلب، فإذا ذهب فلا إضاءة له

الشــرح: أول ما خلق الله العقل، فكانت الهدية الأولى من الله تعالى لهذا الإنســان المميز عن ســائر خلق الله تعالى، ثم خلق له الفطرة، فإذا ما تنزه الفكر عن الشــبهات والنفس عن الشــهوات، أصــبح الفكر مجلوا مبصــرا، منورا بهداية الحق تعالى، فينعكس نور البصر في البصيرة الصافية فيدرك العبد حقائق الأشياء، فتظهر له في البداية لوائح، كما تظهر النجوم لامعة في الســماء، ثم تختفي النجوم وتظهر شــمس الحقيقة الأحدية، وهي أصــل نور الكل، وأما إن ذهب نور الفكر فقدّ ذهبت وظيفته في الدلالة على الله، ولهذا: إن أقبل نور الفكر على العبد أقبل العبد على الله، وإن أدبر أدبر كما قال عليه الصــلاة والســلام: (أول ما خلق الله العقل، فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر) وإذا ذهب فكر القلب ونزلت بساحته الشهوة، لا تنعدم الهداية والدلالة على الله فحســب، بل لا يعود الإنســان يميز بين الخير والشــر أو بين الصحيح والسيء، أو بين الحق والباطل. والعياذ بالله تعالى.

الدرة:[263]: الفكرة فكرتان: فكرة تصديق وإيمان وفكرة شهود وعيان فالأولى لأرباب الاعتبار والثانية لأرباب الشهود والاستبصار

الشـرح: الفكر فكرتان: فكر حسـي عقلي مسـتند إلى الدليل والبرهان، وفكر قلبي روحاني مســتغن عن الدليل والبرهان، بل قائم بالشــهود والعيان، فالأول لأولى الأبصــار، أي أصـحاب العقول في مرتبة الإســلام والإيمان، والثاني لأولي الألباب أي أصحاب القلوب في مرتبة الإحســان، وهم الذين فنوا في حضـرة الحق تعالى فوصـلوا لمقام المشــاهدة والإيقان، فأصــبح إيمانهم لا بمجرد التصــديق القائم على البرهان الظاهر وحســب، بل إيمان قائم على شــهود باطن، فالأول متعرف إلى الله، و الثاني عارف بالله، ومعلوم أن من اســتنار قلبه بنور معرفة الله صــار اشــتغاله بالدلائل

كالحجاب له عن استغراق القلب في معرفة الرب، وشهود الله تعالى، فالأولى أن يتعرف على شيخ ناصح يوجهه لمعرفة الله سبحانه، حتى إذا زالت الظلمة المتولدة من انشغال القلب بغير الله سـبحانه، كمل فيه تجلي أنوار معرفة الله تعالى. اللهم كملنا بأنوار معرفتك يا رب العالمين.

_ تم بحمد الله_

خاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم

تم بحمد الله تعالى، الوقوف شرحا على أجل وأعظم حكم أهل التصوف على لسان فريد دهره، وقاموس عصره؛ العارف بالله العالم العلامة سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري، والذي تعد جواهر حكمه دستور أهل الصوفية في الطريقة والحقيقة، والذي من يقرأ كلامه؛ يرى نفح خروجه وكأنه من مشكاة النبوة المعطرة بما هو زاد معرفي، ومسلك نوراني، يسلك بالمريدين المنتفعين سبل السلام، حتى يتحققوا بالزهد بالدنيا والاستعداد للآخرة، ويتنوروا بما يرفع قدرهم عند الله تعالى إن أحسنوا النية والعمل، وساروا على الطريق المستقيم.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذه الحكم وشروحها كل مسلم على وجه الأرض، وينال بركتها في الدارين، إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

[1] سورة الروم، 47

[2] سورة الصف، 8

[3] سورة الملك، 15

[4] سورة الذاريات، 56

[5] سورة غافر، 60

[6] سورة النمل، 62

[7] سورة الملك، 14

[8] سورة البقرة، 216

[9] سورة الروم، 5

[10] سورة غافر، 51

[11] سورة الروم، 47

[12] سورة الذاريات 56

[13] سورة الأحزاب، 24

[14] سورة الشمس، 9

[15] سورة الشمس، 10

[16] سورة النور، 35

[17] سورة الشرح، 7

[18] سورة الأنعام، 162

[19] سورة الأنعام، 163

[20] سورة الإسراء، 80

[21] سورة النازعات، 41

[22] سورة الصافات، 96

[23] سورة إبراهيم، 27

[24] سورة النجم، 42

[25] سورة الشعراء، 88-89

[26] سورة الشمس، 9

[27] سورة الأعراف، 7

[28] سورة الأنعام، 94

[29] سورة الأحزاب، 51

[30] سورة الانفطار، 6

[31] سورة الإسراء، 87

[32] سورة الإسراء، 83

[33] سورة البقرة، 257

[34] سورة النجم، 42

[35] سورة الزمر، 53

[36] سورة الشورة، 25

[37] سورة الأحزاب، 41

[38] سورة الشورى، 25

[39] سورة النحل، 61

[40] سورة الإسراء، 44

[41] سورة الإسراء، 85

[42] سورة الأنفال، 29

[43] سورة يونس، 58

[44] سورة هود، 88

[45] سورة سبأ، 13

[46] سورة إبراهيم، 7

[47] سورة القلم، 44

[48] سورة الإسراء، 21

[49] سورة الحج، 14

[50] سورة القيامة، 14

[51] سورة فصلت، 30

[52] سورة يونس، 62

[53] سورة العنكبوت، 69

[54] سورة السجدة، 17

[55] سورة النساء، 142

[56] سورة البقرة، 37

[57] سورة النمل، 88

[58] سورة الكهف، 110

[59] سورة المطففين، 15

[60] سورة المنافقون، 8

[61] سورة النور، 21

[62] سورة الأعراف، 43

[63] سورة الأعراف، 29

[64] سورة النحل، 18

[65] سورة الفاتحة، 5

[66] سورة البقرة، 282

[67] سورة الإسراء، 1

[68] سورة ص، 45

[69] سورة النمل، 62

[70] سورة غافر، 60

[71] سورة الإسراء، 1

[72] سورة الرعد، 28

[73] سورة النساء، 108

[74] سورة الحديد، 4

[75] سورة النمل، 63

[76] سورة الإنسان، 2

[77] سورة القيامة، 14

[78] سورة آل عمران، 188

[79] سورة القمر، 49

[80] سورة يوسف، 53

[81] سورة الإسراء، 81

[82] سورة سبأ، 49

[83] سورة البقرة، 165

[84] سورة الحديد، 3

[85] سورة ق، 16

[86] سورة الأعراف، 56

[87] سورة القمر، 49

[88] سورة الأعراف، 54

[89] سورة التكوير، 29

[90] سورة القصص، 70

[91] سورة البقرة، 112

[92] سورة آل عمران، 123

[93] سورة الإسراء، 80

[94] سورة النساء، 79

[95] سورة سبأ، 13

[96] سورة الحجرات، 7

[97] سورة ق، 16

[98] سورة الفرقان، 43

[99] سورة ق، 16

[100] سورة الإسراء، 60

[101] سورة الأحزاب، 41

[102] سورة الحديد، 3

[103] سورة الرعد، 28

[104] سورة يونس، 58

[105] سورة الكهف، 82

[106] سورة فاطر، 6

[107] سورة فاطر، 6

[108] سورة الحج، 46

[109] سورة الإسراء، 70

[110] سورة التين، 4

[111] سورة الفرقان، 20

[112] سورة فصلت، 6

[113] سورة النور، 35

[114] سورة الروم، 7

[115] سورة الحديد، 4

[116] سورة الإسراء، 81

[117] سورة النمل، 14

[118] سورة المزمل، 6